

وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
مركز السيرة والسنة
لجنة السيرة النبوية

مختصر سيرة ابن هشام

لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري
المتوفى بمصر سنة ٢١٣ للهجرة

اختصرها وعلق عليها السادة العلماء أعضاء لجنة السيرة
النبوية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الجزء الثاني

الطبعة الرابعة

القاهرة

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

اهداءات ٢٠٠٢

أ/ رشاد كامل الكيلاني

القاهرة

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
مركز السيرة والسنة

مختصر سيرة ابن هشام

لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافى
المتوفى بمصر سنة ٢١٣ للهجرة

اختصرها وعلق عليها السادة العلماء أعضاء لجنة السيرة
النبوية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الجزء الثانى

الطبعة الرابعة

القاهرة

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

الفصل الأول

من غزوة الخندق إلى : مسيرة خالد بن الوليد

غزوة الخندق فى شوال سنة خمس وتسمى غزوة الأحزاب^(١)

تاريخها :

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس^(٢) .

• تحريض اليهود لقريش وما نزل فيهم :

فحدثنى يزيد بن رومان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير ، ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظى ، والزهرى ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث ما لا يحدث به بعض : قالوا إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سلام بن أبى الحقيق النضرى ، وحى بن أخطب النضرى ، وكنانة بن أبى الحقيق النضرى وهؤذة بن قيس الوائلى ، وأبو عمار الوائلى ، فى نفر من بنى النضير ، ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، خرجوا حتى قديموا على قريش مكة ، فدعوههم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله^(٣) . فقالت لهم قريش يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمد أفديتنا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى

(١) قبل عروة الأحزاب ساد المدينة الأمن والسلام واطمأن الرسول ومن معه ، أن قريشاً أمامها فترة طويلة حتى تستعيد قوتها ، وأنه لنحج فى بسط الأمن والسلام حول المدينة بعد - عروة دومة الجندل - وكسر شوكة الأعراب حول المدينة ، ووجد الرسول ومن معه الفرصة لنشر الإسلام وتليق الرسالة الإسلامية وبخاصة أنه قد تحول محرى الأحداث لصالح المسلمين ، لكن اليهود ، لم يتعطوا بما أصابهم بتيحة العذر . فشرعوا فى التآمر مرة أخرى على المسلمين وأحدوا يعدون العدة لجمع أعداء الإسلام ، وتأليب أحزاب الكفر

(٢) قال الررقانى : واختلف فى تاريخها ، فقال موسى بن عقة فى معاريه التى شهد مالك والشافعى بأنها أصح المعارى ، كانت سنة أربع .

(٣) القاموس ص ٣٣٩ ج ٣)

(٣) يستأصله : بهلكه وبزيله .

بالحق (منه) فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعُوتِ (١) ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ ... إلى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ : (أى النبوة) ، ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا . فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ، وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ (٢) .

• تحريض اليهود لغطفان :

قال : فلما قالوا ذلك لقريش ، سرّهم ونشطوا لما دَعَوْهم إليه ، من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له . ثم خرج أولئك النفر من يهود ، حتى جاءوا غطفان ، من قيس عيلان ، فدَعَوْهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

• خروج الأحزاب من المشركين :

قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدها أبو سُفيان بن حَرْب ؛ وخرجت غطفان ، وقائدها عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ بن بدر (٣) ، فى بنى فزارة ؛ والحارث بن عَوْف بن أبى حارثة المُرَى ، فى بنى مُرّة ؛ ومُسْعِر بن رُخَيْلَةَ بن نُؤيرة بن طَرِيف بن سُحْمَةَ بن عبد الله بن هلال بن خَلَاوَةَ بن أَشْجَع ابن رَيْثُ بن غطفان ، فيمن تابعه من قومه من أَشْجَع .

(١) والحيث والطاغوت : كل ما عُبِدَ من دون الله . وقيل هى كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر .
القرآن الكريم يلقى الصوء على جميع المراحل المهمة لعزوة الأحزاب ، كما تحدث القرآن عن موقف اليهود وأشار إلى الحكم والعيات المحمودة نتيجة المعركة بين الحق والباطل وثبات المؤمنين وهم يعملون فى حفر الخندق ويقاسون شدة الجوع .. وقد دامت المكافحة والصبر من المسلمين أياما يواحيون الشدائد من صعاف النفوس اهل الاتفاق فى صفوف المسلمين فقد ترعزت قلوبهم وظهر بفاقهم واضحا جليا فى عروة الأحزاب .
(لسان العرب طبعة دار صادر ص ٢١ ح ٢) .

(٢) سورة النساء : الآيات (٥١ - ٥٥) .

(٣) كان اسم عيينة بن حصص : حديفة ، وسمى عيينة ، لשתراك بعينه ، اسلم ثم ارتد وآمن بطليحة حين تنأ وأخذ أسيراً فأُتِيَ به أبو بكر رضى الله عنه فس عليه ، ولم يرل مظهر الإسلام على حعوة وعنحية ولوثة أعرابيته حتى مات .
(راجع الروض الأنف) .

● حفر الخندق وتخاذل المنافقين وجد المؤمنين (١) :

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه ودأبوا (٢) . وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يُورُونَ (٣) بالضعيف من العمل ، ويتسلَّلون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله ﷺ ، ولا إذن . وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النابتة ، من الحاجة التي لا بد له منها ، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، ويستأذنه في الحقوق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخير ، واحتساباً له .

فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤) . فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسنة والرغبة في الخير ، والطاعة لله ولرسوله ﷺ .

ثم قال تعالى ، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسلَّلون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبي ﷺ : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْثُونَ مِنْكُمْ لُؤَادًا (٥) ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٦) .

(١) حفر الخندق أكبر دليل على يقظة القيادة الإسلامية ، وتحسس أخبار الأعداء ، فقل أن تتحرك جيوش الأعداء إلى المدينة كان الخبر عند الرسول عليه السلام وأصحابه . فاستعدوا لملاقاتهم ووضعوا الخطط وحفروا الخندق بعد ونشاط .

(٢) فدأب فيه : حدّ وتعب .

(٣) يُورُونَ : يحفرون ويستترون .

(٤) سورة النور الآية (٦٢) .

(٥) لؤاداً : استتاراً .

(٦) سورة النور الآية (٦٣) .

• قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه
برجل من المسلمين ، يقال له جُعِيل ، سمّاه رسول الله ﷺ : عمراً ، فقالوا :
سمّاه من بعد جُعِيل عمراً وكان للبايس يوماً ظهر^(١) فإذا مروا
(بعمرو) قال رسول الله ﷺ : عمراً ، وإذا مروا (بظهر) قال
رسول الله ﷺ : ظهوراً .

• ما ظهر من المعجزات :

قال ابن إسحاق : وكان في حفر الخندق أحاديثٌ بلغتنى ، فيها من الله
تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ ، وتحقيق نبوته ، عاين ذلك
المسلمون .

فكان مما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدث : أنه اشتدت عليهم في
بعض الخندق كذبة ، فشكّوها إلى رسول الله ﷺ ، فدعا بإناء من ماء ، فنفل
فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكذبة ؛^(٢)
فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق نبيا ، لانهالت^(٣) حتى عادت
كالكتيب^(٤) لا ترد فأسا ولا مسحاة^(٥) .

• البركة في طعام ابن جابر لرسول الله :

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن مندة ، عن جابر بن عبد الله ، قال :
عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق ، فكانت عندي شويهة ، غير جدّ
سمينة^(٦) قال : فقلت : والله لو صنّعناها لرسول الله ﷺ ؛ قال فأمرت

(١) الطهر : القوة والمعونة . الصمير في : سماء ، و : كان ، للسبي ﷺ . (ترتيب القاموس ص ١٣١ ح ٣) .
(٢) الكذبة : الأرض العليظة ، أو الأرض الصلبة . لسان العرب طبعة دار صادر ص ٢١٦ ج ١٥) .
• كانت معركة الأحزاب . حول الخندق معركة حرب أعصاب . فلم يجر في - عروة الأحزاب قتال مرير ، ولكنها
كانت من أعظم المعارك حسماً في تاريخ الإسلام ، فقد كانت نتيجةها تحاليل المشركين . وأظهر نتائجها . أن
الأحزاب لم تؤثر في قوة المسلمين بل رادتهم معركة الأحزاب الثقة بأنفسهم ، وحين أجلي الله الأحزاب . قال
رسول الله ﷺ : « الآن يعرفونهم ولا يعرفوننا ، نحن نسير إليهم ، صحيح البخاري ج ٢ .

(٣) انهالت : تفتت . (السيرة ص ٢١٨) .
(٤) الكتيب : التل من الرمل
(٥) مسحاة : المجرقة من الحديد .
(٦) غير حد سمية : غير كاملة السمن .
(٧) (السيرة ص ٢١٨ ج ٢) .
(٨) (ترتيب القاموس ص ١٦ ح ٤) .
(٩) (لسان العرب ص ٥٩٨ ج ٢) .

امرأتى ، فطحننت لنا شيئا من شعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناها لرسول الله ﷺ . قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق - قال : وكنا نعمل فيه نهارنا ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا - قال : قلت : يا رسول الله ، إنى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير ، فأحب أن تنصرف معى إلى منزلى ، وإنما أريد أن ينصرف معى رسول الله ﷺ وحده ، قال : فلما أن قلت له ذلك ؛ قال : نعم ، ثم أمر صارخا فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله ؛ قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فأقبل رسول الله ﷺ ، وأقبل الناس معه ؛ قال : فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرك وسمى الله ، ثم أكل ، وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها .

• ما أرى الله رسوله من الفتح :

قال ابن إسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسي ، أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق ، فعُلِظت على صخرة ، ورسول الله ﷺ قريب منى ؛ فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على ، نزل فأخذ المِعُولَ (١) من يدي ، فضرب به ضربة لمعت تحت المِعُولَ برقة ؛ قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته برقة أخرى ؛ قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقة أخرى . قال : قلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! ما هذا الذى رأيت لمع تحت المِعُولَ وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : أما الأولى فإن الله فَتَحَ على بها اليمن ؛ وأما الثانية فإن الله فَتَحَ على بها الشام والمغرب ؛ وأما الثالثة فإن الله فَتَحَ على بها المشرق .

• نزول قريش المدينة :

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق ، أقبلت قريش

(١) المِعُولُ : الحديدَةُ يُنْقَرُ بها الجبال .

(ترتيب القاموس ص ٣٤٨ ج ٣) .

حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة ، بين الجُرف وزُغابة (١) فى عشرة آلاف من أحابيشهم ، ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تيهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذئب نَقَمَى ، إلى جانب أحد . وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون ، حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع (٢) ، فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

وقال ابن إسحاق : وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فى الآطام (٣) .

• كعب بن أسد ينقض عهده مع الرسول :

وخرج عدو الله حِيَّ بن أخطب النَّضْرَى ، حتى أتى كَعْب بن أسد القُرْظَى ، صاحب عَقْد بنى قُريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ؛ فلما سمع كَعْب بحِيَّ بن أخطب أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حِيَّ : ويحك يا كعب ! افتح لى ؛ قال : ويحك يا حِيَّ : إنك امرؤ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصِدْقاً ؛ قال : ويحك افتح لى أكلمك ؛ قال : ما أنا بفاعل ؛ قال : والله إن أغلقت دونى إلا عن جيشتك (٤) أن أكل معك منها ؛ فَأَحْفَظَ (٥) الرجل ، ففتح له ؛ فقال : ويحك يا كعب ؛ جئتكم بعز الدهر وببحر طام (٦) ، جئتكم بقريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ؛ ويغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذئب نَقَمَى إلى جانب أحد ، قد عاهدونى وعاهدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . قال : فقال له كعب : جئتنى

(١) زُغَابَةُ : نضم الراى ، موضع قُرْب المدينة . (ترتيب القاموس ص ٤٥٥ ح ٢) .

(٢) سَلْع : جبل بالمدينة . (ترتيب القاموس ص ٥٩٥ ح ٢) .

(٣) الآطام : الحصون ؛ الواحد : أطم (ترتيب القاموس ص ١٥٧ ح ١) .

(٤) الحشيشة : طعام يصنع من الحشيش ، وهو الير يطحن عليطاً ، وهو الذى تقول له العالمة : دشيش ؛ بالدال . (لسان العرب ص ٢٧٣ ح ٦) .

(٥) أحفظه : أعصبه . (لسان العرب ص ٤٤٢ ح ٧) طبعة دار صادر .

(٦) طام : مرتفع ؛ ويريد كثرة الرجال . (ترتيب القاموس ص ١٥٧ ح ١) .

والله بذل الدهر ، وبجهام^(١) قد هراق ماءه ، فهو يزعد ويبرق ، ليس فيه شيء ، ويحك يا حيي ! فدعني وما أنا عليه ، فإنني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء . فلم يزل حيي بكعب ، يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له ، على أن أعطاه عهدا من الله وميثاقا : لئن رجعت قریش وغطفان ، ولم يُصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرى مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ .

• تحرى الرسول عن نقض كعب للعهد :

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة بن ذلیم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة ، أخو بنى الحارث ابن الخزرج ، وخوات بن جبير ، أخو بنى عمرو بن عوف ؛ فقال : انطلقوا حتى تنظروا ، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقا فالحنوا لى لحنا^(٢) أعرفه ، ولا تفتؤا^(٣) في أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهرؤا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، فيما نالوا من رسول الله ﷺ ، وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدة ؛ فقال له سعد بن عبادة : دع عنك مُشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أربى^(٤) من المشاتمة . ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما ، إلى رسول الله ﷺ ، فسلموا عليه ، ثم قالوا : عَضَلُ والقارة ؛ أى كغدر عَضَلُ والقارة^(٥) بأصحاب الرجيع ، خبيب وأصحابه ؛ فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين .

(١) الجهم : السحاب الرقيق الذى لا ماء فيه . (ترتيب القاموس ص ٥٤٩ ح ١) .

(٢) اللحن . اللغر : وهو أن يقول له قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره لأنه يُميله بالتورية عن الواضح المعهود . (لسان العرب ص ٣٧٩ ح ١٣) .

(٣) تفتؤا : فتى فى عضده أى أضغعه وأرهنه . (لسان العرب ص ٦٥ ح ٢) .

(٤) أربى : أعظم . (ترتيب القاموس ص ٢٩٧ ح ٢) .

(٥) القارة : قوم رماة من العرب وهم عصل والدنش وسموا ذلك لاجتماعهم والتفافهم لما أراد اس الشداح أن يفرقهم . (لسان العرب ص ١٢٣ ح ٥) .

• ما عم المسلمين من الخوف وظهور نفاق المنافقين :

(قال) : وعظم عند ذلك البلاء ، واشتدَّ الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظنَّ المؤمنون كلَّ ظنٍّ ، ونَجَم النِّفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعْتَبُّ بن قُشَيْر ، أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يَعِدُنَا أن نَأْكُل كنوز كسرى وقيصر ، وأَحَدُنَا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط .

• رأى ابن هشام فى نفاق معتب :

قال ابن هشام : وأخبرنى من أثق به من أهل العلم : أن مُعْتَبُّ بن قُشَيْر لم يكن من المنافقين ، واحتجَّ بأنه كان من أهل بدر .

• قال ابن إسحاق : وحتى قال أوس بن قَيْظَى ، أحد بنى حارثة بن الحارث : يا رسول الله ، إن بيوتنا عَوْرَةٌ من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا ، فانها خارج من المدينة . فأقام رسول الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة ، قريبا من شهر ، لم تكن بينهم حرب إلا الرمي بالحبل والحِصار .

• هم الرسول بعقد الصلح بينه وبين غطفان ثم عدل :

فلما اشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله ﷺ ، كما حدثنى عاصم ابن عمر بن قتادة ومن لا أتهم ، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى إلى عيينة بن حصن بن حُذَيْفَة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المُرَى ، وهما قائدا غَطَفَان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يَرْجِعَا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كَتَبُوا الْكِتَابَ ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصُّلْح ، إلا المُرَاوِضَة فى ذلك . فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ، بعث إلى سَعْد بن مُعَاذ وسعد بن عُبَادَة ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله ، أَمْرًا نُحِبُّهُ فَتَصْنَعُهُ ، أَمْ شَيْئًا أَمْرُكَ اللَّهُ بِهِ ، لا بد لنا من العمل به ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا ؟ قال : بل شىء

أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العرب قد رَمَتْكم عن قَوْس واحدة ، وكاليوكم^(١) من كلّ جانب فأردت أن أكسِر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما ؛ فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله ، قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشّرك بالله وعبادة الأوثان ، أفحين نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قَرَى^(٢) أو بيعا ، أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك وبه ، نُعطِيهم أموالنا ! والله ، ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نُعطِيهم إلا السّيف حتى يَحْكُم الله بيننا وبينهم ؛ قال رسول الله ﷺ : فأنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصّحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

عبور نفر من المشركين الخندق :

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون ، وعدوهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو ابن عبد ودّ بن أبى قيس ، أخو بنى عامر بن لؤى .

● وعكرمة بن أبى جهل ، وهُبيرة بن أبى وهب المخزوميّان ، وضِرار بن الخطّاب الشاعر بن مرداس ، أخو بنى محارب بن فهر ، تلبّسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم ، حتى مرّوا بمنازل بنى كنانة ، فقالوا : تهيّئوا يا بنى كنانة للحرب ، فسُتعلّمون من الفُرسان اليوم . ثم أقبلوا تُعْنِق^(٣) بهم خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

سلمان الفارسي يُشير بحفر الخندق :

قال ابن هشام : يقال : إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله ﷺ .

(١) لسان العرب ص ٧٢٤ ج ١)

(٢) ترتيب القاموس ص ٦١٢ ح ٣)

(٣) لسان العرب ص ٢٧٤ ج ١٠)

(١) كاليوكم : اشتدوا عليكم .

(٢) القرى : الطعام الذى يصنع للصيف . قرى أى صياغة .

(٣) تُعْنِق : تسرع ، العنق : ضرب من سير الدابة والإبل .

وحدثني بعض أهل العلم : أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سلمان منا ؛
وقالت الأنصار : سلمان منا ؛ فقال رسول الله ﷺ : سلمان منا أهل البيت .

قال ابن إسحاق : ثم تيمموا (١) مكانا ضيقا من الخندق ، فضربوا خيلهم
فاقتحمت منه ، فجالت (٢) بهم في السبخة (٣) بين الخندق وسُلع ، وخرج علي بن
أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة (٤)
التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تُعَتِّقُ نحوهم ، وكان عمرو بن عبد
ودّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ؛ فلما كان يوم
الخندق خرج مُعلما (٥) ليُرى مكانه . فلما وقف هو وخيْلُهُ ، قال : من يبارز ؟
فبرز له علي بن أبي طالب فقال له : يا عمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله
ألا يدعوك رجل من فُرَيْشٍ إلى إحدى خِلَتَيْنِ إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ؛
قال له علي : فاني أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ؛ قال : لا حاجة
لي بذلك ؛ قال : فاني أدعوك إلى النّزال ؛ فقال له : لِمَ يا بن أخي ؟ فو الله
ما أحبّ أن أقتلك ، قال له علي : لكني والله أحبّ أن أقتلك ؛ فحمى (٦) عمرو
عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي ،
فتنازلا وتجاولا (٧) ، فقتله علي رضي الله عنه . وخرجت خيلهم مُنهزمة ،
حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق : وألقى عكرمة بن أبي جهل رُمحه يومئذ وهو منهزم
عن عمرو .

(١) ترتيب القاموس ص ٦٨١ ج ٤ .
(لسان العرب ص ١٣١ ح ١١)
(لسان العرب ص ٢٤ ح ٣)
(لسان العرب ص ١٠٣ ج ٤)
(سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٢٥)
(ترتيب القاموس ص ٧١٩ ح ١)
(لسان العرب ص ١٣١ ح ١١)

(١) تيمموا : فصدوا .
(٢) فجالت : طافت بهم
(٣) السُّبْحَةُ : أرض ذات ملح ويز . أي الأرض المالحة .
(٤) الثغرة : الثلم الذي كان هناك في الخندق .
(٥) المُعلم : الذي جعل له علامة يعرف بها .
(٦) حمى : اشتد عصبه .
(٧) تجاولوا في الحرب : طاف بعضهم على بعض .

● شعار المسلمين يوم الخندق :

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبني قريظة حم ، لا يُنصرون .

● شأن سعد بن معاذ :

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري ، أخو بني حارثة : أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز^(١) حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن ؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب : فمرّ سعد وعليه درع له مقلّصة^(٢) ، قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربته يركض^(٣) بها ويقول لَبَّثُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا جَمَلٌ^(٤) لا بأس بالموت إذا حَانَ الْأَجَلُ (قال) فقالت له أمه : الحقّ : أي ابني ، فقد والله أُخِّرْتَ ؛ قالت عائشة : فقلت لها يا أم سعد ، والله لو دِدْتُ أَنْ دِرْعَ سَعْدٍ كَانَتْ أَسْبَغَ^(٥) مما هي ؛ قالت : خفت وخِفْتُ عليه حيث أصاب السهم منه ، فرمى سعدُ بِنِ معاذ بسهم ، فقطع منه الأكل^(٦) ، رماه كما حدثني عاصم بن عمر ابن قتادة ، جَبَّانُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْعِرْقَةِ ، أحد بني عامر بن لُؤَيٍّ ، فلما أصابه ، قال : خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا ابْنُ الْعِرْقَةِ^(٧) ؛ فقال له سعد : عَرَّقَ اللَّهُ وَجْهَكَ فِي النَّارِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا ، فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبَّ

(١) أحرز : أحص . (لسان العرب ص ٣٣٣ ح ٥) .

(٢) مقلّصة : محتمة منصبة . (لسان العرب ص ٨٠ ح ٧) .

(٣) يركض : يسرع . (لسان العرب ص ١٨٣ ح ٣) .

(٤) جَمَلٌ : اسم رجل .

قال السهيلي : هويت تمثل به ، يعني به حمل بن سعدانة بن الحارث بن معقل بن كعب

(٥) أسبغ : أكمل وأطول . (سورة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٦) .

(٦) الأكل : عرق في وسط الذراع يكثر قصده . (لسان العرب ص ٤٣٣ ح ٨) .

(٧) العرق : هي قلانة بنت سعد بن سعد بن سهم ، وتكنى أم فاطمة ، وسميت العرق لطيب ريحها وهي حدة حديجة ، (لسان العرب ص ٥٨٦ ح ١١) .

(٨) أمها هالة . (راجع الروص الأنف) .

إِلَى أَنْ أَجَاهِدَهُمْ مِنْ قَوْمِ آذَوْا رَسُولَكَ وَكَذَّبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ ، اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَضَعْتُ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْعَلْهُ لِي شَهَادَةً ، وَلَا تُؤْمِتْنِي حَتَّى تُقَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعدًا يومئذ إلا أبو أسامة الجُشمي ، حليف بني مخزوم .

قال ابن هشام : ويقال : إن الذي رمى سعدًا خَفَاجَةُ بن عاصم بن حِبان .

● شجاعة صفية بنت عبد المطلب :

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في فارح ، حصن حسان بن ثابت ؛ قالت : وكان حسان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصبيان . قالت صفية ؛ فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حارب بنو قُرَيْظَةَ ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت . قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله ؛ قال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا : قالت : فلما قال لي ذلك ، ولم أر عنده شيئاً ، احتجرت^(١) ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحصن إليه ، فضربتة بالعمود حتى قتلتة . قالت : فلما فرغت منه ، رجعت إلى الحصن ؛ فقلت : يا حسان ، انزل إليه فاسلبه ، فإنه لم يمتنعني من

(١) احتجرت : شددت وسطى . قال أبو در . « ومن رواه : اعتحرت ، فمعناه : شددت معجري . »

سلبه إلا أنه رجل ؛ قال : مالى بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب (١) .

● شأن نعيم فى تخذيل المشركين عن المسلمين :

قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشدة ، لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ، أتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا باسلامي ، فمرنى بما شئت ؛ فقال رسول الله ﷺ : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا (٢) إن استطعت ، فإن الحرب خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة ، وكان لهم نديما فى الجاهلية ، فقال : يا بنى قريظة ، قد عرفتكم ودى إياكم ، وخاصة ما بينى وبينكم ؛ قالوا : صدقت ، لست عندنا بمئثم ؛ فقال لهم : إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبنؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهروهم عليه ، وبلدكم وأموالهم ونساؤهم وبغیره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة (٣) أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم

(١) قال السهيلي : ومجمل هذا الحديث عند الناس على أن حسان كان حنانا شديد الجبن . وقد دفع هذا بعض العلماء وأنكره ، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ؛ وقال : لو صح هذا لهجى به حسان ، فإنه كان يهاجى الشعراء كضرار وابن الزبير وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجبن ، ولا وسمه به ، هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فعل حسان أن يكون معتلا فى ذلك اليوم بعله منعه من شهود القتال ، وهذا أولى ما تأول عليه . ومن أنكر أن يكون هذا صحيحا أبو عمر رحمه الله فى كتاب الدرر له : قلت ويقوى ذلك كله أن رسول الله عليه السلام ، كان نصب له منبرا بالمسجد ويقول : قل وروح القدس يؤيدك . وما يقال ذلك لجبان .

وعقب على هذا الحديث أبو ذر أيضا لما لا يخرج عما ذكره السهيلي .

وقال الررقاني بعد ما ساق رأى أبى عمر فى الدرر ، واستبعاده هذا على حسان : ؛ وإنما كان أولى ، لأن ابن إسحاق لم يفرده ، بل جاء بسند متصل حسن كما علم ، فاعتصم حديثه . وقد قال ابن السراح : سكوت الشعراء عن تعبيره بذلك من أعلام النبوة ، لأنه شاعره ﷺ .

(٢) حذل عنا : أدخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا .

(٣) النهزة : الفرصة تحدثها من صاحبك

(لسان العرب ص ٢٠٢ ح ١١)

(لسان العرب ص ٤٢١ ج ٥)

وخلُّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تُقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهْنا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقاه لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه (١) ؛ فقالوا له : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قُريشا ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتُم ودَى لكم وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمرٌ قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه ، نُصحا لكم ، فاكتُموا عني ؛ فقالوا : نفعل ؛ قال : تعلمون أن معشر يهود قد نَدِموا على ما صنَعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه إنا قد نَدِمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القَبيلتين ، من قُريش و غطفان رجالا من أشرافهم فنُعطيكَهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نَسْتَأْصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فان بعثت إليكم يهودٌ يلتمسون منكم رُهْنا من رجالكم فلا تَدْفَعُوا إليهم مِنْكُمْ رجلا واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصْلَى وعشيرتى وأحب الناس إلي ، ولا أراكم تتَّهمونى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمُتَّهم قال : فاكتُموا عني ؛ قالوا : نفعل ، فما أمرك ؟ ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السَّبْت من شَوَّال سنة خمس ، وكان من صنَع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حَرْب ورؤوس غطفان إلى بنى قريظة عِكرمة بن أبى جهل ، فى نفر من قُريش و غطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخفّ والحافر (٢) ، فاغدُوا للقتال حتى نُنَاجِز محمدا ، ونُفرغ مما بيننا وبينه ؛ فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا ، فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نُقاتل معكم محمدا حتى تُعْطونا رُهْنا من رجالكم ، يكونون بأيدينا

(لسان العرب ص ٤١٤ ح ٥)

(١) تناجزوه تنارزوه وتقاتلوه .

(٢) يريد « بالحف » الإبل ، و « بالحافر » : الحيل .

ثقة لنا حتى نناجز محمدا ، فانا نخشى إن ضرسنكم^(١) الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمرؤا^(٢) ، إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه ، فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ؛ فقالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذى ذكر لنا نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن يقتلوا ، فان رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك إنشمرؤا إلى بلادهم . وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم ، فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله لا نقاتل معكم محمدا حتى نعطونا رهنًا ؛ فأبوا عليهم وخذل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الرّيح فى ليل شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم^(٣) ، وتطرح أبنيتهم .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرايتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال : نعم ، يا بن أخى ؛ قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد ؛ قال : فقال : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يابن أخى ، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخذنق ، وصلى رسول الله ﷺ هويًا^(٤) من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة ؟ فما قام رجل من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ؛ فلما لم يبق أحد ، دعانى رسول الله ﷺ ، فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى ، فقال : يا حذيفة ، اذهب فادخل فى القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تحدثن

(١) لسان العرب ص ١١٩ ح ٦ .

(٢) لسان العرب ص ٤٢٨ ج ٤ .

(٣) السيرة ج ٢ ص ٢٣١ .

(٤) لسان العرب ص ٣٧٢ ح ١٥ .

(١) صرسنكم الحرب . خرسنكم وأحكمتم .

(٢) أن تنشمرؤا : أن تنقبصوا وتسرعوا إلى بلادكم .

(٣) تكفأ قدورهم : تميلها وتقلها .

(٤) هويًا من الليل : الساعة الممتدة من الليل .

شيئا حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تَقَرَّ لهم قَدْرًا ولا نارا ولا بناء . فقام أبو سفيان ، فقال : يا معشر قريش : لينظر امرؤ من جليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان (١) .

● مُناداة أبي سفيان في قريش بالرحيل :

ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبَحْتُم بدار مُقام ، لقد هلك الكراع (٢) والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما تَرَوْنَ ، ما تطمئنُّ لنا قَدْر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يَستَمسِك لنا بناء ، فارتحلوا فإنني مرتحل ؛ ثم قام إلى جملة وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي « أن لا تُحدث شيئا حتى تأتيني » ثم شئت ، لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في كساء المرط (٣) لبعض نسائه ، مراجل .

قال ابن هشام : المراجل : ضرب من وشى اليمن .

فلما رآني أدخلني إلى رجليه ، وطرح على طَرَفِ المرط ، ثم ركع وسجد ، وإنني لفيه ، فلما سلّم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا (٤) راجعين إلى بلادهم .

قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح .

(١) في شرح المواهب : « مضرت يدي على يد الذي عن يميني ، فأحدث بيده ، فقلت : من أنت ؟ قال : معاوية ابن أبي سفيان ؛ ثم مضرت يدي على يد الذي عن شمالي ، فقلت : من أنت ؟ قال : عمرو بن العاص ، (٢) الكراع الخيل . (٣) المرط : الكساء من حرّ أو صوب أو كتان . (٤) انشمروا : انشَمَرَ للأمر : تهيأ له .

(لسان العرب ص ٣٠٦ ح ٨)
(القاموس المحيط ص ١٣٩ ح ٣)
(لسان العرب ص ٤٠١ ح ٧)
(لسان العرب ص ٤٢٨ ح ٤)

غزوة بنى قريظة

فى سنة خمس

أمر الله لرسوله على لسان جبريل بحرب بنى قريظة :

فلما كانت الظُّهر ، أتى جبريل رسولَ الله ﷺ ، كما حدثنى الزهري ، معنجرًا (١) بعمامة من استبرق (٢) ، على بَغْلَةٍ عليها رِحالة (٣) ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أَوْقِدْ وضعتَ السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ فقال جبريل : فما وضعتَ الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عزَّ وجلَّ يأمرُك يا محمد بالمسيرِ إلى بنى قُريظة ، فانى عامدٌ إليهم فمزَلزل بهم .

دعوة الرسول المسلمين للقتال :

فأمر رسول الله ﷺ مؤذنا ، فأذن فى الناس من كان سامعا مُطيعا ، فلا يصلينَ العصرَ إلا ببني قُريظة .

واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

● قال ابن إسحاق : وقَدَّم رسولُ الله ﷺ على بن أبى طالب برايته إلى بنى قُريظة ، وابتدراها الناسُ . فسار على بن أبى طالب ، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مِقالَةً قبيحةً لرسول الله ﷺ ، فرجع حتى لقي رسولَ الله ﷺ بالطريق ، فقال : يا رسول الله ، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث ؛ قال : لِمَ ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم يا رسول الله ؛ قال : لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا . فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم . قال :

(١) الإغترارُ : لَفَ العمامة نون التَّحْنِ . وهو أن يلف العمامة على رأسه ويردُّ طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئا تحت ذُفْيهِ .

(لسان العرب ص ٥٤٤ ج ٤) .

(لسان العرب ص ١٩ ح ١٠) .

(٢) الاستبرق : الديباج الغليظ ، فارسي معرَّب .

(٣) الرِّحالة : هى أكثر من السُرْج وتعيش بالحلود وتكون للحيل والنجايب من الإبل .

(لسان العرب ص ٢٧٥ ح ١١)

يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولا .

ومرَّ رسول الله ﷺ بنَفَرٍ من أصحابه بالصَّوْرَيْنِ (١) قبل أن يصل إلى بنى قُريظة ، فقال : هل مرَّ بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله ، قد مرَّ بنا يَحْيَى ابن خَلِيفَةَ الكَلْبِيِّ ، على بَغْلَةٍ بَيْضَاء عليها رِحَالَةٌ ، عليها قَطِيفَةٌ دِيبَاج ، فقال رسول الله ﷺ : ذلك جَبْرِيل ، بُعث إلى بنى قُريظة يُرْزِلُ بهم حُصُونَهُمْ ، ويقذف الرعْبَ في قلوبهم .

ولما أتى رسول الله ﷺ بنى قريظة : نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم ، يقال لها بئر أنا (٢) .

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجالٌ منهم من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العصر ، لقول رسول الله ﷺ : لا يصلين أحدُ العصر إلا ببنى قُريظة ، فشغلهم ما لم يكن منه بدٌ في حربهم ، وأبوا أن يصلوا ، لقول رسول الله ﷺ : حتى تأتوا بنى قريظة . فصلَّوا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عَفَّفَهُمْ به رسولُ الله ﷺ (٣) . حدثني بهذا الحديث أبي إسحاق بن يسار ، عن مَعْبُد بن كَعْب بن مالك الأنصاري .

وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين (٤) ليلة ، حتى جَهِدَهُم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب .

وقد كان حَيَّي بن أخطب دخل مع بنى قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قُريش وغطفان ، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه . فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير مُنصَرَف عنهم حتى يُنَاجِزَهُمْ ، قال كعب بن أسد لهم :

(١) الصوريون : موضع قرب المدينة .

(٢) أنا (كهبا أو كحتي أو بكسر النون المشددة ؛ ويروى بموحدة بدل النون) : من أنار سى قريظة .

(٣) راجع الروض وشرح المواهب ومعجم البلدان .

(٤) يؤخذ من هذا أنه لا يعاب من أحد بطاهر حديث أو آية ولا من استنط من النص معنى يخصه ، كما يؤخذ منه أن كل محتهد في العروع مصيب .

(راجع الروض وشرح المواهب) .

(٤) وقيل : خمس عشرة ليلة ، وقيل بصع عشرة .

يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلا لا ثلاثا ، فخذوا أيها شتمتم قالوا : وما هي ؟ قال : نأتبع هذا الرجل ونصدق فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل ، وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره ؛ قال : فإذا أبيتم على هذه ، فهل فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا نسلا نخشى حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فان نهلك نهلك ، ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وإن تظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء ؛ قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فان أبيتم على هذه ، فان الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة ؛ قالوا : نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ^(١) ! قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما .

• أبو لبابة وتوبته :

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ : أن ابعت إلينا أبا لبابة^(٢) بن عبد المنذر ، أبا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، لنستشيره في أمرنا ، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم ؛ فلما رآوه قام إليه الرجال ، وجهش^(٣) إليه النساء والصبيان فيكون في وجهه ، فرق لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة ! أترى أن ننزل على حكم محمد^(٤) ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذبح^(٥) . قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني

(١) المسخ : هو تحويل الصورة البشرية إلى صورة أخرى أفح . (القاموس ص ٢٧٩ ج ١) .

(٢) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري المدني ؛ واختلف في اسمه ، فقتيل ، رفاعه ، وقيل : مبشر ، وقيل : بشير ، وهو أحد النقاء ، عاش إلى خلافة علي . (راجع الاستيعاب والروص وشرح المواهب) .

(٣) جهش . بكى بصوته عال .

(٤) قال الررقامي : ؛ وذلك أنهم لما حوصروا حتى أيقوا بالهلكة ، انزلوا شأس من قيس فكلمه ﷺ أن يدرلوا على ما نزل بنو البصير من ترك الأموال والحلقة والخروج بالنساء والدراري وما حملت الإبل إلا الحلقة ، فأبى رسول الله ﷺ ، فقال : تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل ؛ فأبى ﷺ إلا أن يدرلوا على حكمه ؛ وعاد شأس إليهم بذلك ، . (راجع شرح المواهب) .

(٥) كأل أبا لبابة فهم ذلك من عدم إجابة الرسول لهم بحق دمائهم ، وعرف أن الرسول سيحبهم إن يدرلوا على حكمه ، وبهذا أشار لبى قريظة (راجع شرح المواهب) .

قد خُنتُ الله ورسوله ﷺ ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عُمده ، وقال : لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بنى قريظة أبداً ، ولا أرى في بلد خُنتُ الله ورسوله فيه أبداً .

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى في أبي لبابة ، فيما قال سُفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره ، وكان قد استبطأه ، قال : أما إنه لو جاءني لاستغفرتُ له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن عبد الله بن قُسيط : أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السَّحَر (٢) ، وهو في بيت أم سلمة . فقالت أم سلمة : فسمعتُ رسول الله ﷺ من السَّحَر وهو يضحك . قالت : فقلت : مم تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنك ؛ قال : تيب على أبي لبابة ؛ قالت : قلت : أفلا أبشّره يا رسول الله ؟ قال : بلى ، إن شئت . قال : فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يضرب عليهنّ الحجاب ، فقالت : يا أبا لبابة ، أبشّر فقد تاب الله عليك . قالت : فتار الناس إليه ليُطلقوه فقال : لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يُطلقني بيده ؛ فلما مرّ عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه .

• ما نزل في التوبة على أبي لبابة :

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مُرتبطاً بالجذع ستّ ليال ، تأتبه امرأته في كل وقت صلاة ، فتحله للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجذع ، فيما حدثني بعض أهل العلم والآية التي نزلت في توبته قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَأَخْرُوجُوا

(١) سورة الأنفال : آية ٢٧

(٢) السَّحَر : قبيل الصبح .

(القاموس ص ٤٦ ح ٢) .

يُذْنِبُهُمْ خَطُؤًا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) .

إسلام نفر من بنى هذل :

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بنَ سَعْيَةَ ، وأسيد بن سَعْيَةَ ، وأسد بنى عُبيد ، وهم نفر من بنى هذل ، ليسوا من بنى قُرَيْظَةَ ولا النُّضِيرِ ، نَسَبُهُمْ فوق ذلك ، هم بنو عمِّ القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قُرَيْظَةَ على حكم رسول الله ﷺ .

أمر عمرو بن سُغْدَى :

وخرج في تلك اللَّيْلَةَ عمرو بن سُغْدَى الْفَرَضِيُّ ، فمرَّ بحرس رسول الله ﷺ ، وعليه محمد بن مَسْلَمَةَ تلك اللَّيْلَةِ ؛ فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سُغْدَى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قُرَيْظَةَ في غدرهم برسول الله ﷺ ، وقال : لا أغدر بمحمد أبدا - فقال محمد بن مَسْلَمَةَ حين عرفه : اللَّهُمَّ لا تحرمني إقالة عَثَرَاتِ الْكِرَامِ ، ثم خَلَّى سبِيلَهُ : فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك اللَّيْلَةَ ، ثم ذهب فلم يُدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فنُكِرَ لرسول الله ﷺ شأنه ؛ فقال : ذاك رجل نَجَّاهُ اللَّهُ بوفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أوْثِقَ بِرُمَّةٍ (٢) فيمن أوْثِقَ من بنى قُرَيْظَةَ ، حين نزلوا على حُكْمِ رسول الله ﷺ ، فأصبحت رُمَّتُهُ مُلْقَاةً ، ولا يُدرى أين ذهب ؛ فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة ، والله أعلم أَى ذلك كان (٣) .

• **نزول بنى قُرَيْظَةَ على حكم الرسول وتحكيم سعد :**

قال فلما أصبحوا نزلوا على حُكْمِ رسول الله ﷺ ، فتَوَاتَبَتِ الْأَوْسُ ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم كانوا موالينا دون الْخَزْرَجِ ، وقد فعلت في موالى إخواننا بِالْأَمْسِ ما قد علمت - وقد كان رسول الله ﷺ قبل بنى قُرَيْظَةَ قد

(١) سورة التوبة آية ١٠٢ .

(٢) الرمة الحبل المالى . (ترتيب القاموس ص ٣٩٤ ح ٢) .

(٣) قلت . لعل الأول أولى فما عذر الرجل وما ظلمه المسلمون ، وبجاء وفاءه .

حاصر بنى قَيْنَقَاع ، وكانوا خُلَفَاء الخَزْرَج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبدُ الله بنُ أبي بن سلول ، فَوَهَبَهُمْ لَهُ . فلما كَلَّمَتَهُ الأَوْس قال رسولُ الله ﷺ : ألا تَرْضَوْنَ يا معشر الأَوْس أن يَحْكُمَ فِيهِمْ رجلٌ منكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال رسولُ الله ﷺ : فذاك إلى سعد بن مُعَاذ . وكان رسولُ الله ﷺ قد جعل سعد ابنَ مُعَاذ في خَيْمَةِ لامرأةٍ من أَسْلَمَ ، يُقالُ لها رُفَيْدَةُ ، في مسجده ، كانت تُداوِي الجَرَحَى ، وتحتسب بنفسها على خِدْمَةِ مَنْ كانت به ضَيْعَةٌ من المُسلمين ، وكان رسولُ الله ﷺ قد قال لقومه حين أَصابَهُ السَّهْمُ بالخَنْدَق : اجعلوه في خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ حتى أَعُوذَ من قَرِيب . فلما حَكَّمَهُ رسولُ الله ﷺ في بنى قُرَيْظَةَ ، أَتاه قومه فَحَمَلُوهُ على حمارٍ قد وَطَّنُوا لَهُ بوسادةٍ من أُنْمَ ، وكان رجلاً جَسِيماً جميلاً ، ثم أَقبلوا معه إلى رسولِ الله ﷺ ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أَحْسَنُ في مَوَالِيكَ ، فإن رسولُ الله ﷺ إِنَّمَا وَلَكَ ذَلِكَ لِحَسَنِ إِلَيْهِمْ ؛ فلما أَكثَرُوا عَلَيْهِ قال : لَقَدْ آنَ لَسَعْدُ أَنْ لَا تَأْخُذَهُ في الله لَوْمَةٌ لائِمٌ . فرجع بعضُ من كان معه من قَوْمِهِ إلى دارِ بنى عبدِ الأَشْهَلِ ، فَنَعَى لَهُمَ رجالُ بنى قُرَيْظَةَ ، قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ سَعْدُ ، عن كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَ مِنْهُ . فلما انْتَهَى سَعْدٌ إلى رسولِ الله ﷺ والمُسلمين ، قال رسولُ الله ﷺ : قوموا إلى سَيِّدِكُمْ - فأما المُهاجِرُونَ من قُرَيْشٍ ، فيقولون : إِنَّمَا أَرَادَ رسولُ الله ﷺ الأَنْصَارَ ؛ وأما الأَنْصَارُ ، فيقولون قد عَمَّ بِهَا رسولُ الله ﷺ - فقاموا إِلَيْهِ ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسولَ الله ﷺ قد وَلَكَ أَمْرَ مَوَالِيكَ لَتَحْكُمَ فِيهِمْ ؛ فقال سعد بن مُعَاذ : عليكم بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ ، أَنَّ الحُكْمَ فِيهِمْ لِمَا حَكَمْتُ ؟ قالوا : نعم ؛ وعلى مَنْ هَا هُنَا ؟ في الناحية الَّتِي فِيهَا رسولُ الله ﷺ ، وهو مُعْرِضٌ عن رسولِ الله ﷺ إِجْلَالاً لَهُ ؛ فقال رسولُ الله ﷺ : نعم ؛ قال سعد : فإني أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ ، وتُقَسَّمُ الأَمْوَالُ ، وتُسَبَّى (١) الذَّرَارَى والنِّسَاءُ .

رضاء الرسول بحكم سعد :

قال ابنُ إسحاق : فحدثني عاصمُ بنُ عمر بن قتادة ، عن عبدِ الرحمن ابنِ عمرو بنِ سَعْدِ بنِ مُعَاذ ، عن عُلَقَمَةَ بنِ وَقَّاصِ اللَّيْثِيِّ ، قال : قال رسولُ الله ﷺ لسعد : لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ من فوق سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ (٢) .

(١) الذَّرَارَى : الأولاد .

(٢) القاموس ص ٣٥ ح ٢ .

(٢) الأَرْقَعَةُ . السماوات ، الواحدة : رَقِيع .

قال ابن هشام : حدثني بعض من أتق به من أهل العلم : أن علي بن أبي طالب صاح وهم مُحاصرو بني قُريظة : يا كَتِيبة الإيمان ، وتقدّم هو والزُّبير بن العوّام ، وقال : والله لأذوقنّ ما ذاق حمزة أو لأفئحنّ حصنهم ؛ فقالوا : يا محمد ننزل على حُكم سعد بن مُعاذ .

مقتل بني قريظة :

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث^(١) ، امرأة من بني النّجّار ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة ، التي هي سوقها اليوم ، فخذق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، يُخرج بهم إليه أرسالا^(٢) ، وفيهم عدو الله حُيّي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ستّ مائة أو سبع مائة ، والمُكثّر لهم يقول : كانوا بين الثمان مائة والتسع مائة . وقد قالوا لكعب بن أسد ، وهم يُذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا : يا كعب ، ما تراه يُصنع بنا ؟ قال : أفي كلّ موطن لا تَعْقِلُون ؟ ألا ترون الداعي لا يَنْزِع ، وأنه من ذهب به منكم لا يَرْجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ .

وأتى بحُيّي بن أخطب عدو الله ، وعليه حُلّة له فقّاحية^(٣) . قال ابن هشام : فقّاحية : ضرب من الوشي - قد شقّها عليه من كل ناحية قدر أنملة^(٤) لئلا يُسلّدها ، مجموعة يداها إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله ﷺ ، قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يُخذل ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ومُحمّة كَتَبها الله على بني إسرائيل ، ثم جَلَس فضرِبَتْ عنقه .

(١) قال السَّهيلي : « واسمها كيسة بنت الحارث بن كوير بن حبيب بن عبد شمس وكانت تحت مسيلة الكذاب ، ثم حلف عليها عند الله بن عامر بن كريز » .

وقال الرُّرقاني : « هي رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد ، روضة معاذ بن الحارث بن رفاعة ، تكرر ذكرها في السيرة . والواقدي يقول : رملة بنت الحارث (بفتح الدال المهملة) . وليست هي كيسة بنت الحارث » .

(٢) أرسالا : أي جماعة بعد جماعة . (لسان العرب ص ٢٨١ ح ١١) .

(٣) فقّاحية : أي على لون الورد حين همّ أن يفتح . (لسان العرب ص ٥٤٦ ح ٢) .

(٤) أنملة . الأنملة : المعصل الأعلى الذي فيه الظفر من الإصبع . (لسان العرب ص ٦٧٩ ح ١١) .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندي تَحَدَّثُ معي ، وتَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا ، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق ، إذ هَتَفَ هَاتِفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله قالت : قلت لها : ويلك ؛ مالك ؟ قالت : أقتل ؛ قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ؛ قالت : فانطلق بها ، فضربت عنقها (١) ؛ فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عَجَبًا منها ، طيبَ نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تُقتل .

قال ابن هشام : وهي التي طرحت الرِّحَا على خلاد بن سويد ، فقتلته . قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن شماس ، كما ذكر لي ابن شهاب الزهري ، أتى الزبير بن باطا القرظي ، وكان يُكنى أبا عبد الرحمن - وكان الزبير قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية . ذكر لي بعض ولد الزبير أنه يوم بُعِثَ ، أخذه فجرَّ ناصيته ، ثم خَلَّى سبيله - فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ قال : وهل يَجْهَلُ مثلي مثلك ؛ قال : إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي ؛ قال : إن الكريم يجزي الكريم ؛ ثم أتى ثابت بن قيس رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله إنه قد كانت للزبير على مئة ، وقد أحببت أن أجزيه بها ، فهب لي دمه ؛ فقال رسول الله ﷺ : هو لك ؛ فأتاه فقال : إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك ، فهو لك ؛ قال الزبير : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هب لي امرأته وولده ؛ قال : هم لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لي رسول الله ﷺ أهلَكَ وولدك ، فهم لك ؛ قال : أهل بيتي بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ماله ؛ قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطاني رسول الله ﷺ مالاً ، فهو لك ؛ قال : أي ثابت ،

(١) قال أبو ذر : هي امرأة الحس القرظي .

ما فعل الذى كأن وجهه مرآة صينية يترأى فيها عذارى الحى ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حى بن أخطب ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل مُقَدِّمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فررنا ، عزال بن سموع ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو ابن قريظة ؛ قال : ذهبوا قُتلوا ؟ قال : فانى أسألك يا ثابت بىدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فتلة دلو ناصح^(١) حتى ألقى الأحبة . فقَدَّمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله « ألقى الأحبة » . قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا (فيها) مخلداً .

● قال ابن إسحاق : وحدثنى شعبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظى ، قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يُقتل من بنى قريظة كل من أثبت^(٢) منهم ، وكنت غلاما ، فوجدونى لم أثبت ، فخلوا سبيلى . ثم قال : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صغصعة أخو بنى عدى بن النجار : أن سلمى بنت قيس ، أم المنذر ، أخت سليط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ ، قد صلت معه القبلتين ، وبايعته بيعة النساء - سألته رفاعه بن سموءل القرظى ، وكان رجلا قد بلغ ، فلاذ^(٣) بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ؛ فقالت : يا نبي الله ، بأبى أنت وأمى ، هب لى رفاعه ، فانه قد زعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل ؛ قال : فوهبه لها ، فاستحيته .

(١) الحبل الذى يسترح عليه الماء من النثر بالسانية . وأراد بقوله له : فتلة دلو ناصح ؛ مقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا أحرحت فيصبها فى الحوض ، يعتلها أو يردّها إلى موضعه .

قال ابن هشام قبله دلو ناصح .

قال أبو در : « ومن رواه : فتلة ؛ بالقاف والياء ، فهو بمقدار ما يقل الرجل الدلو ، ليصبها فى الحوض ثم يصرّفها ، وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة .

(٢) أثبت منهم : أى وصل إلى مرحلة اللوع .

(٣) (القاموس المحيط ص ١٦٤ ح ١) .

(لسان العرب ص ٥٠٨ ح ٣) .

(٣) لاد بها . التحا إليها

● قسم فيء بنى قريظة :

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ قَسَمَ أموال بنى قُريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم في ذلك اليوم سُهمان الخيل وسُهمان الرجال ، وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفارس سَهمان ولفارسه سهم ، وللراجل ، من ليس له فرس ، سهم . وكانت الخيل يوم بنى قُريظة ستا وثلاثين فرسا ، وكان أولَ فيء وقعت فيه السَهمان ، وأخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنة في المغازي . ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بنى عبد الأشهل (ومعه) سبأيا من سبأيا بنى قُريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا .

● شأن ريحانة :

وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو ابن خُنافة ، إحدى نساء بنى عمرو من قُريظة ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفى عنها وهي في ملكه ، وقد كان رسول الله ﷺ عَرَضَ عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ؛ فقالت : يا رسول الله ، بل تتركني في ملكك ، فهو أخف علىّ عليك ، فتركها . وقد كانت حين سبأها قد تعصت (١) بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله ﷺ ، ووَجَدَ في نفسه لذلك من أمرها فبينما هو مع أصحابه ، إذ سمع وقع نعلين خلفه ؛ فقال : إن هذا لثعلبة ابن سَعِيَة يبشرني بإسلام ريحانة ؛ فجاءه فقال يا رسول الله ، قد أسلمت ريحانة ، فسرّه ذلك من أمرها .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى في أمر الخُنْدُق ، وأمر بنى قُريظة من القرآن ، القصّة في سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونِعْمته عليهم ، وكفايته إياهم حين فرّج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل النفاق :

(١) تعصت : أى رفضته بشده .

(القاموس ص ٣١٩ ح ٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ . والجنود قريش و غطفان و بنو قريظة ، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة . يقول الله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴾ . فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش و غطفان . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ . يقول مُعْتَبٌ بن قُشَيْرٍ إِذْ يَقُولُ مَا قَالَ . ﴿ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ لقول أوس ابن قيطي وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ مِنْ قَوْمِهِ « وَلَوْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا » (١) .

• « ثم سئلوا الفتنة » : أى الرجوع إلى الشرك لآتوها وما تَلَبَّثُوا بها إلا يَسِيرًا . وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْأَذْيَارَ ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْنُورًا ، فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يَفْشَلُوا يوم أحد مع بنى سَلَمَةَ حِينَ هَمَّتَا بِالْفِشْلِ يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعوبوا لمثلها أبدا ، فنكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذَا لَأَتُمَتِّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا . قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا ، أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴾ : أى أهل النفاق « وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ، وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا » : أى إلا دفعا وتعذيرا (٢) « أَشِحَةٌ عَلَيْكُمْ » : أى للضغن (٣) الذى فى أنفسهم « فَأَذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ »

(١) الأقطار : الحواشي والواحى معرهما فطر . (لسان العرب ص ١٠٦ ح ٥) .

(٢) ^١ التعدير . التقصير والمُعْذِرِينَ الذين يعتذرون بلا عذر كأنهم المصْطَرُونَ الذين لا عذر لهم .

(لسان العرب ص ٥٤٦ ح ٤) .

(لسان العرب ص ٢٥٥ ح ٣) .

(٣) الضغن : الحقد والعداوة والبغضاء .

يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ، تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ : أى إعظاما له وفَرَقًا منه « فَأَذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ^(٣) بِالسِّنَةِ جَدَادٍ » . أى فى القول بما لا تحبون ، لأنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحملهم حسبة^(٤) ، فهم يهابون الموت هَيْبَةً من لا يرجو ما بعده .

« يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا » فُرِيشَ وَغَطْفَانَ « وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا » .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ » : أى لئلا يَرْغَبُوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكانٍ هو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وَعَدَهُمُ اللَّهُ من البلاء يختبرهم به ، فقال : « وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا » : أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء ، وتصديقا للحق ، لما كان الله تعالى وَعَدَهُمُ ورسوله ﷺ ثم قال : « مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ » : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بَدْرَ ويوم أُحُد .

● قال ابن إسحاق : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ » : أى ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه . يقول الله تعالى : « وَمَا يَدُلُّوا ثَبَدِيلًا » : أى ماشكوا وما ترددوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره . « لِيَجْزِيَ اللَّهَ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ، وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا . وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ » : أى قريشا وغطفان

(١) سَلَقُوكُمْ : أى بالْعَوَا فيكم بالكلام وحاصمكم فى العيية أشدَّ مخاصمةً وأبلغها . (لسان العرب ص ١٦٠ ح ١٠) .
(٢) الحسبة : طلب الأحر . (لسان العرب ص ٣١٤ ج ١) .

« لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا . وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : أَيْ بَنَى قُرَيْظَةَ « مِنْ صَيَاصِيهِمْ » ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

• قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : « وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا » : أَيْ قَتَلَ الرِّجَالَ ، وَسَبَى الذَّرَارَى وَالنِّسَاءَ ، « وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّئُوهَا » : يَعْنَى خَيْرًا « وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا » (١) .

وفاة سعد بن معاذ وما ظهر مع ذلك :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا انْقَضَى شَأْنُ بَنِي قُرَيْظَةَ انْفَجَرَ بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ جُرْحُهُ ، فَمَاتَ مِنْهُ شَهِيدًا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ رِفَاعَةَ الزُّرْقِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ شِئْتُ مِنْ رِجَالِ قَوْمِي : أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ قُبِضَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ مُعْتَجِرًا بِعِمَامَةٍ مِنْ اسْتَبْرَقٍ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ مِنْ هَذَا الْمَيِّتِ الَّذِي فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَاهْتَزَّ لَهُ (٢) الْعَرْشُ ؟ قَالَ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيعًا يَجْرُ ثَوْبُهُ إِلَى سَعْدٍ ، فَوَجَدَهُ قَدْ مَاتَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي مِنْ لَأَتَهُمْ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، قَالَ : كَانَ سَعْدُ بْنُ جَبَلٍ بَادِنًا ، فَلَمَّا حَمَلَهُ النَّاسُ وَجَدُوا لَهُ خَفَّةً ، فَقَالَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ :

(١) رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ وَالْقُرْطُبِيِّ وَالْعَرُورِيِّ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَحْرَابِ مِنْ آيَةِ ٩ لَعَالِيَةِ آخِرِ آيَةِ ٢٧ .

(٢) قَالَ السَّهْلِيُّ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى اهْتِزَارِ الْعَرْشِ : « وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي مَعْنَاهُ وَطَبُوا أَنَّهُ مُشْكَلٌ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْاهْتِزَارُ (مَا هِيَ) : بِمَعْنَى الْاسْتِشَارَةِ بِقَدْرِهِ رُوحُهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يُرِيدُ حَمَلَةَ الْعَرْشِ وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، اسْتِعْجَالًا مِنْهُمْ لِأَنَّهُ يَهْتَزُّ عَلَى الْحَقِيقَةِ . وَلَا بَعْدَ فِيهِ ، لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ ، وَيَجُورُ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ وَالْهَزَّةُ ، وَلَا يَمُوتُ عَنْ ظَاهِرٍ (اللَّفْظُ) مَا وَحَدَ إِلَيْهِ سَنِيْلٌ . وَحَدِيثُ اهْتِزَارِ الْعَرْشِ لِمَوْتِ سَعْدٍ صَحِيحٌ . قَالَ أَبُو عَمَرَ : هُوَ تَابَتْ مِنْ طَرَفِ مَتَوَاتِرَةٍ وَمَا رَوَى مِنْ قَوْلِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ فِي مَعْنَاهُ : أَنَّ سَرِيرَ سَعْدٍ اهْتَزَّ ، لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ ، وَقَالُوا : كَانَتْ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيِّينِ مِنَ الْأَنْصَارِ صَعَالَى ، وَفِي لَفْظِ الْحَدِيثِ : اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ . رَوَاهُ أَبُو الرَّبِيعِ عَنْ جَابِرٍ ، يَرْفَعُهُ ، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ وَأَبِي سَعْيَانَ ، كَلَامُهُمَا عَنْ جَابِرٍ . وَرَوَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ حُمَاةَ عَيْرِ جَابِرٍ ، مِنْهُمْ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَأَسِيدُ بْنُ حَضِيرٍ وَرَمِيَّةُ بِنْتُ عَمْرٍو ، ذَكَرَ ذَلِكَ التِّرْمِذِيُّ وَالْعَجَبُ لَمَّا رَوَى عَنْ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، مِنْ إِنْكَارِهِ لِلْحَدِيثِ ، وَكَرَاهِيَتِهِ لِلتَّحَدُّثِ بِهِ مَعَ صَحَّةِ نَقْلِهِ ، وَكَثْرَةِ الرِّوَاةِ لَهُ . وَلَعَلَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ لَمْ تَصِحَّ عِنْدَ مَالِكٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ،

والله إن كان لبادنا ، وما حملنا من جنازة أخف منه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : إن له حملة غيركم ، والذي نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثني مُعَاذُ بْنُ رِفَاعَةَ ، عن محمود بن عبد الرحمن ابن عمرو بن الجموح . عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دُفِنَ سعد ونحن مع رسول الله ﷺ ، سَبَّحَ رسول الله ﷺ ، فسَبَّحَ الناس معه ، ثم كبر فكَبَّرَ الناس معه ؛ فقالوا : يا رسول الله ، ممَّ سَبَّحْتَ ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرَّجه الله عنه .

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قولُ عائشة : قال رسول الله ﷺ : إن للقبر لَصَمَةً لو كان أحد منها ناجيا لكان سعدُ بن مُعَاذٍ .

● شهداء يوم الخندق :

قال ابن إسحاق : ولم يُستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر .

من بنى عبد الأشهل :

ومن بنى عبد الأشهل : سعدُ بن مُعَاذٍ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل . ثلاثة نفر .

من بنى جُثَم :

ومن بنى جُثَم بن الخزرج ، ثم من بنى سلمة : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غنمة . رجلان .

من بنى النجار :

ومن بنى النجار ، ثم من بنى دينار : كعبُ بن زيد ، أصابه سهم غَرَبَ ، فقتله .

قال ابن هشام : سَهْمُ غَرَبٍ وَسَهْمُ غَرَبٍ ، بإضافة وغير إضافة ، وهو الذى لا يعرف من أين جاء ولا من رَمَى به .

• قَتَلَى الْمُشْرِكِينَ :

وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ .

من بنى عبد الدار :

من بنى عبد الدار بن قُصَيٍّ : مُنْبَهُ بن عثمان بن عُبَيْد بن السَّبَّاق بن عبد الدار ، أصابه سهم ، فمات منه بمكة .

قال ابن هشام : هو عثمان بن أميَّة بن مُنْبَهُ بن عُبَيْد بن السَّبَّاق .

عرض المشركين على الرسول شراء جسد نوفل :

قال ابن إسحاق : ومن بنى مَخْزُوم بن يَقْظَةَ : نوفل بن عبد الله بن المُغِيرَةَ ؛ سألوا رسولَ الله ﷺ أن يبيعههم جَسَدَهُ ، وكان اقتحم الخندق ، فتورط (١) فيه ، فقتل ، فغلب المسلمون على جَسَدِهِ . فقال رسول الله ﷺ : لا حاجة لنا فى جَسَدِهِ ولا بَتَمَنِهِ ، فخلى بينهم وبينه .

قال ابن هشام : أعطوا رسول الله ﷺ بجسده عشرة آلاف درهم ، فيما بلغنى عن الزُّهْرَى .

من بنى عامر :

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر ابن لُؤَيٍّ ، ثم من بنى مالك ابن جِسْلٍ : عمرو بن عَبدِ وُدٍّ ، قتله علي بن أبى طالب رضوان الله عليه .

قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال : قتل علي بن أبى طالب يومئذ عمرو بن عبد وُدٍّ وابنه جِسْلُ بن عمرو .

قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد وُدٍّ ، ويقال : عمرو بن عَبدِ .

(١) تورط فيه : انتشب وهلك .

(لسان العرب ص ٤٢٦ ج ٧) .

● شهداء المسلمين يوم بنى قريظة :

قال ابن إسحاق : واستشهد يوم بنى قُريظة من المسلمين ، ثم من بنى الحارث ابن الخزرج : خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو ، طُرحت عليه رَحَى ، فَشَدَّخَتْهُ (١) شَدَّخَا شديدا ، فزعموا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : إن له لأَجَرَ شهيد .

ومات أبو سنان بن مَخْصَن بن حُرْثان ، أخو بنى أسد بن خُزيمة ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ محاصر بنى قُريظة ، فدفن في مَقْبَرَةِ بنى قُريظة التي يَدْفَنُونَ فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام .

● بشارة الرسول المسلمين بغزو قريش :

ولما انصرف أهل الخَنْدَق عن الخندق ؛ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ فيما بلغني : لن تَغْزُوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تَغْزُونَهُمْ . فلم تغزهم قُريش بعد ذلك ، وكان هو الذي يَغْزُوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

مقتل سلام بن أبي الحقيق

استئذان الخزرج الرسول في قتل ابن أبي الحقيق :

قال ابن إسحاق : ولَمَّا انقضى شأن الخندق ، وأمر بنى قُريظة ، وكان سلام بن أبي الحقيق ، وهو أبو رافع فيمن حَزَبَ الأحزاب على رسول اللَّهِ ﷺ ، وكانت الأوس قبل أحد قد قَتَلَت كعب بن الأشرف ، لعداوته لرسول اللَّهِ ﷺ وَتَحْرِيطِهِ عليه ، استأذنت الخزرجُ رسولَ اللَّهِ ﷺ في قَتْل سلام بن أبي الحقيق ، وهو بخيبر ، فأذن لهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مُسلم بن شهاب الزهري ، عن عبد اللَّهِ بن كَعْب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسوله ﷺ أن هذين

(١) الشَّدَخ : هو التَهْتِيم ويعنى كسرك الشيء الأجوف كالرأس ونحوه . (لسان العرب ص ٢٨ ح ٣)

الحيين من الأنصار ، والأوس والخزرج ، كانا يتصاولان^(١) مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله ﷺ غناء^(٢) إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام : قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ؛ وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبدا ؛ قال : فتذاكروا : مَنْ رجُلٌ لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق ، وهو بخبير ؛ فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله ، فأذن لهم .

● نفر الذين خرجوا لقتل ابن أبي الحقيق وقصتهم :

فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربيع ، وخزاعي بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قَدَمُوا خَبِير ، أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهلها . قال : وكان في عليّة له إليها عجلة^(٣) قال : فأسندوا فيها^(٤) ، حتى قاموا على بابها ، فاستأذنوا عليه ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا : ناس من العرب نلتمس الميرة^(٥) . قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ؛ قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجرة ، تخوفاً أن تكون دونه مجاورة^(٦) تحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته ، فنوّهت بنا^(٧)

(١) يتصاولان : يتعاضدان ، إذا فعل أحدهما شيئاً فعل الآخر مثله . (لسان العرب ص ٣٨٨ ج ١١) .

(٢) غناء : منفعة . (لسان العرب ص ١٣٦ ح ١٥) .

(٣) العجلة : حديد النخلة يقر في موضع منه ويحمل كالسلم فيصعد عليه إلى العلالي والعراف

(٤) أسندوا فيها : علوا . (لسان العرب ص ٤٣٠ ح ١١) .

(٥) الميرة : خلب الطعام . (لسان العرب ص ٢٢١ ح ٣) .

(٦) مجاورة : أي حركة تكون بينهم وبينه . (لسان العرب ص ١٨٨ ح ٥) .

(٧) نوّهت بنا . رفعت صوتها تنهر بنا . (لسان العرب ص ٥٥٠ ح ٣) .

وَابْتَدَرْنَاهُ^(١) . وهو على فراشه بأسياقنا ، فو الله ما يدلنا عليه فى سَواد اللَّيْلِ
إلا بياضه كأنه قُبْطِيَّةٌ^(٢) مُلْقَاة . قال : ولما صاحبت بنا امرأته ، جعل الرجل
مُتًّا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نَهَى رسول الله ﷺ فيكف يده ، ولولا ذلك
لفرغنا منها بلَّيْل . قال : فلما ضربناه بأسياقنا تحامَل عليه عبدُ الله بن أنيس
بسيفه فى بَطْنه حتى أنفَذَه ، وهو يقول : قَطْنَى قَطْنَى : أى حَسْبَى حَسْبَى .
قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عَتِيكَ رجلا سِيءَ البصر ، قال : فوقع من
الدَّرَجَةِ فوثقت^(٣) يده وثثا شديدا - ويقال : رجله ، فيما قال ابن هشام - وحملناه
حتى نأتى به مَنَهْرًا^(٤) من عيونهم ، فندخل فيه . قال : فأوقدوا النيران ،
واشتدوا فى كل وجه يطلبوننا ، قال : حتى إذا يسوا رجعوا إلى صاحبهم ،
فاكتنفوه وهو يَقْضَى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد
مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأُنظر لكم ، فانطلق حتى دخل فى
الناس . قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى
وجهه ، وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعتُ صوتَ ابن عتيك ، ثم أكذبتُ
نفسى وقلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم
قالت : فاط^(٥) وإله يهود ؛ فما سمعتُ من كلمة كانت أَلَدَّ إلى نفسى منها .
قال : ثم جاءنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل
عدو الله ، واختلفنا عنده فى قتله ، كلنا يدّعيه . قال : فقال رسول الله ﷺ :
هاؤوا أسياقكم ؛ قال : فجئناه بها ، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس :
هذا قَتَله ، أرى فيه أثر الطعام .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قَتْلَ كَعْبِ بن الأشرف ،
وقتل سلام بن أبى الحقيق :

-
- (١) ابتدرناه : عايناه فى الأمر .
(٢) القُطْبِيَّة : ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر وهى مسبوقة إلى القط .
(٣) وثثت : أصاب عظمها شيء ليس بكسر .
(٤) المنهر : حرق فى الحصن ناهد يدخل فيه الماء .
(٥) فاط : مات .
- (لسان العرب ص ٤٨ ج ٤) .
(لسان العرب ص ٣٧٣ ح ٧) .
(لسان العرب ص ٣٧٨ ج ١٥) .
(لسان العرب ص ٢٣٧ ج ٥) .
(لسان العرب ص ٤٥٣ ح ٧) .

لِلَّهِ دَرَّ عَصَابَةَ^(١) لَاقِيَتَهُمْ يَا بَنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا بَنَ الْأَشْرَفِ
يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ^(٢) إِلَيْكُمْ مَرَحاً^(٣) كَأَسَدٍ فِي عَرِينِ^(٤) مُغْرِفِ^(٥)
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلِّ بِلَادِكُمْ فَسَقَوْكُمْ^(٦) حَقّاً بَيْضِ دُفِّ^(٧)
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْهَفِ^(٨)

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

ذهاب عمرو مع آخرين إلى النجاشي :

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب
عن أبي أوس التثقي ، عن حبيب بن أبي أوس التثقي ، قال : حدثني عمرو
ابن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً
من قُرَيْشٍ كانوا يرون رأيي ، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي ، فقلت لهم : تعلمون والله أنني
أرى أمرَ محمد يعلو الأمور علواً مُنْكَرًا ، وإنني قد رأيتُ أمرًا ، فما ترون فيه ؟
قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيتُ أن تُلْحَقَ بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر
محمدٌ على قومه كنا عند النجاشي ، فإنا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن
نكون تحت يدَي محمد وإن ظهر قومنا فنحن من قد عَرَفُوا ، فلن يَأْتِينَا منهم
إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأي قلت : فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحبُّ

(١) العصابة : الجماعة .
(٢) البيض الخفاف : السيوف .
(٣) مرَحاً : نشاطاً .
(٤) العَرِينُ : مأوى الأسد الذي يألفه .
(٥) مغريف : ملفف الأعصاب .
(٦) الحتف : الموت والهلاك .
(٧) دُف : سريعة القتل .
(٨) مجحف : يذهب بالأموال والأنفس .

(١) لسان العرب ص ٦٠٥ ح ١ .
(٢) لسان العرب ص ١٢٨ ح ٧ .
(٣) لسان العرب ص ٥٩١ ج ٢ .
(٤) لسان العرب ص ٢٨٢ ج ١٣ .
(٥) لسان العرب ص ٢٦٥ ح ٩ .
(٦) لسان العرب ص ٣٨ ج ٩ .
(٧) لسان العرب ص ١١٠ ح ٩ .
(٨) لسان العرب ص ٢٢ ح ٩ .

ما يَهْدِي إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الْأَدَمَ^(١) فَجَمَعْنَا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا ، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ .

فَوَ اللَّهِ إِنَّا لَعَنَدَهُ إِذْ جَاءَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرَى ، وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ . قَالَ : فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ . قَالَ : فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي : هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرَى ، لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ وَسَأَلْتَهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ ، فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، فَذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْتُ عَنْهَا^(٢) حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ . قَالَ : فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِصَدِيقِي ، أَهْدَيْتَ إِلَيَّ مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، قَدْ أَهْدَيْتُ إِلَيْكَ أَدَمًا كَثِيرًا ؛ قَالَ : ثُمَّ قَرَّبْتَهُ إِلَيْهِ ، فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ ، وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا ، فَأَعْطَانِيهِ لِأَقْتُلَهُ ، فَانْهَ أَنْصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا ؛ قَالَ : فَغَضِبَ ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ كَسَرَهُ ، فَلَوْ ظَنَنْتُ لِي الْأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ ؛ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، وَاللَّهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَ ؛ قَالَ : أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِنَقْلَتِهِ ! قَالَ : قُلْتُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَكْذَابُكَ هُوَ ؟ قَالَ : وَيْحَكَ يَا عَمْرُو أَطْعَمَنِي وَاتَّبَعَهُ ، فَانْه وَاللَّهِ لَعَلَى الْحَقِّ ، وَلِيُظْهَرَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ ، كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ ؛ قَالَ : قُلْتُ : أَتُبْتَائِعُنِي لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَبَسَطَ يَدَهُ ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي وَقَدْ حَالَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ ، وَكُتِمَتْ أَصْحَابِي إِسْلَامِي .

اجتماع عمرو وخالد على الإسلام :

ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَسْلَمَ ، فَلَقِيْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ ، وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ ؛ فَقُلْتُ : أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ

(١) لسان العرب ص ٩ ح ١٢)

(لسان العرب ص ١٤٤ ح ١٤)

(١) الأدم : الحلد .

(٢) أحرأت عنها : كفيها .

لقد استقام المنسِم^(١) ، وإن الرجل لنبي ، أذهبُ والله فأسلم ، فحتى متى ؛ قال : قلت : والله ما جئتُ إلا لأسلم . قال : فقدِمنا المدينة على رسول الله ﷺ ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوتُ ، فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يُغفرَ لي ما تقدّم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر ؛ قال : فقال رسول الله ﷺ : يا عمرو ، بايع ، فإن الإسلام يُجِبُّ^(٢) ما كان قبله ، وإن الهجرة تُجِبُّ ما كان قبلها ؛ قال : فبايعته ، ثم انصرفت .

إسلام ابن طلحة :

قال ابن إسحاق ، وحدثني من لآتهم : أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، كان معهما . حين أسلما .

وكان فتح بنى قريظة في ذى القعدة وصدر ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون .

غزوة بنى لحيان

خروج الرسول إلى بنى لحيان :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهرَ ربيع ، وخرج في جمادى الأولى على رأس سنة أشهر من فتح قريظة ، إلى بنى لحيان يطلب بأصحاب الرجيع : خبيب بن عدي وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غرة^(٣) .

فخرج من المدينة ﷺ ؛ واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

(١) المنسِم : طرف حبّ البعير والنعامة والغيل ، ومعناه : تبين الطريق ووضح (لسان العرب ص ٥٧٤ ح ١٢) .
(٢) حبُّ . يقطع .
(٣) الغرة : المعلة .
(لسان العرب ص ٢٤٩ ح ١)
(لسان العرب ص ١٢ ح ٥)

قال ابن إسحاق : فسلك على غُرَاب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على مَحِيص ، ثم على البَثْرَاء ، ثم صَفْقُ (١) ذاتِ الْيَسَار ، فخرج على بَيْنِ (٢) ، ثم عن صَخِيرَات اليمام (٣) ، ثم استقام به الطريقُ على المحبَّة من طريق مكة ، فأغذ (٤) السير سريعاً ، حتى نزل على غُرَان ، وهي منازل بني لِحْيَانٍ ، وغُرَان وادٍ بين أمتج وعُسْفَان ، إلى بلد يقال له : سَايَة ، فوجدهم قد حَزِرُوا وتمنَّعُوا في رؤوس الجبال . فلما نزلها رسولُ الله ﷺ وأخطأه من غِرَتهم ما أراد ، قال : لو أنا هَبَطْنَا عُسْفَان لرأى أهلُ مَكَّة أَنَّا قد جئنا مكة ، فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفَان ، ثم بعث فارسَيْن من أصحابه حتى بلغا كُرَاعَ الْعَمِيمِ (٥) ، ثم كرَّ وراح رسولُ الله ﷺ قافلاً (٦) .

مقالة الرسول في رجوعه :

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول حين وجه راجعاً : آيِبُونَ تَائِبُونَ إن شاء الله لربُّنا حامدون ، أعوذ بالله من وَعْثَاء السَّفَرِ (٧) ، وكآبةِ (٨) الْمُتَقَلِّبِ ، وسوءِ الْمُنْظَرِ في الأهل والمال .

شعر كعب في غزوة بني لحيان :

والحديث في غَزْوَةِ بني لِحْيَان ، عن عاصم بن عمر بن قَتَادَة ، وعبد الله ابن أبي بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ؛ فقال كعب بن مالك في غَزْوِهِ بني لِحْيَان :

-
- (١) صَفْقُ : عدل .
 (٢) بين . وادٍ قرب المدينة .
 (٣) صخيرات اليمام : منزل رسول الله ﷺ إلى بدر وهو بين السبالة وقريش .
 (٤) أغذ السير : أسرع في السير .
 (٥) كُرَاعُ الْعَمِيمِ : موضع بين مكة والمدينة وهو وادٍ أمام عسفان بثمانية أميال . (لسان العرب ص ٣٠٩ ح ٨) .
 (٦) وذكر ابن سعد أنه حين نزل رسول الله ﷺ عسفان بعث أنا بكر مع عشرة هوارس لتسمع بهم قريش فيدعهم ، فأتوا كُرَاعَ الْعَمِيمِ ولم يلقوا كيداً .
 (٧) وعثاء السفر : مشقة وشدة .
 (٨) الكآبة : الحزن .
 (لسان العرب ص ٢٠٢ ح ٢)
 (لسان العرب ص ٦٩٥ ح ١) .

لو أنَّ بنى لِحْيَانٍ كَانُوا تَنَاطَرُوا^(١) لَقُوا عَصَبًا^(٢) فِي دَارِهِمْ ذَاتَ مَصْدَقٍ
لَقُوا سَرَعَانًا^(٣) يَمْلَأُ السَّرْبَ^(٤) رَوْعُهُ^(٥) أَمَامَ طَحُونٍ^(٦) كَالْمَجْرَةِ^(٧) فَيَلْقَى^(٨)
وَلَكْنَهُمْ كَانُوا وَبَارًا^(٩) تَتَّبَعْتُ شُعَابَ^(١٠) حِجَارٍ^(١١) غَيْرِ ذِي مُتَنَفِّقٍ^(١٢)

غزوة ذي قرد وسببها

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يُقَم بها إلا ليالى قلائل ، حتى أغار
عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ^(١٣) ، فِي خَيْلٍ مِنْ غَطَفَانَ عَلَى
لِقَاحٍ^(١٤) لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْغَابَةِ^(١٥) ، وَفِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ وَامْرَأَةٌ لَهُ ،
فَقَتَلُوا الرَّجُلَ ، وَاحْتَمَلُوا الْمَرْأَةَ فِي اللَّقَاحِ .

بلاء ابن الأَكُوع فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي
بَكْرٍ ، وَمَنْ لَا أَتُهُمْ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ ، كُلٌّ قَدْ حَدَّثَ فِي غَزْوَةِ
ذِي قَرْدٍ^(١٦) بَعْضُ الْحَدِيثِ : أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ نَذَرَ^(١٧) بِهِمْ سَلَمَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ

-
- (١) تَنَاطَرُوا : انْتَضَرُوا .
(٢) الْعَصَبُ : الْجَمَاعَاتُ .
(٣) السَّرْعَانُ : أَوَّلُ الْقَوْمِ .
(٤) السَّرْبُ : (يَفْتَحُ السَّيْنُ) الطَّرِيقُ .
(٥) الرَّوْعُ : الْفَرَعُ .
(٦) الطَّحُونُ : الْكُتَيْبَةُ تَطْحَنُ مَا لَقِيَتْ .
(٧) الْمَحْرَةُ : نَجُومٌ كَثِيرَةٌ يَحْتَلِطُ ضَوْؤُهَا فِي السَّمَاءِ .
(٨) الْغَيْلُ : الْكُتَيْبَةُ الْعَظِيمَةُ .
(٩) الْوَبَارُ : جَمْعُ وَبَرٍ ، وَهِيَ دَوِيْبَةٌ مِنْ دَوَابِ الصَّحَرَاءِ عَلَى قَدْرِ الْهَرَّةِ ، تَنْسَهَ بِهَا الْعَرَبُ الضَّعِيفُ .
(١٠) الشُّعَابُ : جَمْعُ شُعْبٍ ، وَهُوَ الْمُنْفَعُ مِنَ الْأَرْضِ .
(١١) حِجَارٌ : أَرْضُ مَكَّةَ وَمَا يَلِيهَا .
(١٢) غَيْرِ ذِي مُتَنَفِّقٍ : أَيُّ لَيْسَ لَهُ بَابٌ يَخْرُجُ مِنْهُ .
(١٣) وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي أَعَارَ هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُبَيْدَةَ .
(١٤) اللَّقَاحُ : الْإِثْلُ الْحَوَامِلُ دَوَاتِ الْأَنْثَى .
(١٥) الْعَابَةُ : مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فِيهِ أَمْوَالٌ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ .
(١٦) ذِي قَرْدٍ : مَاءٌ عَلَى لَيْلَتَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَبِيرٍ وَمِنْهُ غَزْوَةُ ذِي قَرْدٍ .
(١٧) نَذَرَ : عَلَّمَ .
- (لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٢١٦ ح ٥) .
(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٦٠٥ ح ١) .
(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ١٥٢ ج ٨) .
(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٤٦٤ ج ١) .
(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ١٣٥ ح ٨) .
(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٢٦٥ ج ١٣) .
(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ١٢٩ ح ٤) .
(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٣١٢ ح ١٠) .
(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٢٧٢ ح ٥) .
(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٤٩٩ ح ١) .
(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٥٨١ ح ٢) .
(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٦٥٦ ح ١) .
(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٣٥٢ ح ٣) .
(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٢٠١ ج ٥) .

الأَكْوَعُ الأَسْلَمَى ، غدا يريد الغابة متوشّحاً قَوْسَهُ وَنَبْلَهُ ، ومعه غلامٌ لطلحة بن عُبَيْد الله معه قَرَسٌ له يقوده ، حتى إذا علا ثَنِيَّةُ الْوَدَاعِ نظرَ إلى بعض خُيُولِهِمْ ، فأشرف في ناحية سَلَعٍ ، ثم صرخ : واصباحاه ، ثم خرج يَشْتَدُّ في آثار القوم ، وكان مثل السبع حتى لَحِقَ بالقوم ، فجعل يَرُدُّهُمْ بالنَّبْلِ ، ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرَضْع (١) فإذا وُجِّهَت الخيلُ نحوه انطلق هاربا ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرَّمْيُ رَمَى ، ثم قال : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضّع ، قال : فيقول قائلهم : أويكنا هو أول النهار .

● قال : وبلغ رسول الله ﷺ صياحُ ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة الفَزَعُ الْفَزَعُ ، فترامت الخيولُ إلى رسول الله ﷺ .

وكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفُرسان : المِقْدَادُ بن عمرو ، وهو الذي يُقال له : المِقْدَادُ بن الأسود ، حليف بنى زُهرة ؛ ثم كان أول فارس وقَفَ على رسول الله ﷺ بعد المِقْدَادِ من الأنصار ، عُبَادُ بن بشر ابن وقش بن زُغْبَةَ بن زَعُوراء ، أحد بنى عَبْدِ الأشهل ؛ وسَعْدُ بن زيد ، أحد بنى كَعْبِ بن عبد الأشهل ؛ وأَسِيدُ بن ظَهير ، أخو بنى حارثة بن الحارث ، يُشَكُّ فيه ؛ وَعُكَّاشَةُ بن مُحَصَّن ، أخو بنى أَسَدِ بن خُزَيْمَةَ وَمُحَرِّزُ بن نُضْلَةَ ، أخو بنى أَسَدِ بن خُزَيْمَةَ ، وأبو قَتَادَةَ الحارث بن رِبْعَى ، أخو بنى سَلْمَةَ ؛ وأبو عِيَّاش ، وهو عُبَيْدُ بن زيد بن الصَّامِت ، أخو بنى زُرَيْقٍ فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أَمَرَ عليهم سَعْدَ بن زَيْد ، فيما بلغنى ، ثم قال : اخرج في طَلَبِ القوم ، حتى ألْحَقَكَ في الناس .

الرسول ونصيحته لأبى عياش بترك فرسه :

وقد قال رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى عن رجال من بنى زُرَيْقٍ لأبى عِيَّاش : يا أبا عياش ، لو أعطيت هذا الفرس رجلا ، هو أفرس منك فلحق بالقوم ؟ قال أبو عِيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا أفرس الناس ، ثم ضربت

(١) الرَضْع : جمع راضع ، وهو اللثيم والمعنى : اليوم يوم هلاك اللثام . (لسان العرب ص ١٢٨ ج ٨) .

الفرس ، فوالله ما جرى بى خمسين ذراعا حتى طرحنى ، فعجبت أن رسول الله ﷺ يقول : لو أعطيتَه أفرسَ منك ، وأنا أقول : أنا أفرس الناس فزعم رجالٌ من بنى زُرَيْق أن رسولَ الله ﷺ أعطى فرس أبى عياش مُعَاذ ابن ماعص ، أو عائذ بن ماعص بن قَيْس بن خَلْدَة ، وكان ثامنا ، وبعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، وي طرح أسيدَ بن ظهير ، أبا بنى حارثة ، والله أعلم أى ذلك كان . ولم يكن سلمة يومئذ فارسا ، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجليه . فخرج الفرسانُ فى طلب القوم حتى تلاحقوا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن أول فارس لحق بالقوم مُحَرَز بن نُضْلَة ، أخو بنى أسد بن خُزَيْمَة - وكان يُقال لمحرز : الأخرم ويقال له قُمَيْر - وأن الفرع لما كان جال فرسٌ لمحمود بن مَسْلَمَة فى الحائط ، حين سَمِع صاهلة الخيل ، وكان فرسا صَنِيعاً^(١) جأماً ، فقال نساءٌ من نساء بنى عبد الأشهل ، حين رأين الفرسَ يجول فى الحائط بِجَذَع نخل هو مَرْبُوط فيه : يا قُمَيْر ، هل لك فى أن تركب هذا الفرس ؟ فانه كما ترى ، ثم تَلْحَق برسول الله ﷺ وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعطيتَه إياه . فخرج عليه ، فلم يلبث أن بذ الخيل بجَمَامه ، حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قَفُوا يا معشر بنى اللَّكِيعة^(٢) حتى يلحق بكم مَنْ وَرَاءكم من أديباركم من المهاجرين والأنصار . قال : وحمل عليه رجلٌ منهم فقتله ، وجال الفرس ، فلم يَقْدِر عليه حتى وقف على آريئه^(٣) من بنى عبد الأشهل ، فلم يَقْتُل من المسلمين غيره .

قال ابن هشام : وقُتِل يومئذ من المسلمين مع مُحَرَز ، وقَاص بن مُجَرَز لجى ، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم .

(١) الفرس الصنيع - الذى يحمله أهله ويقومون عليه
(٢) اللَّكِيعة : اللثيمة .
(٣) الآرى : الحبل الذى تتد به الدابة ، وقد يسمى الموضع الذى تقف فيه الدابة آريا .
(لسان العرب من ٢١٠ ج ٨) .
(لسان العرب من ٣٢٢ ج ٨) .
(القاموس المحيط من ١٢٩ ج ١) .

● قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ من لأنهم عن عبد الله بن كعب بن مالك : أن مُجَرَّزًا إنما كان على فرس لعكاشة بن مِخْصَن ، يقال له : الجَنَاح ، ففُتِل مُجَرَّزٌ واستُلبَت الجَنَاح .

القتلى من المشركين :

. ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن رُبَعي ، أخو بني سلمة ، حبيب بن عيينة بن جِصْن ، وغشاه بُرْدَه ، ثم لحق بالناس .
وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين .
قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : فاذا حبيب مُسَجَّى (١) ببرد أبي قتادة ، فاسترجع (٢) ، الناس وقالوا : قُتِل أبو قتادة ؛ فقال رسول الله ﷺ : ليس بأبي قتادة ولكنه قَتِيل لأبي قتادة ، وضع عليه بُرْدَه ، لتعرفوا أنه صاحبه .

وأدرك عكاشة بن مِخْصَن أوزارًا وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فانْتَظَمَها بالرُمح ، فقتلها جميعا ، واستنقذوا بعضَ اللِّقَاح ، وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قَرْد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسول الله ﷺ به ، وأقام عليه يوما وليلة ؛ وقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرختني في مائة رجل لاستنقذت بقيَّة (٣) السَّرح ، وأخذت بأعناق القوم ؟ فقال له رسول الله ﷺ ، فيما بلغني : إنهم الآن لِيُغَبَّقُونَ (٤) في غَطَفَان .

(١) مسحى : معطى .
(٢) استرجع الناس : قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٣) السَّرح : المال السائم .
(٤) ليغبقون : يسقون اللس بالعشى .

(١) مسحى : معطى .

(٢) استرجع الناس : قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٣) السَّرح : المال السائم .

(٤) ليغبقون : يسقون اللس بالعشى .

• تقسيم الفيء بين المسلمين :

فقسم رسول الله ﷺ في أصحابه في كل مائة رجل جزورا ، وأقاموا عليها ، ثم رجع رسول الله ﷺ قافلا حتى قديم المدينة .

وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل رسول الله ﷺ ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر ، فلما فرغت ، قالت : يا رسول الله ، إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها ؛ قال : فتبسم رسول الله ﷺ ، ثم قال : بئس ما جزيتهما أن حملك الله عليها ونجأك بها ثم تنحرينها ! إنه لا نذر في مَعْصية الله ولا فيما لا تملكين ، إنما هي ناقة من إبل ، فارجعي إلى أهلِكَ على بركة الله .

والحديث عن امرأة الغفاري وما قالت ، وما قال لها رسول الله ﷺ ، عن أبي الزبير المكي ، عن الحسن بن أبي الحسن البصري .

غزوة بنى المصطلق^(١)

وقتها :

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا ، ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة ، في شعبان سنة ست .
قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ؛ ويقال : ثميلة ابن عبد الله الليثي .

سبب غزو الرسول لهم :

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، كل قد حدثني بعض حديث بنى المصطلق ،

(١) وتسمى أيضا : المريسي .

قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أنّ بنى المُصطلق يَجْمعون له ، وقائدهم الحارث ابن أبي ضرار أبو جُوَيْرِيّة بنت الحارث ، زوج رسول الله ﷺ ؛ فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خَرَج إليهم ، حتى لَقِيهم على ماءٍ لهم يقال له : المَرِيسيع ، من ناحية قُدِيد إلى الساحل ، فتزاحف الناسُ واقتتلوا ، فهزَمَ الله بنى المُصطلق ، وقُتِل من قُتِل منهم ، ونَقِل (١) رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

وقد أصيب رجلٌ من المسلمين من بنى كَلْب بن عَوْف بن عامر بن ليث ابن بكر ، يقال له : هشام بن صُبابَة ، أصابه رجلٌ من الأنصار من رَهْطِ عُبَادَة ابن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

فبينما رسول الله ﷺ على ذلك الماء ، وردت واردةُ الناس ، ومع عمر ابن الخطّاب أجيرٌ له من بنى غِفَار ، يقال له : جَهْجَاه بن مَسْعُود يقود فرسه ، فازدحم جَهْجَاه وسنان بن وَبَر (٢) الجُهْنى ، حليف بنى عَوْف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصَرَخ الجُهْنى : يا معشر الأنصار ، وصرخ جَهْجَاه : يا معشر المهاجرين (٣) ، فغضب عبدُ الله بن أبي بن سلُول ، وعنده رَهْط من قومه فيهم : زيد بن أَرْقَم ، غلام حَدَث ، فقال : أوَقَد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدّنا وجلابيب (٤) قريش إلا كما قال الأول : سَمَن كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ ، أما والله لئن رَجَعْنَا إلى المدينة لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ منها الْأَذَلَّ . ثم أقبل على مَنْ حَضَره من قومه ، فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحلّلتموهم بلادكم ، وقاسمتوهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أَرْقَم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوّه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمرُ بن

(١) النعل : العيمة والهمة .
(٢) قال السهيلي : وقال غيره . هو سنان بن تميم ، من حبيبة بن سود بن أسلم ، حليف الأنصار .
(٣) قال السهيلي ١٠٠ ولم يذكر ما قال النبي ﷺ حين سمعها ، وهى الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منها قال : دعوها فإنها منتنة ، يعنى أنها كلمة حنيئة ، لأنها من دعوى الحاهلية
(٤) جلابيب قريش : لقب من كان أسلم من المهاجرين ، لقبحهم بذلك المشركون أصل الجلابيب : الأزر العلاط كانوا يلتحمون بها ، فلقبوهم بذلك .

الخطّاب ، فقال : مُرّ به عبّاد بن بشر فليقتله ؛ فقال له رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ولكن أذن بالرحيل ، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس .

اعتذار ابن أبي للرسول :

وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به . وكان في قومه شريفاً عظيماً . فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل ، حدّبا على ابن أبي بن سلول ، ودفعنا عنه .

الرسول وأسيّد ومقالة ابن أبي :

قال ابن إسحاق : فلما استقلّ رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أسيّد بن حضير ، فحيّاه بتحيّة النبوة وسلّم عليه ، ثم قال : يا نبي الله ، والله فقد رُحِتَ في ساعة مُنكرة ، ما كنت تروح في مثله ؛ فقال له رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأيّ صاحبٍ يا رسول الله ﷺ قال : عبد الله بن أبي ؛ قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخرجن الأعزّ منها الأذلّ ، قال : فأنت يا رسول الله والله تُخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ؛ ثم قال : يا رسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجّوه ، فانه ليرى أنك قد استلبته مُلكاً .

سير الرسول بالناس ليشغلهم عن الفتنة :

ثم مشى^(١) رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آتته الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا

(١) يعنى أنه سار بهم حتى أصعب إيلهم

أَنْ وَجَدُوا مَسَّ الْأَرْضِ فَوْقَهُمْ نِيَامًا ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَشْغَلَ النَّاسَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي .

تنبؤ الرسول بموت رفاة :

ثم راح رسول الله ﷺ بالناس ، وسلَّك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فَوَيْقِ النَّقِيعِ^(١) ؛ يقال له : بقعاء . فلما راح رسول الله ﷺ هَبَّتْ على الناس ريحٌ شديدة آذنتهم وتخوفوها ؛ فقال رسول الله ﷺ : لا تخافوها ، فإنما هَبَّتْ لموت عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَاءِ الْكُفَّارِ . فَلَمَّا قَدَمُوا الْمَدِينَةَ وَجَدُوا رِفَاعَةَ ابْنَ زَيْدِ بْنِ النَّابُوتِ ، أَحَدِ بَنِي قَيْنِقَاعَ ، وَكَانَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَاءِ يَهُودَ ، وَكَهْفًا لِلْمُنَافِقِينَ ، مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

ونزلت السورة التي ذَكَرَ اللَّهُ فِيهَا الْمُنَافِقِينَ فِي ابْنِ أَبِي وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ أَمْرِهِ فَلَمَّا نَزَلَتْ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأُذُنِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا الَّذِي أَوْفَى اللَّهُ بِأَذَنِهِ . وَبَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِيهِ .

قال ابن إسحاق : فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَرِيدُ قَتْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فِيمَا بَلَغَكَ عَنْهُ ، فَإِنْ كُنْتُ لَا بَدَّ فَاعِلًا فَمُرْنِي بِهِ ، فَأَنَا أَحْمِلُ إِلَيْكَ رَأْسَهُ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ الْخَزْرَجُ مَا كَانَ لَهَا مِنْ رَجُلٍ أَبْرَّ بِوَالِدِهِ مِنِّي ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلَهُ ، فَلَا تَدْعُنِي نَفْسِي أَنْظُرَ إِلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَمْشِي فِي النَّاسِ ، فَأَقْتُلَهُ فَأَقْتُلَ رَجُلًا مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ ، فَأَدْخُلَ النَّارَ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ ، وَنُحَسِّنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا .

وجعل بعد ذلك إِذَا أَحْدَثَ الْحَدِيثَ كَانَ قَوْمُهُ هُمُ الَّذِينَ يُعَاتِبُونَهُ وَيَأْخُذُونَهُ وَيُعَنْفُونَهُ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ : كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ ؛ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَ قُلْتُ لِي أَقْتُلْهُ ، لَأُرْعِدْتَ لَهُ أَنْفَ ،

(١) النَّقِيعُ : الشَّرُّ الْكَثِيرُ الْمَاءِ .

(لسان العرب من ٣٥٩ ح ٨) .

لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ؛ قال : قال عمر : قد والله علمتُ لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى .

مقيس بن صُبابَة وحيلته في الأخذ بثأر أخيه وشعره في ذلك :

قال ابن إسحاق : وقَدِمَ مَقِيسُ بْنُ صُبابَةَ مِنْ مَكَّةَ مُسْلِمًا ، فِيمَا يُظْهَرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جِئْتُكَ مُسْلِمًا ، وَجِئْتُكَ أَطْلُبُ دِيَّةَ أَخِي ، قُتِلَ خَطَاً ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِدِيَةِ أَخِيهِ هِشَامِ بْنِ صُبابَةَ ؛ فَأَقَامَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَيْرَ كَثِيرٍ ، ثُمَّ عَدَا عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ مُرْتَدًّا ؛ فَقَالَ فِي شَعْرِهِ يَقُولُهُ :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَدِمْتُ بِالْقَاعِ (١) مُسْنَدًا تُصَرِّجُ (٢) تَوْبِيهِ دِمَاءَ الْأَخْدَاعِ (٣)
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ تَلِمَ (٤) فَتَحْمِينِي (٥) وَطَاءَ الْمَضَاجِعِ (٦)
حَلَلْتُ بِهِ وَتَرَى (٧) وَأَدْرَكْتُ تُورَتِي (٨) وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعٍ
تَأَرْتُ بِهِ فَهَرًا وَحَمَلْتُ عَقْلَهُ (٩) سَرَاةً (١٠) بَنَى النَّجَّارُ أَرْبَابَ فَارِعَ (١١)

● شعار المسلمين :

● قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق :
يا منصور ، أمثُ أمثُ .

-
- (١) القاع : المسخف من الأرض .
(٢) تصرِّج : تطلع .
(٣) الأخادع : عروق القفا . الأخدعان : عرقان في جاني العنق قد حفيا ويطنا والجمع الأخادع .
(٤) تلم : تساورنى وتحل بى .
(٥) تحمىنى : تمنعنى .
(٦) وطاء المضاجع . لبيائها .
(٧) الورث : الطالب نالئار .
(٨) الثؤرة : الثأر .
(٩) العقل : الذية .
(١٠) سراة بنى النخار : حيارهم .
(١١) فارع : حصن بالمدينة يقال إنه حصن حصان بن ثابت .
(لسان العرب ص ٣٠٤ ج ٨) .
(لسان العرب ص ٣١٣ ج ٢) .
(لسان العرب ص ٦٦ ج ٨) .
(السيرة ص ٢٩٣) .
(ترتيب القاموس ص ٧١٩ ج ١) .
(السيرة ص ٢٩٣) .
(لسان العرب ص ٢٧٤ ج ٥) .
(لسان العرب ص ٩٧ ج ٤) .
(لسان العرب ص ٤٦٠ ج ١١) .
(ترتيب القاموس ص ٥٥٨ ج ٢) .
(لسان العرب ص ٢٥١ ج ٨) .

قَتْلَى بَنَى الْمَصْطَلَق :

قال ابن إسحاق : وَأَصِيبَ مِنْ بَنَى الْمَصْطَلَقِ يَوْمَئِذٍ نَاسٌ ، وَقَتْلَ عَلَى
ابن أبي طالب منهم رجلين ، مالكا وابنه ، وَقَتْلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَجُلًا
مِنْ فُرْسَانِهِمْ ، يُقَالُ لَهُ : أَحْمَر ، أَوْ أَحْيَمَر .

أَمْرُ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِث :

وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبياً كثيراً ، فَشَاقَسَمَهُ فِي
المسلمين ؛ وكان فيمن أصيب يومئذ من السبأيا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ أَبِي
ضِرَارٍ ، زوج رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُرْوَةَ بْنِ
الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبَايَا بَنَى الْمَصْطَلَقِ
وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّامِاسِ ، أَوْ لِابْنِ
عَمٍّ لَهُ فَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا ، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلُوَةً مُلَاحَةً (١) ، لَا يَرَاهَا أَحَدٌ
إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهَا فَأَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا ؛ قالت عائشة : فوالله
مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي فَكَرِهْتُهَا ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سِيرَى مِنْهَا ﷺ
مَا رَأَيْتُ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ
أَبِي ضِرَارٍ ، سَيِّدِ قَوْمِهِ ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ ، مَا لَمْ يَخَفْ عَلَيْكَ ، فَوَقَعْتَ
فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّامِاسِ ، أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ ، فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي ،
فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي ؛ قال : فَهَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ ؟ قالت : وَمَا هُوَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : أَقْضَى عَنْكَ كِتَابَتُكَ وَأَتَزَوَّجُكَ ؛ قالت : نَعَمْ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قال : قَدْ فَعَلْتُ .

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جُوَيْرِيَةَ ابْنَةَ
الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ ، فقال الناس : أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَرْسَلُوا

(١) الْمُلَاحَةُ : الشَّيْءُ الْمَلَحُ

(لسان العرب ص ٦٠١ ح ٢)

ما بأيديهم ؛ قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ،
فما أعلم امرأة كانت اعظم على قومها بركة منها(١) .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بنى
المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى
رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله ﷺ
المدينة ؛ فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته ؛ فلما كان بالعقيق نظر
إلى الإبل التي جاء بها للفداء ، فرغب في بيعين منها ، فغنيهما في شعب من
شعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبي ﷺ وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتي ، وهذا
فداؤها ؛ فقال رسول الله ﷺ : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق ، في
شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك محمد رسول الله
فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له ، وناس
من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبي ﷺ ،
ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت ، وحسن إسلامها ؛ فخطبها
رسول الله ﷺ إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربع مائة درهم .

الوليد بن عقبة وبنو المصطلق وما نزل في ذلك من القرآن :

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان : أن رسول الله ﷺ ، بعث
إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ،
فلما سمع بهم هابهم ، فرجع إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره أن القوم قد هموا
بقتله ، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم ، فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم ، حتى
هم رسول الله ﷺ بأن يغزوهم ، فبيناهم على ذلك قدم وفدهم على

(١) قال السهيلي : وأما بطره ﷺ لجويرية حتى عرف من حسنها ما عرف ، فلما كان ذلك لأنها امرأة مملوكة ،
ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء . وحائر أن يكون نظر إليها لأنه أراد نكاحها ،
كما نظر إلى المرأة التي قالت : إني قد وهنت نفسي لك يا رسول الله فصعد فيها النظر ثم صوب ، ثم أنكحها
من غير . وقد ثبت عنه ﷺ الرحمة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها ، وقال المعيرة حين شاوره في
نكاح امرأة : لو نظرت إليها ، فإن ذلك أحرى أن يؤتم ببيكما ، وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح
بثينة بنت الصحاك .

رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنُكرِّمه ، ونُؤدِّي إليه ما قَبَلنا من الصدقة ، فانْشَمِرَ (١) راجعا ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أَنَّا خرجنا إليه لنقتله ، والله ما جئنا لذلك ، فَأَنْزَلَ الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ، فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ﴾ .. إلى آخر (الآية) (٢) .

وقد أَقبل رسولُ الله ﷺ من سفره ذلك ، كما حدثني من لأتهم ، عن الزهري ، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى إذا كان قريبا من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك (٣) ما قالوا .

خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق (٤)

(سنة ست هـ)

قال ابن إسحاق : حَدَّثَنَا الزهري ، عن علقمة بن وقاص وعن سعيد بن جبير وعن عروة بن الزبير ، وعن عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ قَالَ : كُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بعض هذا الحديث ، وبعضُ القوم كان أُوْعَى له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حَدَّثَنِي القوم .

شأن الرسول مع نسائه فى سفره :

قال محمد بن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن عائشة ، وعبدُ الله بن أبى بكر ، عن عَمْرَةَ بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكل قد دخل فى

(١) انْشَمَرَ للأمر : تهيأ له .

(٢) سورة الحجرات : آيتى (٦ ، ٧) .

(٣) الإفك : الكذب .

(٤) راجع كتب التفسير ومنها : الطبرى ، وابن كثير ، والقرطبي ، وأيضا كتب السنة .

حديثها عن هؤلاء جميعا يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكُلهم حدث عنها وسمع ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أفرع بين نسائه ، فأيهن خرج سهمها خرج بها معه ؛ فلما كانت غزوة بنى المصطلق أفرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن معه ، فخرج بي رسول الله ﷺ .

سقوط عقد عائشة وتخليها للبحث عنه :

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق^(١) لم يهجهن^(٢) اللحم فينقلن ، وكنت إذا رُحِل لي بعيرى جلستُ في هودجى ، ثم يأتى القوم الذين يرحلون إلى ويحملوننى ، فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه ، فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك ، وجّه قافلا ، حتى إذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجتُ لبعض حاجتى ، وفى عنقى عقد لى ، فيه جَزَع^(٣) ظفار ، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى ، فلما رجعت إلى الرّحل ذهبُ أَلْتَمَسه فى عنقى ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرّحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبى إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافى ، الذين كانوا يرحلون لى البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنى فيه ، كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدّوه على البعير ، ولم يشكوا أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به فرجعتُ إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مُجيب ، قد انطلق الناس .

(١) العلق : جمع علقَة : وهى ما فيه نلعة من الطعام إلى وقت العداة .

(لسان العرب ص ٢٦٣ ج ١٠)

(السيرة ص ٢٩٧)

(ترتيب القاموس المحيط ص ٤٨٧ ، ج ١)

(٢) التهييج : كالورم فى الحسد .

(٣) الحرع : الحرز .

مرور ابن المعطل بها واحتماله إياها على بعيره :

قالت : فتلففت بجلبابى ، ثم اضطجعتُ فى مكانى ، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلى . قالت : فوالله إني لمضطجعة إذ مرّ بى صفوان بن المعطل السُّلمى وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته (١) ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادى فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رأتى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، طعينة رسول الله ﷺ ! وأنا متلففة فى ثيابى ، قال : ما خلّفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرب البعير ، فقال : اركبى ، واستأخر عني . قالت : فركبتُ ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعا ، يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى ، فقال أهل الإفك ما قالوا فارتعج (٢) العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك .

إعراض الرسول عنها :

ثم قَمَنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكى شكاوى شديدة ، ولا يبلغنى من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ ، وإلى أبوى لا يذكران لى منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أتى قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بى ، كنت إذا اشتكى رَجَمنى ، ولطف بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شكاوى تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل على وعندى أمى تمرضى - قال ابن هشام : هى أم رومان ، واسمها زَيْنَب بنت عبد دُهمان ، أحد بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة - قال : كيف تيكم ، لا يزيد على ذلك .

انتقالها إلى بيت أبيها وعلمها بما قيل فيها :

قال ابن إسحاق : قالت حتى وجدتُ فى نفسى ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيتُ ما رأيت من جفائه لى : لو أننت لى ، فانتقلت إلى أمى ، فمرّضتنى ؟

(١) كان صفوان على ساقفة العسكر يلتقط ما يسقط من منافع المسلمين حتى يأتيهم به ولذلك تخلف .

(٢) ارتعج . أى ارتعد . (ترتيب القاموس المحيط ص ٣٥٤ ، ح ٢)

قال : لا عليك . قالت : فانتقلت إلى أمي ، ولا علم لي بشيء مما كان ، حتى نَقِهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوما عربا ، لا نتخذ في بُيوتنا هذه الكُفَّ التي تتخذها الأعاجم ، نَعافها ونكرها ، إنما كنَّا نذهب في فُسح المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن كلَّ ليلة في حوائجهنَّ ، فخرجتُ ليلةً لبعض حاجتي ومعى أمُّ مسطح بنت أبي رُهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ قالت : فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطِها(١) ؛ فقالت : تَعس مسطح ! ومسطح لقب واسمه عوف ؛ قالت : قلت : بتس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً ؛ قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ، ورجعت ؛ فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيَصُدِّع(٢) كَبْدِي ؛ قالت : وقلت لأمي : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أي بنيَّة ، خَفَضِي(٣) عليك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر . إلا كَثُرْنَ وكَثُرَ الناس عليها .

خطبة الرسول في الناس يذكر إيذاء قوم له في عرضه :

قالت : وقد قام رسولُ الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غيرَ الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يَدْخُل بيتا من بيوتى إلا وهو معي .

(١) البُرْط : كساء من صوف أو خِر ح مُرَوِّط .

(٢) سيصدع : سيتق

(٣) حفصى عليك : هوى عليك .

(ترتيب القاموس ص ٢٢٩ ، ح ٤)

(ترتيب القاموس المحيط ح ٢ ، ص ٨٠٥) .

(ترتيب القاموس المحيط ح ٢ ، ص ٨٣)

أثر ابن أبي وحمئة في إشاعة هذا الحديث :

قالت : وكان كُبر^(١) ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمئة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ، ولم تكن من نسائه امرأة تُناصيني^(٢) في المنزل عنده غيرها ؛ فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرا وأما حمئة بنت جحش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تُضادني لأختها ، فشقيقت بذلك .

ما كان بين المسلمين بعد خطبة الرسول :

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس تكفكمهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم ؛ قالت : فقام سعد بن عباد ، وكان قبل ذلك يرى رجلا صالحا ؛ فقال : كذبت لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ، فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك مُنافق تُجادل عن المنافقين ؛ قالت : وتساور^(٣) الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر . ونزل رسول الله ﷺ ، فدخل على .

استشارة الرسول لعلي وأسامة :

قالت : فدعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد ، فاستشارهما ؛ فأما أسامة فأثنى على خيرا وقاله ؛ ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرا ، وهذا الكذب والباطل ؛ وأما علي فانه قال : يا رسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف ، وسل الجارية ،

(١) ترتيب القاموس ص ٧ ج ٤) .

(٢) لسان العرب ص ٣٢٧ ح ١٥) .

(٣) لسان العرب ص ٣٨٥ ج ٤) .

(١) الكبير (بالضم والكسر) : الإثم .

(٢) تناصيني : تنارعني وتباريني .

(٣) تساور الناس : قام بعضهم إلى بعض .

فانها ستصدقك . فدعا رسول الله ﷺ بُريرة لیسألها ؛ قالت : فقام إليها على ابن أبى طالب ، فضربها ضربا شديداً ، ويقول : اصدقى رسول الله ﷺ ؛ قالت : فتقول والله ما أعلم إلا خيرا ، وما كنت أعيب على عائشة شيئا ، إلا أنى كنت أعجن عجيني ، فأمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتى الشاة فتأكله .

نزول القرآن ببراءة عائشة :

قالت : ثم دخل على رسول الله ﷺ ، وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ، وأنا أبكى ، وهى تنكى معى ، فجلس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة ، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءاً^(١) مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فان الله يقبل التوبة عن عباده ؛ قالت : فوالله ما هو إلا أن قال لى ذلك ، فقلص^(٢) دمعى ، حتى ما أحس منه شيئا ، وانتظرت أبوى أن يجيبا عنى رسول الله ﷺ ، فلم يتكلما قالت : وايم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى ، وأصغر شأننا من أن ينزل الله فى قرآنا يقرأ به فى المساجد ، ويصلى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى نومه شيئا يكذب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبرا ؛ فأما قرآن ينزل فى ، فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوى يتكلمان ، قالت : قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله ﷺ ؟ قالت : فقالا : والله ما ندرى بماذا نجيبه ؛ قالت : ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام ؛ قالت : فلما أن استعجما على ، استعبرت فبكيت ؛ ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا . والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوننى . قالت :

(١) لسان العرب ص ٢٨٠ ج ٩ .

(١) قارفت سوءا : يعنى : ارتكبت ذنبا أو عملت ديبا .

(٢) قلص دمعى : ارتفع .

(٢) قلص دمعى : ارتفع .

ثم التمسيت اسمَ يعقوب فما أذكره ؛ فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف :
﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (١) . قالت : فوالله
ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تَغَشَّاهُ من الله ما كان يَتَغَشَّاهُ ، فسَجَّيْ
بثوبه ووَضعت له وسادة من أَدَم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك
ما رأيت ، فوالله ما فَرَعْتُ ولا بِالَيْتُ ، قد عَرَفْتُ أنى بَرِيئَةٌ ، وأن الله عَزَّ
وَجَلَّ غَيْرُ ظالِمٍ ؛ وأما أَبَوَاي ، فوالذى نفسُ عائشة بيده ، ما سُرِّى عن
رسول الله ﷺ حتى ظننتُ لتخرجنَّ أنفسهما ، فَرَقَا من أن يأتى من الله تحقيق
ما قال الناس ؛ قالت : ثم سُرِّى عن رسول الله ﷺ ، فجلس ، وإنه ليتحدَّر
منه مثل الجُمان (٢) فى يوم شاتٍ ، فجعل يَمَسَحُ العرق عن جَبِينِهِ ، ويقول :
أُبَشِّرُ يا عائشة ، فقد أنزل الله بَرَاءَتَكَ ؛ قالت : قلت : بحمد الله ثم خرج إلى
الناس ، فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر
بِمِسْطَحِ بْنِ أَثَّاثَةَ ، وحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَحَمْنَةَ بِنْتَ جَحْشٍ ، وكانوا ممن أفصح
بالفاحشة ، فضربوا حدَّهم .

أبو أيوب وذكره طهر عائشة لزوجهِ :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار عن بعض رجال بنى
النَّجَّار أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ،
ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت يا أم
أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنتُ لأفعله ؛ قال : فعائشة والله خيرُ منك .

ما نزل من القرآن فى ذلك :

قالت : فلما نزل القرآن بذكر مَنْ قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل
الإفك قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لَا تُخْسِبُوهُ شَرًّا

(١) سورة يوسف آية ١٨ .

(٢) ترتيب القاموس المحيط ص ٥٣٤ ح ١) .

(٢) الحُمان . حب من قصعة يصنع فى مثل الدر .

لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ .

وقال ابن هشام : والذى تولى كِبْرَهُ عبد الله بن أبى ، وقد ذكر ذلك ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا . ثم قال تعالى : ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (٢) : أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبه ، ثم قال : ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ، وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (٣) .

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ما قال ، قال أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقربته وحاجته : والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا ، ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة ، وأنخل علينا ؛ قالت : فأنزل الله فى ذلك ﴿وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلْيُغْفَوْا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤) .

وقال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله ، إني لأحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

● قالت : وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن ابن المفضل ، فوجدوه رجلا حَصُورا ، ما يأتى النساء ، ثم قُتل بعد ذلك شهيدا . وقال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة رضى الله عنها :

(١) سورة النور آية ١١ .

(٢) سورة النور الآية ١٢ .

(٣) سورة النور الآية ١٥ .

(٤) سورة النور الآية ٢٢ .

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيَّةٍ وَتُصَبِّحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ (١)
عَقِيلَةٌ حَيٌّ مِنْ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرَ رَائِلِ (٢)
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ (٣)
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَلْتُ الَّذِي قَدْ رَعَمْتُمْ فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَى أَنْامِلِي (٤)
وَكَيْفَ وَوَدَى مَا حَيَّيْتُ وَنُصْرَتِي لَأَلَّ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنَ الْمَحَافِلِ
لَهُ رَتَّبَ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ تَقَاصَرُ عَنْهُ سُورَةُ الْمُتَطَاوِلِ (٥)
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَائِطٍ وَلَكِنَّهُ قَوْلُ امْرِئٍ بَى مَاجِلِ (٦)

أمر الحديبية في آخر سنة ست ، وذكر بيعة الرضوان

وَالصَّلْحَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وبين سهيل بن عمرو

خروج الرسول :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهرَ رمضان وشوالاً ،
وخرج في ذى القعدة معتمراً ، لا يريد حرباً .

-
- (١) الحصان : العفيفة .
المراس : الملازمة موضعها .
ما تزن : ما تنهم .
عرثي : حائفة .
العوافل : جمع عافلة ويعنى بها الغافلة القلب عن الشر .
- (٢) العقيلة : الكريمة .
المساعي : جمع مسعاة .
- (٣) الحيم : الطبع .
- (٤) الأنامل : الأصابع . ومفردها الأنمل .
- (٥) الرتب : ما ارتفع من الأرض وعلا . ويريد به هنا الشرف والمجد . والسورة (بفتح السين) الوثبة . وبضم السين : المبرلة .
- (٦) لائط . لاصق . والماجل : الماشي بالميمية .
- (ترتيب القاموس المحيط ص ٦٥٧ ح ١) .
(لسان العرب ص ١٧٩ ج ١٣) .
(لسان العرب ص ٢٠٠ ح ١٣) .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٣٨٠ ح ٣) .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٢٧٨ ح ٣) .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٥٦٨ ج ٢) .
(ترتيب القاموس المحيط ص ١٤٠ ح ٢) .
(لسان العرب ص ٦٧٩ ح ١١) .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٢٩٨ ج ٢) .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٢١٠ ح ٤) .

استنفار الرسول الناس :

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومَن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قُرَيْش الذي صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب ، وخرج رسولُ الله ﷺ مَمَّن معه من المهاجرين والأنصار ومن لَحِقَ به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ليأمن النَّاسُ من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عروة ابن الزبير عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا : خرج رسولُ الله ﷺ عام الحُدَيْبِيَّةِ^(١) يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالا ، وساق معه الهدى سبعين بَدَنَةً ، وكان الناس سبع مائة رجل ، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر .

وكان جابر بن عبد الله ، فيما بلغني ، يقول : كنّا أصحابَ الحُدَيْبِيَّةِ أربع عشرة مائة .

قال الزهري : وخرج رسولُ الله ﷺ ، حتى إذا كان بعُسفان^(٢) لقيه بشر بن سفيان الكعبي - قال ابن هشام : ويقال بسُر - فقال : يا رسول الله هذه قُرَيْش ، قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل^(٣) ، قد لبسوا

(١) الحُدَيْبِيَّة (بضم الحاء وفتح الدال وياه ساكنة وباء موحدة مكسورة وياه . وقد اختلف فيها فهمهم من شدد ومنهم من حفف) : قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسحد الشجرة تابع رسول الله ﷺ تحتها ، بينها وبين مكة مرحلة ، بينهما وبين المدينة تسع مراحل (عن معجم البلدان) .

(٢) عسفان : منهلة من مداخل الطريق بين الحفة ومكة ؛ وقيل : هي بين المسحدين ، وهي من مكة على مرحلتين ؛ وقيل عبر ذلك . (راجع معجم البلدان) .

(٣) العوذ : جمع عائد ، وهي من الإبل الحديثة النتاح . ترتيب القاموس المحيط ص ٣٤٠ ج ٣ . المطافيل : التي معها أولادها . ترتيب القاموس المحيط ص ٢٥٨ ح ٤ .

جُلُودَ النُّمُورِ ، وقد نَزَلُوا بِذِي طُوًى^(١) ، يُعَاهِدُونَ اللَّهَ لَا تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ أَبَدًا ، وهذا خالد بن الوليد في خَيْلِهِمْ قَدْ قَدَّمُوهَا إِلَى كُرَاعِ الْعَمِيمِ^(٢) ؛ قال : فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا وَبَيْحَ قُرَيْشٍ ! لَقَدْ أَكَلْتُمُ الْحَرْبَ ، ماذا عليهم لو خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ ، فإن هُمُ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا ، وإن أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَأَفْرَيْنَ ، وإن لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ ، فما تَطَنَّ قُرَيْشٌ ، فوالله لا أزال أَجَاهِدُ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ تَنْفَرِدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ^(٣) ، ثم قال : مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَا ؟

تجنب الرسول لقاء قريش :

قال ابن إسحاق : فحدثني عبدُ الله بن أبي بكر : أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله ؛ قال : فَسَلِّكْ بِهِمْ طَرِيقًا وَعَرَا أَجْرَلْ^(٤) (بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَفْضَوْا إِلَى أَرْضِ سَهْلَةٍ عِنْدَ مُنْقَطَعِ الْوَادِي ؛ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ للناس : قُولُوا نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَنُتُوبُ إِلَيْهِ ؛ فقالوا ذلك ، فقال : وَاللَّهِ إِنَّهَا لِلْحِطَّةِ^(٥) الَّتِي عُرِضَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ . فلم يَقُولُوهَا .

قال ابنُ شهاب : فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ فَقَالَ : اسْلُكُوا ذَاتَ الْيَمِينِ بَيْنَ ظَهْرِي الْحَمَشِ ، فِي طَرِيقٍ (تُخْرِجُهُ) عَلَى ثَنِيَّةِ الْمُرَارِ مَهْبُطِ الْحُدَيْبِيَّةِ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ ؛ قال : فَسَلِّكُ الْجَيْشُ ذَلِكَ الطَّرِيقَ ، فلما رَأَتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ قَتْرَةَ^(٦) الْجَيْشِ قَدْ خَالَفُوا عَنْ طَرِيقِهِمْ ، رَجَعُوا رَاكِضِينَ إِلَى قُرَيْشٍ ، وخرج رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى إِذَا سَلَكَ ، فِي ثَنِيَّةِ الْمُرَارِ بَرَكْتَ نَاقَتُهُ ، فَقَالَتْ

-
- | | |
|-------|---|
| (١) | دو طوى : موضع قرب مكة . |
| (٢) | كُرَاعِ الْعَمِيمِ : موضع بناحية الحجار بين مكة والمدينة . |
| (٣) | السَّالِفَةُ : صفحة العنق . |
| (٤) | أَجْرَلْ : الكثير الحجارة . |
| (٥) | الحِطَّةُ : يريد قول الله تعالى لبني إسرائيل : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا . |
| (٦) | قَتْرَةُ الْحَيْشِ : عماره . |
- (ترتيب القاموس المحيط ص ١١٤ ح ٣) .
(لسان العرب ص ٣٠٩ ح ٨) .
(لسان العرب ص ١٥٩ ج ٩) .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٥٩٨ ح ٢) .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٥٥٨ ح ٣) .

الناس : خَلَّتْ (١) النافقة ، قال : ما خلأت وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابسُ الفيل عن مكة . لا تَدْعُونِي قريش اليومَ إلى خُطَّةٍ يسألونني فيها صِلَةَ الرحم إلا أعطيتُهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا ؛ قيل له : يا رسول الله : ما بالوادي ماءً ننزل عليه ، فأخرج سهماً من كِنَانَتِهِ ، فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فَنَزَلَ بِهِ فِي قَلْبِيب (٢) من تلك القُلُوب . فَعَرَزَهُ فِي جَوْفِهِ ، فجاش (٣) بِالرَّوَاء (٤) حتى ضَرَبَ الناس عنه بَعَطَن (٥) .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعضُ أهل العلم عن رجال من أسلم : أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جُنْدَب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة ابن سَهْم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفضى بن أبي حارثة ، وهو سائق بُذْن رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لي بعضُ أهل العلم : أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ ؛ فالله أعلم أي ذلك كان .

وقد أُنشِدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجية ، قد ظَننا أنه هو الذي نزل بالسهم ، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بذلواها ، وناجية في القليب يميح (٦) على الناس ، فقالت :

يأيها المائح دَلَوِي دُونَكَا إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا
يُثْنُونَ خَيْرًا وَيُمَجِّدُونَكَا

فقال الزهري في حديثه : فلما اطمأن رسول الله ﷺ أَنَاهُ بُدِيلُ بْنُ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِي ، فِي رِجَالٍ مِنْ خُزَاعَةَ ، فَكَلَّمُوهُ وَسَأَلُوهُ : مَا الَّذِي جَاءَ بِهِ ؟ فَأَخْبَرَهُمْ

(١) خَلَّتْ : بركت . قال أبو ذر : ه الخلاء هي الإبل : بمنزلة الحرا في الدواب ، وقال بعضهم : لا يقال إلا للنافقة خاصة .
(٢) القليب : النثر .
(٣) حاش : ارتفع .
(٤) الرواء (بفتح الراء) : الكثير .
(٥) المعطن : مترك الإبل حول الماء .
(٦) يميح على الناس : يملأ الدلاء .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٨٧ ج ٢) .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٦٧٢ ح ٣) .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٤٣٢ ح ٣) .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٤١٨ ح ٢) .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٢٥٤ ح ٣) .
(لسان العرب ص ٦٠٨ ج ٢) .

أنه لم يأت يُريد حربا ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظماً لحرمته ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سُفْيَان ، فرجعوا إلى قُريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تَعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائراً هذا البيت ، فاتهموهم وجبَّهوهم^(١) وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قَبالا ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ، ولا تَحَدَّثْ بذلك عنَّا العرب .

قال الزهري : وكانت خُزاعة عَيَّبة نُصَح^(٢) رسول الله ﷺ ، مُسْلِمُهَا ومُشْرِكُهَا ، لا يُخْفون عنه شيئاً كان بمكة .

قال : ثم بعثوا إليه مَكْرَز بن حَفْص بن الأَخِيف ، أخا بني عامر بن لُؤَيٍّ ، فلما رآه رسول الله ﷺ مُقبِلاً قال : هذا رجل غادر ؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكَلَّمَهُ ، قال له رسولُ الله ﷺ نحواً مما قال لِبُدَيْل وأصحابه ، فرجع إلى قُريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ .

ثم بعثوا إليه الحُلَيْس بن عَلَقْمَة أو ابن رَبَّان ، وكان يومئذ سَيِّد الأحابيش ، وهو أحد بني الحارث بن عبد مَنَاة بن كِنانة ؛ فلما رآه رسول الله ﷺ قال : إن هذا من قوم يَنَالُوهن^(٣) ، فابعثوا الهَدْيَ في وَجْهِهِ حتى يراه ، فلما رأى الهَدْيَ يَسِيل عليه من عُرْض^(٤) الوادي في قَلائِده^(٥) ، وقد أكل أُوْبَارَهُ من طُولِ الحَبْسِ عن مَحَلِّهِ^(٦) ، رجع إلى قُريش ، ولم يَصِلْ إلى رسولِ الله ﷺ إعْظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فانما أنت أَعْرَابِي لا عِلْمَ لكَ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن الحُلَيْسَ غضب عند ذلك وقال : يا معشر قُريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا

(١) جبَّهوهم : خاطبوهم بما يكرهون .

(٢) لسان العرب ص ٤٨٣ ج ١٣ .

(٣) يَنَالُوهن : يتعنَّدون ويعطمون أمر الإله .

(٤) عَرْض الوادي : حانته .

(٥) القلائد : ما يعلق في أعناق الهدى ليعلم أنه هدى .

(٦) محله : موضعه الذي ينحر فيه من الحرم .

(٢) عَيَّبة نصح الرسول ، أى حاصته وأصحاب سره .

(٣) يَنَالُوهن : يتعنَّدون ويعطمون أمر الإله .

(٤) عَرْض الوادي : حانته .

(٥) القلائد : ما يعلق في أعناق الهدى ليعلم أنه هدى .

(٦) محله : موضعه الذي ينحر فيه من الحرم .

عاقداكم أَيْصَدَّ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ مَنْ جَاءَ مَعْظَمًا لَهُ ! وَالَّذِي نَفْسُ الْخُلَيْسِ بِيَدِهِ ،
لَتُخْلَنَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ ، أَوْ لَأَنْفَرَنَّ بِالْأَحَابِيشِ نَفْرَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ .
قَالَ : فَقَالُوا لَهُ : مَهْ ، كَفَّ عَنَا يَا خُلَيْسَ حَتَّى نَأْخُذَ لَأَنْفُسِنَا مَا نَرْضَى بِهِ .

قَالَ الزَّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ : ثُمَّ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ
النُّقْفَى ؛ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشَ ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَا يُلْقَى مِنْكُمْ مَنْ بَعَثْتُمُوهُ إِلَى
مُحَمَّدٍ إِذْ جَاءَكُمْ مِنَ التَّعْنِيفِ وَسُوءِ اللَّفْظِ ، وَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنْكُمْ وَالِدًا (١) وَإِنِّي وَلَدٌ
وَكَانَ عُرْوَةَ لِسُبَيْعَةَ بِنْتِ عَبْدِ شَمْسٍ - وَقَدْ سَمِعْتُ بِالَّذِي نَابَكُمْ ، فَجَمَعْتُ مِنْ
أَطَاعَنِي مِنْ قَوْمِي ، ثُمَّ جِئْتُكُمْ حَتَّى آسَيْتُكُمْ (٢) بِنَفْسِي ؛ قَالُوا : صَدَقْتَ ،
مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمَتِّهِمْ . فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ
قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَجْمَعْتَ أَوْشَابَ (٣) النَّاسِ ، ثُمَّ جِئْتَ بِهِمْ إِلَى بَيْضَتِكَ (٤)
لِنَقْضِهَا (٥) بِهِمْ ، إِنَّهَا قُرَيْشٌ قَدْ خَرَجَتْ مَعَهَا الْعُودُ الْمُطَافِيلُ . قَدْ لَبِسُوا جُلُودَ
الْثَمُورِ ، يُعَاهِدُونَ اللَّهَ لَا تَدْخُلْهَا عَلَيْهِمْ عَنُودٌ أَبَدًا . وَإِنَّمَا اللَّهُ ، لَكَأَنِّي بِهِؤَلَاءِ قَدْ
انْكَشَفُوا عَنْكَ غَدًا . قَالَ : وَأَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ ؛
فَقَالَ . امْصُصْ بِظُرِّ اللَّاتِ ، أَنَحْنُ نُنْكَشِفُ عَنْهُ ؟ قَالَ : مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّدُ ؟
قَالَ : هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؛ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا يَدُكَ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لِكَافَأَتِكَ بِهَا ،
وَلَكِنْ هَذِهِ بِهَا ؛ قَالَ : ثُمَّ جَعَلَ يَتَنَاوَلُ لِحْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَكْلِمُهُ . قَالَ :
وَالْمَغِيرَةُ بَنُ شُعْبَةَ وَاقِفٌ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَدِيدِ . قَالَ : فَجَعَلَ
يَقْرَعُ يَدَهُ إِذَا تَنَاوَلُ لِحْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيَقُولُ : أَكْفَفَ يَدُكَ عَنْ وَجْهِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ لَا تَصَلَ إِلَيْكَ ؛ قَالَ : فَيَقُولُ عُرْوَةُ : وَيَحْكُ ! مَا أَفْظَكَ
وَأَغْلَظَكَ ! قَالَ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ : مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّدُ ؟

(١) وَالِدٌ : أَيُّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ كَالْوَالِدِ . وَقِيلَ أَيُّ أَنْكُمْ حَتَّى قَدْ وَلَدْنِي لِأَنَّهُ كَانَ لِسُبَيْعَةَ بِنْتِ عَبْدِ شَمْسٍ .

(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٤٦٧ ج ٣) .

(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٣٥ ج ١٤) .

(تَرْتِيبُ الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ ص ٦١٣ ج ٤) .

(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ١٢٧ ج ٧) .

(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٢٠٦ ج ٧) .

(٢) آسَيْتُكُمْ : عَاوَيْتُكُمْ .

(٣) الْأَوْشَابُ : الْأَحْلَاطُ .

(٤) بَيْضَةُ الرَّجُلِ . أَهْلُهُ وَقَبِيلَتُهُ .

(٥) نَقَضَهَا : تَكْسَرَهَا .

قال : هذا ابن أخيك المُغيرة بن شُعبة ؛ قال : أى غُدر ، وهل غَسَلْتُ سَوْءَكَ
إلا بالأمس .

قال ابن هشام : أراد عُروة بقوله هذا أن المُغيرة بن شُعبة قبل إسلامه
قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك ، من ثقيف ، فتهايج الحَيَّان من ثقيف :
بنو مالك رهط المَقْتولين ، والأحلاف رَهْط المُغيرة ، فودى عُروة المَقْتولين
ثلاث عشرة ديةً ، وأصلح ذلك الأمر .

قال ابن إسحاق قال الزهرى : فكلمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلم به
أصحابه ، وأخبره أنه لم يأتِ يريد حربا .

فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ
إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يَنصِقُ بَصَافًا إلا ابتدروه . ولا يَسْقُطُ من شَعْرِهِ شَيْءٌ
إلا أخذوه . فرجع إلى قُريش ، فقال : يا معشر قُريش ، إني قد جِئْتُ كِسْرَى
فى مُلكه ، وقِصر فى مُلكه . والنَّجَاشِى فى مُلكه . وإني والله ما رأيتُ مَلِكًا
فى قوم قطُّ مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيتُ قوما لا يُسَلِّمونه لشيء أبدا ،
فَرَوْا رَأْيَكُمْ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أن رسول الله ﷺ دعا
خراش بن أمية الخُزاعى ، فَبَعَثَهُ إلى قُريش بمكة ، وَحَمَلَهُ على بعير له يقال
له التَّلْعَب ، ليبُلِّغَ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعَقَرُوا به جمل رسول الله ﷺ ،
وَأَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَمَنَعَتْهُ الْأَحَابِيشُ ، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ ، حتى أتى رسول الله ﷺ .

النفر القرشيون الذين أرسلتهم قريش للعدوان ثم عفا عنهم الرسول :

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعضُ من لَأَتَهُمْ عن عكرمة مولى ابن
عبَّاس عن ابن عباس : أن قُريشا كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين
رجلا ، وأمرهم أن يُطِيفُوا بعسكر رسول الله ﷺ ، ليُصِيبُوا لهم من أصحابه
أحدًا ، فأخذوا أخذًا ، فَأَتَى بهم رسول الله ﷺ ، فعفا عنهم ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ ،
وقد كانوا رَمَوْا فى عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنَّبَل .

عثمان بن عفان رسول محمد ﷺ إلى قريش :

ثم دعا عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، قال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشا على نفسي ، وليس بمكة من بنى عدوى بن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلظتي عليها ، ولكنني أدلك على رجل أعز بها مني ، عثمان بن عفان . فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ، ومعظما لحرمته .

● إشاعة مقتل عثمان بن عفان :

قال ابن إسحاق : فخرج عثمان إلى مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ؛ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فأبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ؛ فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ . واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قتل .

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله ﷺ ، قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح حتى نناجز القوم ، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله ﷺ على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر .

فبايع رسول الله ﷺ الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجد بن قيس ، أخو بني سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكانى أنظر إليه لاصقا بابط ناقتة . قد ضبأ^(١) إليها ، يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

(١) ترتيب القاموس المحيط ص ٤ ح ٣ .

(١) صأ إليها : لصق بها واستتر .

قال ابن هشام : فنكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي : أن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان (١) الأسدي .

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به عن حدثه بأسناد له ، عن ابن أبي مليكة عن ابن أبي عمر : أن رسول الله ﷺ بايع لعثمان ، فضرب باحدى يديه على الأخرى .

أمر الهدنة

إرسال قريش سهيلا إلى الرسول ﷺ للصلح :

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أبا بني عامر ابن لؤي ، إلى رسول الله ﷺ ، وقالوا له : أئت محمداً فصالحه ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أن دخلها علينا عتوة أبدا . فأتاه سهيل بن عمرو ؛ فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل ابن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح (٢) .

عمر ينكر على الرسول ﷺ الصلح :

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ؛ قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فعلام نعطى الذنبة (٣) في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غرزك (٤) ، فإني أشهد

(١) اختلف في اسم أبي سنان هذا ، فقيل : وهب بن عبد الله ، وقيل : عبد الله بن وهب ، وقيل : عامر ؛ وقيل بل اسمه وهب بن محسن بن حنظل ، أخو عكاشة بن محصن ، وهذا الرأي الأخير أصح الأدلة وكانت وفاته في سنة خمس من الهجرة وهو ابن أربعين سنة . (راجع الاستيعاب) .

(٢) كان صلح الحديبية بداية عهد جديد في حياة المسلمين . فقد تصالح مع النبي ﷺ أقوى أحيحة الأحزاب الثلاثة في عروة الخندق - قريش وطلحة واليهود - وأعطت هذه الهدنة فرصة كبيرة للمسلمين ، لنشر الدعوة الإسلامية وبدأ النبي ﷺ يرسل الملوك والرؤساء يدعوهم إلى الإسلام .

(٣) الذبية . الدل والأمر الحسيس . (ترتيب القاموس المحيط ص ٢٢٠ ج ٢)

(٤) الرم عرزه : أي الرم أمره . والعرر الرجل : ممرلة الركاب المرح . (لسان العرب ص ٣٨٦ ح ٥) .

أنه رسول الله ؛ قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ؛ ثم أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ألسنت برسول الله ؟ قال : بلى ؛ قال : أو لسننا بالمسلمين ؟ قال : بلى ؛ قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فعَلَام نُعْطَى الدِّينَةَ فِي دِينِنَا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يُضَيِّعَنِي ! قال : فكان عمر يقول : مازلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق ، من الذي صنعتُ يومئذ ! مخافة كلامي الذي تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

شروط الصلح :

قال : ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم ؛ فقال رسول الله ﷺ : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ؛ ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو ؛ قال : فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ؛ قال : فقال رسول الله ﷺ : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قُرَيْشٍ بغير إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردّه عليه ، وإن بيننا عينة مكفوفة (١) ، وأنه لا إسلال (٢) ولا إغللال (٣) ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قُرَيْشٍ وعهدهم دخل فيه .

دخول خزاعة في عهد محمد وبنى بكر في عهد قريش :

فتوثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده ، وتوثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن في عقد قُرَيْشٍ وعهدهم ، وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل ، خرّجنا عنك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب ، السيوف في القرب ، لا تدخلها بغيرها .

(١) أي صدور مطلوبة على ما فيها ، لا تندي عداوة ، وضرب العية مثلاً . (لسان العرب ص ٦٣٤ ج ١) .
(٢) الإسلال : السرقة المعية . (لسان العرب ص ٣٤٢ ج ١١) .
(٣) الإغللال : الحياة . (لسان العرب ص ٥٠٠ ج ١١) .

ما أهم الناس من الصلح ومجىء أبى جندل :

فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسُهَيْل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرُسُف في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون ؛ فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتليبيه ؛ ثم قال : يا محمد ، قد لَجَّت (١) القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ؛ قال : صدقت ، فجعل ينتره (٢) بتليبيه ، ويجرّه ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أَرَدَ إلى المشركين يَفْتَنُونَنِي في ديني ؟ فزاد ذلك النَّاسَ إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جندل ؛ اصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المُستضعفين فرجا ومخرجا ، إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا ، وأعطيناهم على ذلك ؛ وأعطونا عهد الله ، وَإِنَّا لَا نَغْدِرُ بِهِمْ ؛ قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فانما هم المشركون ، وإنما دَمُ أَحَدِهِمْ دم كلب . قال : ويؤذني قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ؛ قال : فضنَّ الرجل بأبيه ، ونفذت القضية .

من شهدوا على الصلح :

فلما فرغ (رسول الله ﷺ) من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومكرز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى ابن أبى طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

(لسان العرب ص ٣٥٥ ج ٢) .

(لسان العرب ص ١٩٠ ح ٥) .

(١) لجت القضية . وحتت .

(٢) ينتره : يحده حذا تنديدا .

• دعوة الرسول للمخلّفين والمقصّرين :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ مضطربا في الحل^(١) ، وكان يصلي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قدم إلى هذيه فحره ، ثم جلس فخلق رأسه ، وكان الذي خلقه ، فيما بلغني ، في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي ؛ فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وخلق توابثوا ينحرون ويخلقون .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : خلق رجال يوم الحديبية ، وقصّر آخرون . فقال رسول الله ﷺ : يرحم الله المخلّفين ، قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المخلّفين ؛ قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المخلّفين ؛ قالوا : والمقصّرين يا رسول الله ؟ قال : والمقصّرين ؛ فقالوا : يا رسول الله : فلم ظهرت^(٢) الترحيم للمخلّفين دون المقصّرين ؟ قال : لم يشكوا .

وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية في هداياه جملا لأبي جهل ، في رأسه برة^(٣) من فضة ، يغيظ بذلك المشركين .

نزول سورة الفتح :

قال الزهري في حديثه : ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ

(١) مضطربا في الحل : أي أن أبيته كانت مصروبة في الحل ، وكانت صلاته في الحرم ، وهذا لقرب بيته من الحرم . (لسان العرب ص ١٦٥ ح ١١) .
(٢) ظهرت الترحيم . أي قوته أكتفه بذكرك إياه ؛ والمطاهرة : القوة والمعونة . (لسان العرب ص ٥٢٥ ج ٤) .
(٣) البرة : حلقة تجعل في أفع المعير ليدل ويرتاص ، فإن كانت من شعر فهي خزامه ، وإذا كانت من حشب فهي حشاش .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٢٦٤ ح ١) .

فَتَحَا مُبِينَا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ ،
وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١﴾ .

ذكر البيعة :

ثم كانت القصة فيه وفي أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيعة ، فقال
جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ،
فَمَنْ تَكَثَّرَ فَإِنَّمَا يَتَكَثَّرْ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ ، فَمِيسُوتِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢) .

ذكر من تخلف :

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استفرَّهم للخروج
معه فأبطأوا عليه : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا
وَأَهْلُونَا ﴾ (٣) . ثم القصة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : ﴿ سَيَقُولُ
الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ، يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا
كَلَامَ اللَّهِ ، قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٤) .. ثم القصة عن
خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيع ، عن عطاء بن أبي
رباح ، عن ابن عباس ، قال : فارس : قال ابن إسحاق : وحدثني من لأتهم ،
عن الزهري أنه قال : أولو البأس الشديد حنيفة مع الكذاب .

ثم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ
الشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ، وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا .
وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . وَعَنْكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً

(١) سورة الفتح من الآية ١ إلى الآية ٢ .

(٢) سورة الفتح الآية رقم ١٠ .

(٣) سورة الفتح الآية رقم ١١ .

(٤) سورة الفتح الآية رقم ١٥ .

تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلْ لَكُمْ هَذِهِ ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ ، وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ
وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ، وَكَانَ
اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿١﴾ .

نكر كف الرسول عن القتال :

ثم نكر محبسه وكفه إياه عن القتال ، بعدَ الظفر منه بهم ، يعنى النَّفَر
الذين أصاب منهم وكفهم عنه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرًا ﴾ . ثم قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلُّهُ ﴾ (١) .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَلَوْلَا رَجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ
أَنْ تَطْنُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ، والمعرة : الغرم ، أى أن
تصيبوا منهم (معرة) بغير علم فتخرجوا دينته ، فلما إثم فلم يخشه عليهم .

قال ابن هشام : بلغنى عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية فى الوليد
ابن الوليد بن المغيرة ، وسلمة بن هشام ، وعيَّاش بن أبى ربيعة ، وأبى جندل
ابن سهيل ، وأشباهم .

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (٢) يعنى سهيل بن عمرو حين حمى أن
يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن محمدًا رسول الله ، ثم قال تعالى :
﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْزَمَهُمْ كَلِمَةَ

(١) مع مراجعة كتب التفسير الطبرى والآلوسى .

(١) سورة الفتح من آية ١٦ لغاية آخر آية ٢٥ .

(٢) سورة الفتح الآية رقم ٢٦ .

التَّقْوَى ﴿١﴾ ، وكانوا أحمقَ بها وأهلها (١) : أى التوحيد ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله .

ثم قال تعالى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ (٢) : أى لرؤيا رسول الله ﷺ التى رأى ، أنه سيدخل مكة آمنا لا يخاف ؛ يقول : محلقين رؤوسكم ، ومقصرين معه لا تخافون ، فعلم من ذلك ما لم تعلموا ؛ فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ، صلح الحديبية .

يقول الزهرى : فما فُتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ؛ فلما كانت الهدنة ، ووُضعت الحرب ، وآمن الناس بعضهم بعضا ، والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه .

ما جرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح

مجيء أبى بصير إلى المدينة وطلب قريش له :

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه أبو بصير عثبة ابن أسيد بن جارية ، وكان ممن حُبس بمكة ، فلما قدم رسول الله ﷺ كتب فيه أزهَر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة ، والأخنس بن شريق ابن عمرو بن وهب الثقفى إلى رسول الله ﷺ ، وبعثا رجلا من بنى عامر ابن لؤى ، ومعه مولى لهم ، فقدمَا على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهَر والأخنس ؛ فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المُستضعفين فرجا ومخرجا ، فانطلق إلى قومك ؛ قال يا رسول الله ، أتردنى

(١) سورة الفتح الآية رقم ٢٦

(٢) سورة الفتح الآية رقم ٢٧ .

إلى المشركين يَفْتَنُونَنِي فِي دِينِي ؟ قَالَ : يَا أَبَا بَصِير ، انْطَلِقْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْعَلُ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرْجًا وَمُخْرَجًا .

فَانْطَلَقَ مَعَهُمَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَذَى الْحُلَيْفَةِ (١) ، جَلَسَ إِلَى جِدَارٍ ، وَجَلَسَ مَعَهُ صَاحِبَاهُ ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرَ : أَصَارُمُ سَيْفَكَ هَذَا يَا أَخَا بَنِي عَامِر ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : أَنْظِرْ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : انْظُرْ ، إِنْ شِئْتَ . قَالَ : فَاسْتَلَّهُ أَبُو بَصِيرَ ، ثُمَّ عَلَاهُ حَتَّى قَتَلَهُ ، وَخَرَجَ الْمَوْلَى سَرِيعًا حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَالَعًا ، قَالَ : إِنْ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ رَأَى فَرْعًا ؛ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : وَيْحَكَ ! مَا لَكَ ؟ قَالَ : قَتَلْتُ صَاحِبَكُمْ صَاحِبِي . فَوَاللَّهِ مَا بَرَحَ حَتَّى طَلَعَ أَبُو بَصِيرَ مَتَوَشِّحًا بِالسَّيْفِ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَفَتْ ذِمَّتِكَ ، وَأَدَّى اللَّهُ عَنْكَ ، أَسْلَمْتَنِي بِيَدِ الْقَوْمِ وَقَدْ امْتَنَعْتُ بِدِينِي أَنْ أَفْتَنَ فِيهِ ، أَوْ يُعَبِّثَ بِي . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَيْلَ أُمِّهِ مَحْشُ (٢) حَرْبَ لَوْ كَانَ مَعَهُ رَجَالٌ !

• أَجْتَمَاعُ الْمُحْتَبَسِينَ إِلَى أَبِي بَصِيرٍ وَإِذَاؤُهُمْ قَرِيشًا وَإِيوَاءُ الرَّسُولِ ﷺ لَهُمْ :

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَصِيرَ حَتَّى نَزَلَ الْعَيْصَ ، مِنْ نَاحِيَةِ ذِي الْمَرْوَةِ ، عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، بِطَرِيقِ قُرَيْشِ النَّتَّى كَانُوا يَأْخُذُونَ عَلَيْهَا إِلَى الشَّامِ ، وَبَلَغَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا احْتَبَسُوا بِمَكَّةَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَصِيرَ : « وَيْلَ أُمِّهِ مَحْشُ حَرْبَ لَوْ كَانَ مَعَهُ رَجَالٌ ! ، فَخَرَجُوا إِلَى أَبِي بَصِيرَ بِالْعَيْصِ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ قَرِيبٌ مِنْ سَبْعِينَ رَجُلًا ، وَكَانُوا قَدْ ضَيَّقُوا عَلَى قُرَيْشَ ، لَا يَظْفَرُونَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَتَلُوهُ ، وَلَا تَمُرُّ بِهِمْ عِيرٌ إِلَّا اقْتَطَعُوهَا ، حَتَّى كَتَبَتْ

(١) دُو الْحُلَيْفَةِ : قَرْيَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سِتَّةَ أَمْيَالٍ ، أَوْ سَعَةً . وَمِنْهَا مَقَاتُ أَمَلِ الْمَدِينَةِ .

(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٥٦ ح ٩) .

(٢) مَحْشُ حَرْبَ : مَوْقِدُ حَرْبٍ وَمُهَيْجَهَا ؛ يُقَالُ : حَشَشْتُ النَّارَ ، وَارْتَنَّتْ ، وَأَذْكَيْتَهَا ، وَسَعَرْتُهَا ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَفِي

(لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٢٨٥ ح ٦) .

الصَّحِيحُ : « وَيْلَ أُمِّهِ مَسْعَرُ حَرْبَ » .

فُرِشَ إلى رسول الله ﷺ تسأل بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم .
فآواهم رسول الله ﷺ ، فقدموا عليه المدينة .

قال ابن هشام : أبو بصير تَقَفَى .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبي بصير صاحبهم
العامري ، أسند ظهره إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظهري عن الكعبة
حتى يؤدى هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لهو السفه ،
والله لا يؤدى ثلاثا .

أمر المهاجرات بعد الهدنة

هجرة أم كلثوم إلى الرسول ﷺ وإياؤه ردها :

• قال ابن إسحاق : وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عتبة بن
أبي مغيط في تلك المدة ، فخرج أخوها عُمارة والوليد ابنا عتبة ، حتى قدما
على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردّهما عليهما بالعهد الذي بينه وبين فُرِشَ في
الحديبية ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

سؤال ابن هنيذة لعروة عن آية المهاجرات ورده عليه :

قال ابن إسحاق : فحدثني الزُّهري ، عن عروة بن الزُّبير ، قال : دخلت
عليه وهو يكتب كتابا إلى ابن أبي هنيذة ، صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب
إليه يسأله عن قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا
تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ ، وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وَآتُوهُنَّ
مَا أَنْفَقُوا ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ،
وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ ، وَلَيْسَ لَكُمُ أَنْ تَنْفَقُوا ، ذَلِكَ
حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

(١) سورة الممتحنة آية ١١ .

قال : فكتب إليه عروة بن الزبير : إن رسول الله ﷺ ، صالح فريشا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ؛ فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام ، أبى الله أن يردن إلى المشركين إذا هن أمحن بمحنة الإسلام ، فعرفوا أنهن إنما جنن رغبة في الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن احتسبن عنهم ، إن هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله بحكم بينكم والله عليم حكيم . فأمسك رسول الله ﷺ النساء ورد الرجال ، وسأل الذي أمره الله به أن يسأل من صدقات نساء من حبسوا منهن ، وأن يردوا عليهم مثل الذي يردون عليهم ، إن هم فعلوا ، ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله ﷺ النساء كما رد الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذي كان بينه وبين فريش يوم الحديبية لأمسك النساء ، ولم يردن لهن صداقا ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد .

سؤال ابن إسحاق الزهري عن آية المهاجرات :

قال ابن إسحاق : وسألت الزهري عن هذه الآية ، وقول الله عز وجل فيها : ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ ، فَأَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (١) فقال : يقول : إن فات أحدكم منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذي يأخذون منكم ، فعوضوهم من شيء إن أصبتموه ؛ فلما نزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ﴾ .. إلى قول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ ، كان ممن طلق عمر بن الخطاب ، طلق امرأته قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية ابن أبي سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت جزل أم عبيد الله ابن عمر الخزاعية ، فتزوجها أبو جهنم بن حذيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شركهما .

(١) سورة الممتحنة آية ١١ .

• بشرى فتح مكة وتعجل بعض المسلمين :

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أَنَّ بعضَ مَنْ كان مع رسول الله ﷺ قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمنا ؟ قال : بلى ، أفقلت لكم مِنْ عامي هذا ؟ قالوا : لا ، قال : فهو كما قال لى جبريل عليه السلام .

ذكر المسير إلى خيبر

فى المحرم سنة سبع هـ

قال محمد بن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رَجَعَ من الحُدَيْبِيَّة ، ذا الحجة وبعضَ المحرم ، وولى تلك الحجة المشركون ، ثم خرج فى بَقِيَّة المحرم إلى خيبر .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيْلَةَ بن عبد الله اللثمي ، ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وكانت بيضاء .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي عن أبي الهيثم بن نصر بن دُهر الأسلمي أَنَّ أباه حَدَّثه : أَنه سَمِع رسولَ الله ﷺ يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سنان : انزل يا بن الأكوع ، فخذ لنا من هَنَاتك (١) ، قال : فنزل يرتجز برسول الله ﷺ ، فقال :

والله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قومٌ بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

(١) هَنَاتك ، أى أخارك وأمورك وأشعارك ؛ وهى جمع هنة ، ويكنى بها عن كل شيء لا تعرف اسمه ، أو تعرفه فتكنى عنه . وأراد رسول الله ﷺ أن يحدو بهم ، والإبل تستحث بالحداء ، ولا يكون الحداء إلا بشعر أو رحل . (لسان العرب ص ٣٦٦ ح ١٥) .

فَأَنْزَلْنَاهُ سَكِينَةً عَلَيْنَا^(١) وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنَّ لَاقِينَا^(٢)

قال رسول الله ﷺ : يرحمك الله ؛ فقال عمر بن الخطاب : وَجِبْتَ وَالله يا رسول الله ، لو أَمْتَعْتَنَا بِهِ ! فَقُتِلَ يَوْمَ خَيْبَرَ شهيدا ، وكان قَتْلُهُ ، فيما بلغني ، أَنَّ سيفه رَجَعَ عليه وهو يُقَاتِلُ ، فكلّمه كلّمًا شديدًا^(٣) ، فمات منه ؛ فكان المسلمون قد شَكُّوا فيه ، وقالوا : إنما قَتَلَهُ سِلَاحُهُ ، حتى سأل ابنُ أخيه سلمةُ ابن عمرو بن الأكوع رسولَ الله ﷺ عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ؛ قال رسولُ الله ﷺ : إنه لشَهِيدٌ ، وصَلَّى عليه ، فصلى عليه المسلمون .

دعاء الرسول لما أشرف على خيبر :

قال ابن إسحاق : حدثني من لأتهم ، عن عطاء بن أبي مَرْزُوان الأسلمي ، عن أبيه ، عن أبي مُعْتَب بن عمرو : أَنَّ رسولَ الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قَفُوا ، ثم قال : اللهم ربّ السموات وما أظللن وربّ الأرضين وما أقلن ، وربّ الشياطين وما أضللن ، وربّ الرياح وما أذرين^(٤) : إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا ، ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ ما فيها ، أَقْدِمُوا بِسْمِ اللَّهِ . قال : وكان يقولها عليه السلام لكلّ قَرْيَةٍ دَخَلَهَا .

فرار أهل خيبر لما رأوا الرسول :

قال ابن إسحاق : وحدثني من لأتهم عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا غَزَا قَوْمًا لم يُغَزْ عَلَيْهِمْ حتى يُصْبِحَ ، فإن سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ ، وإن لم يسمع أَذَانًا أَعَارَ . فنزلنا خيبرَ لَيْلًا ، فبات رسول الله ﷺ ، حتى إذا

(١) السكينة : الوفاء والتثبيت .

(٢) ذكر الرزقاني هذا الرجز وهو يختلف هنا في العاطفة ويزيد عليه .

(٣) الماحى : جمع محاه وهي المحرفة من الحديد ، والمكائل : جمع مكئل وهي قفة كبيرة .

(لسان العرب ص ٥٨٣ ح ١١) .

(لسان العرب ص ٢٨٢ ح ١٤) .

(٤) أذرين : بمعنى ما طُيِّرَ وأُدْهِسَ .

أصبح لم يَسْمَعْ أَدَانَا ، فركب وَرَكَبْنَا معه ، فركبْتُ خلف أَبِي طَلْحَةَ ، وَإِنْ قَدَمِي لَتَمَسَّ قَدَمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَاسْتَقْبَلْنَا عُمَالُ خَيْبَرِ غَادِينَ^(١) ، قَدْ خَرَجُوا بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْجَيْشَ ، قَالُوا : مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ^(٢) مَعَهُ ! فَأَذْبَرُوا هُرَابًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، خَرَبْتُ خَيْبَرَ ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمِ فِسَاءٍ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ .

منازل الرسول ﷺ في طريقه إلى خيبر :

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عَصْرٍ^(٣) ، فبنى له فيها مَسْجِدًا ، ثم على الصَّهْبَاءِ^(٤) ، ثم أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجَيْشِهِ ، حَتَّى نَزَلَ بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ الرَّجِيعُ ، فَنَزَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَطَفَانَ ، لِيَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْ يُمَدَّوْا أَهْلَ خَيْبَرَ ، وَكَانُوا لَهُمْ مُظَاهِرِينَ^(٥) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

غطفان ومحاولتهم معونة خيبر ثم انخذاهم :

فبلغني أَنَّ غَطَفَانَ لَمَّا سَمِعَتْ بِمَنْزِلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرِ جَمَعُوا لَهُ ، ثُمَّ خَرَجُوا لِيُظَاهِرُوا يَهُودَ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا سَارُوا مِنْقَلَةً^(٦) سَمِعُوا خَلْفَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ حَسًّا ، ظَنُّوا أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَالَفُوا إِلَيْهِمْ ، فَارْجَعُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، فَأَقَامُوا فِي أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَخَلَّوْا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ خَيْبَرَ .

-
- (١) غادين : يعنى منكبين .
 (٢) الخميس : الجيش .
 (٣) عصر (بالكسر ، ويروى بالتحريك ، والأول أشهر وأكثر) : حبل بين المدينة . للفرع . (عن معجم البلدان) .
 (٤) الصهباء : موضع بينه وبين حيدر روحة .
 (٥) مظاهرين : معانين .
 (٦) منقلة : مرحلة .
- (لسان العرب ص ١١٨ ح ١٥) .
 (ترتيب القاموس المحيط ص ١٠٨ ح ٢) .
 (لسان العرب ص ٥٨١ ح ٤) .
 (راجع معجم البلدان لسان العرب ص ٥٣٣ ح ١) .
 (لسان العرب ص ٥٢٥ ح ٤) .
 (لسان العرب ص ٦٧٤ ح ١١) .

افتتاح رسول الله ﷺ الحصون :

وتدنى (١) رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتتحها حصنا حصنا ، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ، وعنده قُتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه منه رجا فقتلته ، ثم القموص ، حصن بنى أبي الحقيق وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبایا ، منهم صفية بنت حيى بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وبنتى عم لها ؛ فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه .

وكان يحية بن خليفة الكلبى قد سأل رسول الله ﷺ صفية فلما أصفاهها لنفسه أعطاه ابنتى عمها ، وفشت السبایا من خير فى المسلمين .

نهى الرسول ﷺ يوم خيبر عن أشياء :

وأكل المسلمون لحوم الحمر الأهلية من حمرها ، فقام رسول الله ﷺ ، فنهى الناس عن أمور سماها لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عمرو بن ضمرة الفزارى عن عبد الله بن أبى سليط ، عن أبيه ، قال : أتانا نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحمر الإنسية ، والقُدور تُقور بها ، فكفأناها على وجوها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجیح ، عن مكحول : أن رسول الله ﷺ نهاهم يومئذ عن أربع : إتيان الحبالى من السبایا ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المغانم حتى تُقسم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سلام بن كزكرة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، ولم يشهد جابر خيبر : أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر ، أذن لهم فى أكل لحوم الخيل .

(١) (لسان العرب ص ٢٧٤ ح ١٤) .

(١) تدنى : أى أحد الأئسى فالأئنى

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى
ثُجيب ، عن حنش الصنعاني ، قال : غزونا مع رُويع بن ثابت الأنصاري
المغرب ، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة^(١) ، فقام فينا خطيبا ،
فقال : يا أيها الناس ، إني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقوله
فينا يوم خير ، قام فينا رسول الله ﷺ فقال : لا يحل لامرئ يؤمن بالله
واليوم الآخر أن ينقى ماؤه زرع غيره ، يعني إتيان الحبالى من السبايا ،
ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى
يستبرئها^(٢) ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مَنما حتى
يقسم ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فئ
المسلمين حتى إذا أعجفها^(٣) ردها فيه ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم
الآخر أن يلبس ثوبا من فئ المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، أنه حدث عن
عبادة بن الصامت ، قال : نهانا رسول الله ﷺ يوم خير عن أن نبيع أو نبتاع
تبر الذهب بالذهب العين ، وتبر الفضة بالورق العين ؛ وقال : ابتاعوا تبر
الذهب بالورق العين ، وتبر الفضة بالذهب العين .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله ﷺ يندتي الحصون والأموال .

شأن بنى سهم الأسلميين :

فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض أسلم : أن بنى سهم من أسلم
أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : والله يا رسول الله لقد جاهدنا وما بأيدينا من
شيء ؛ فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئا يعطيهم إياه ؛ فقال : اللهم إني قد
عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح

(١) حربة (الكسر) : جزيرة بالمغرب من ناحية قاس .

(٢) يستبرئها : لا يطؤها حتى تطهر من حيضها .

(٣) أعجفها : هزلها وأضعفها .

عليهم أعظم حصونها عنهم عناء ، وأكثرها طعاما وودكا ، فغدا الناس ، ففتح الله عز وجل حصن الصنعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا منه .

مقتل مرحب اليهودي :

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسلالم ، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتacha ، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضعة عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب الرسول الله ﷺ يوم خيبر : يا منصور ، أمت أمت .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل أخو بني حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مرحب اليهودي من حصنهم ، قد جمع سلاحه ، يرتجز وهو يقول :

قد علمت خيبر أتى مرحب شاكي السلاح بطل مجرب^(١)

أطعن أحيانا وحينما أضرب إذا اللبوث أقبلت تحرب^(٢)

إن جمى للجمى لا يقرب

وهو يقول : من يبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك ، فقال :

قد علمت خيبر أتى كعب مفرج الغمى جرى صلب^(٣)

إذ شبت الحرب تلتها الحرب معى حسام كالعقيق عضب^(٤)

(١) ترتيب القاموس المحيط ص ٧٤٥ ج ٢ .

(٢) لسان العرب ص ٣٠٧ ج ١ .

(٣) ترتيب القاموس ص ٤٢١ ج ٣ .

(٤) لسان العرب ص ٤٨١ ج ١ .

(١) شاكي السلاح : حاد السلاح

(٢) تحرب : أى معصنة .

(٣) العمى : الكرب والشدة .

(٤) شبت الحرب : أثرت . والعقيق : شعاع النرق ، شبه السيف به .

تَطْوُكُمُ^(١) حَتَّى يَذِلَّ الصَّغْبُ نُعْطَى الْجَزَاءَ أَوْ يَفِيءَ النَّهْبُ

بَكَفِّ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ عَثْبُ^(٢)

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن سهل ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : فقال رسول الله ﷺ : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله الموتور التائر^(٣) ، قُتِلَ أَخِي بِالْأَمْسِ ؛ فقال : فقم إليه ، اللهم أعِنُّهُ عليه . قال : فلما دنا أحدهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عُمريّة^(٤) من شجر العُشُر^(٥) ، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه ، كلُّما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، ما فيها فن ، ثم حمل مَرَحْبٌ على محمد بن مسلمة ، فضربه ، فأتقاه بالدَّرَقَةِ ، فوقع سيفه فيها ، فعصّت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مَرَحْبٍ أخوه ياسر ، وهو يقول : من يبارز ، فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر ، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب : يقتل ابني يا رسول الله ! قال : بل ابنك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير فالتقى ، فقتله الزبير .

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عروة : أن الزبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً عَضْباً ، قال : والله ما كان صارماً ، ولكني أكرهته .

شأن على يوم خيبر :

قال ابن إسحاق : وحدثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن أبيه

(١) تطوكم . ندوسكم .

(٢) ترتيب القاموس المحيط ص ٦٢٦ ج ٤ .

(٣) ترتيب القاموس المحيط ص ١٤٥ ح ٣ .

(٤) ترتيب القاموس المحيط ص ٥٧٠ ح ٤ .

(٥) ترتيب القاموس المحيط ص ٣٠٩ ح ٣ .

(لسان العرب ص ٥٧٤ ج ٤) .

(٢) ليس فيه عتب : ليس فيه استرصاء .

(٣) الموتور : هو من قتل له قتيل فلم يترك دمه .

(٤) عمريّة . قديمة .

(٥) العُشُر . شجر أملس مستر ضعيف العود .

سفيان ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه برأيته ، وكانت بيضاء ، فيما قال ابن هشام ، إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ؛ ثم بعث الغد عمر بن الخطاب ، فقاتل ، ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جهد ؛ فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرار . قال : يقول سلمة ، فدعا رسول الله ﷺ عليا رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فنقل في عينه ، ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك . قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يابح^(١) ، يهرول هرولة ، وإننا لخلفه نتبع أثره ، حتى ركز رأيته في رضم^(٢) من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . قال : يقول اليهودى : علوتم ، وما أنزل على موسى ، أو كما قال . قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن الحسن ، عن بعض أهله ، عن أبي رافع ، مولى رسول الله ﷺ ، قال : خرجنا مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، حين بعثه رسول الله ﷺ برأيته ؛ فلما كنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضربه رجل من يهود ، فطاح ثرؤسه من يده ، فتناول علي عليه السلام بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فما نقله .

قال ابن إسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان الأسلمي ، عن بعض رجال بني سلمة عن أبي اليسر كعب بن عمرو ، قال : والله إننا لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشية ، إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ، ونحن

(١) يابح : أى نه شديد من الإعياء في العدو . قال السهيلي : هو من الأبيح ، وهو علو .

(٢) الرضم : الحجارة المحتمة .

(٢) الرضم : الحجارة المحتمة .

محاصروهم قال رسول الله ﷺ : مَنْ رَجُلٌ يُطْعَمُنَا مِنْ هَذِهِ الْغَنَمِ ؟ قَالَ أَبُو الْيَسْرِ : فَقُلْتُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَالَ : فَافْعَلْ ؛ قَالَ : فَخَرَجْتُ أَشْتَدُّ مِثْلَ الظَّلِيمِ (١) ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَوْلِيًّا قَالَ : اللَّهُمَّ أُمِّتِنَا قَالَ : فَأَدْرَكْتُ الْغَنَمَ وَقَدْ دَخَلْتُ أُولَاهَا الْحِصْنَ ، فَأَخَذْتُ شَاتَيْنِ مِنْ أُخْرَاهَا ، فَاحْتَضَنْتُهُمَا تَحْتَ يَدَيَّ ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ بِهِمَا أَشْتَدُّ ، كَأَنَّهُ لَيْسَ مَعِيَ شَيْءٌ ، حَتَّى أَلْقَيْتُهُمَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَذَبَحُوهُمَا فَأَكَلُوهُمَا ، فَكَانَ أَبُو الْيَسْرِ مِنْ آخِرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَلَاكًا ، فَكَانَ إِذَا حَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ بَكَى ، ثُمَّ قَالَ : أُمِّتِعُوا بَنِي ، لِعَمْرِي ، حَتَّى كُنْتُ مِنْ آخِرِهِمْ هُلُكًا .

أمر صفيّة أم المؤمنين :

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله ﷺ القموص ، حصن بنى أبى الحُقَيْق ، أتى رسول الله ﷺ بصفية بنت حُيٍّ بن أخطب ، وبأخرى معها ، فمرّ بهما بلال ، وهو الذى جاء بهما على قَتْلَى مِنْ قَتْلَى يَهُودٍ ؛ فلما رَأَتْهُمُ التَّى مَعَ صَفِيَّةٍ صَاحَتْ ، وَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَحَشَتِ التَّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا ؛ فلما رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : أُعْزِبُوا (٢) عَنِ هَذِهِ الشَّيْطَانَةِ ، وَأَمْرٌ بِصَفِيَّةٍ فَحِيرَتْ خَلْفَهُ ، وَأَلْقَى عَلَيْهَا رِدَاءَهُ ؛ فَعَرَفَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ اصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِبَلَالٍ ، فِيمَا بَلَغْنِي حِينَ رَأَى بِتِلْكَ الْيَهُودِيَّةِ مَا رَأَى : أَنْزَعْتُ مِنْكَ الرَّحْمَةَ يَا بَلَالُ ، حِينَ تَمَرَّ بِأَمْرَاتَيْنِ عَلَى قَتْلَى رَجَالِهِمَا ؟ وَكَانَتْ صَفِيَّةٌ قَدْ رَأَتْ فِي الْمَنَامِ وَهِيَ عُرُوسُ بَكْنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ ، أَنَّ قَمَرًا وَقَعَ فِي حَجَرِهَا ، فَعَرَضَتْ رُؤْيَاهَا عَلَى زَوْجِهَا ؛ فَقَالَ مَا هَذَا إِلَّا أَنْكَ تَمَنِّينَ مَلِكَ الْحِجَازِ مُحَمَّدًا ، فَلَطَمَ وَجْهَهَا لَطْمَةً خَضَرَ عَيْنُهَا مِنْهَا . فَأَتَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبِهَا أَثَرُ مِنْهُ ، فَسَأَلَهَا مَا هُوَ ؟ فَأَخْبَرَتْهُ هَذَا الْخَبَرَ .

(١) التلّيم : ذكر النعام
(٢) أعزبوا : أبعادوا .

(١) ترتيب القاموس المحيط من ١٢٨ ج ٣)
(لسان العرب من ٥٩٧ ح ١) .

بقية أمر خيبر

• عقوبة كنانة بن الربيع :

وأتى رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنز بنى النضير ، فسأله عنه ، فجدد أن يكون يعرف مكانه ، فأتى رسول الله ﷺ رجل من يهود ، فقال لرسول الله ﷺ : إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة ؛ فقال رسول الله ﷺ لكنانة أرأيت إن وجدناه عندك ، أأقتلك ؟ قال : نعم ؛ فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يؤديه ، فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام ، فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده ، فكان الزبير يقدح بزئد فى صدره ، حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

مصالحة الرسول أهل خيبر :

وحاصر رسول الله ﷺ ، أهل خيبر فى حصنهم الوطيح والسلام ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة ، سألوه أن يسيرهم^(١) وأن يحقن لهم دماءهم ، ففعل . وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها : الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من دينك الحصنين . فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ، ويخلوا له الأموال ، ففعل . وكان فيمن مثنى بين رسول الله ﷺ وبينهم فى ذلك محيصة بن مسعود ، أخو بنى حارثة ، فلما نزل أهل خيبر على ذلك ، سألو رسول الله ﷺ أن يعاملهم فى الأموال على النصف ، وقالوا :

(١) يسيرهم : يخليهم .

(لسان العرب ص ٣٨٩ ح ٤) .

نحن أعلم بها منكم ، وأمر لها ؛ فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ فصالحه أهل فدك على مثل ذلك ، فكانت خَيْرَ فَيْئًا بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ ، لأنهم لم يَجْلِبُوا عليها بخيل ولا ركاب .

فلما اطمأن رسول الله ﷺ : أهدت له زينب بنت الحارث ، امرأة سلام ابن مشكم ، شاةً مَصْلِيَّةً (١) ، وقد سألت أَىْ عُضْوٍ من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذراع ؛ فأكثر في السَمِّ ، ثم سَمَّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ؛ فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ ، تناول الذراع ، فلاك منها مُضْغَةً ، فلم يُسِغْها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ؛ فأما بشر فأساغها ؛ وأما رسول الله ﷺ فَافْظَهَا ، ثم قال : إن هذا العَظْمَ لِيُخْبِرْنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ ، ثم دعا بها ، فاعترفت ؛ فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قَوْمِي ما لم يَخْفَ عليك ، فقلت : إن كان مَلِكًا استرحْتُ منه ، وإن كان نَبِيًّا فسيُخْبَرُ ، قال : فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ؛ ومات بشر من أَكَلْتِهِ التي أَكَلَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المَعْلَى ، قال : كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه ، ودخلت أمّ بشر بنت البراء بن معرور تَعُودُهُ : يا أمّ بشر ، إن هذا الأوان وجدْتُ فيه انقطاع أبهرى (٢) من الأكلة التي أَكَلْتُ مع أخيك بخَيْرٍ . قال : فإن كان المسلمون يُرَوْنُ أَنَّ رسول الله ﷺ مات شهيدا ، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

رجوع الرسول إلى المدينة :

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله ﷺ من خَيْرِ انصرف إلى وادي القرى ، فحاصر أهلَه ليلالي ، ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

(١) مصلية : مشوية .
(٢) الأبهر : عرق إذا انقطع مات صاحبه . ومما أنهران يخرجان من القلب ، ثم يتشعب منهما سائر الشرايين .
(راجع لسان العرب مادة بهر) (لسان العرب ص ٨٣ ح ٤) .

مقتل غلام رفاعة الذي أهداه للرسول ﷺ :

قال ابن إسحاق : فحدثني ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مطيع^(١) عن أبي هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادي القرى نزلنا بها أصيلاً مع مغرب الشمس ، ومع رسول الله ﷺ غلام له^(٢) ، أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي ، ثم الضبيي .

قال ابن هشام : جذام ، أخو لخم .

قال : فوالله إنه ليضع رخل رسول الله ﷺ إذ أتاه سهم غزب^(٣) أصابه فقتله ؛ فقلنا : هنيئاً له الجنة ؛ فقال رسول الله ﷺ : كلا ، والذي نفس محمد بيده ، إن شملته^(٤) الآن لتحترق عليه في النار ، كان غلها^(٥) من فيء المسلمين يوم خيبر . قال : فسمعا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبت شراكين ليتعين لي ؛ قال : فقال : يُقَدَّ^(٦) لك مثلهما من النار .

ابن مغل وجراب شحم أصابه :

قال ابن إسحاق : وحدثني من لآتهم ، عن عبد الله بن مغل المزني ، قال : أصبت من فيء خيبر جراب^(٧) شحم ، فاحتملته على عاتقي إلى رخلي وأصحابي . قال : فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هلم هذا نقسمه بين المسلمين ؛ قال : قلت : لا والله لا أعطيكه ؛ قال : فجعل يجاذبني الجراب . قال : فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك . قال :

-
- (١) اسم هذا الغلام مدغم .
 (٢) كذا في المتن والاستيعاب ، في إحدى روايتيهما ، وفي الرواية الأخرى : الضبيي .
 (٣) سهم عرب : هو الذي لا يعلم من رماه أو من أين أتاه .
 (٤) قال أبو ذر : الشملة . كساء غليظ يلتحف به .
 (٥) غلها : اختابها من المغنم .
 (٦) يقَد : يقطع (بالناء للمجهول فيهما)
 (٧) الجراب : المدود
 (راجع الاستيعاب)
 (ترتيب القاموس المحيط ص ٣٧٩ ح ٣)
 (ترتيب القاموس المحيط ص ٧٥٦ ح ٢)
 (ترتيب القاموس المحيط ص ٤١٢ ج ٣)
 (ترتيب القاموس المحيط ص ٥٦٨ ح ٣)
 (ترتيب القاموس المحيط ص ٤٦٦ ح ١)

فتبسّم رسول الله ﷺ ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغانم : لا أبا لك ، خلّ بينه وبينه . قال : فأرسله ، فانطلقتُ به إلى رَحلي وأصحابي ، فأكلناه .

بناء الرسول بصفية وحراسة أبي أيوب للقبة :

قال ابن إسحاق : ولما أعرس رسول الله ﷺ بصفية ، بخيبر أو ببعض الطريق ، وكانت التي جمّلتها لرسول الله ﷺ ومَشَّطتها أو أصلحت من أمرها أمّ سليم بنت ملحان ، أمّ أنس بن مالك . فبات بها رسول الله ﷺ في قُبة له ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بني النّجار متوشّحا سيفه ، يحرس رسول الله ﷺ ، ويُطيف بالقُبة ، حتى أصبح رسول الله ﷺ ؛ فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب قال : يا رسول الله ، خُفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباهَا وزوجها وقومها ، وكانت حديثه عهد بكُفر ، فخُفتها عليك . فزعموا أن رسول الله ﷺ ، قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني .

قال ابن إسحاق : وحدثني الزُّهرى ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر ، فكان ببعض الطريق ، قال من آخر الليل : مَنْ رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام ؟ قال بلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك . فنزل رسول الله ﷺ ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلال يصلي ، فصلى ما شاء الله عزّ وجلّ أن يصلي . ثم استند إلى بغيره ، واستقبل الفجر يرمقه ، فعَلَبَنه عينه ، فنام ، فلم يُوقظهم إلّا مَسُّ الشمس ؛ وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هَبَ ، فقال : ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ قال : يا رسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ؛ قال : صدقت ؛ ثم اقتاد رسول الله ﷺ بغيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضّأ ، وتوضّأ الناس ، ثم أمر بلال فأقام الصلاة ، فصلى رسول الله ﷺ بالناس ؛ فلما سلّم أقبل على الناس فقال : « إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكّرتموها ، فإن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ . »

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، قد أعطى ابن لقيم العَبَسِي ، حين افْتَتَحَ خَيْبَر ، ما بها من نَجَاجَةٍ أو داجن (١) ، وكان فَتَحَ خَيْبَر في صَفَر .

● شُهُودُ النِّسَاءِ خَيْبَرَ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ الْغِفَارِيَّةِ :

قال ابن إسحاق : وشهد خَيْبَرَ مع رسول الله ﷺ نِسَاءٌ من نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَرَضَخَ لهنَّ (٢) رسولُ الله ﷺ من الْفَيْءِ ، ولم يضرب لهنَّ بِسُهم .

وقال ابن إسحاق : حدثني سليمان بن سُهَيْم ، عن أُمِّيَّةَ بن أَبِي الصَّلْتِ ، عن امرأة من بنى غِفَار ، قد سَمَّاهَا لِي ، قالت : أَتَيْتُ رسولَ الله ﷺ في نِسْوَةٍ من بنى غِفَار ، فَقُلْنَا : يَا رسولَ الله ، قد أردنا أَنْ نَخْرُجَ مَعَكَ إلى وَجْهِكَ هَذَا ، وَهُوَ يَسِيرُ إلى خَيْبَرَ ، فَنُداوِي الْجَرْحَى ، وَنُعِينِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا اسْتَطَعْنَا ؛ فَقَالَ : عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . قالت : فَخَرَجْنَا مَعَهُ ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدَثَةً ، فَأَرْدَفَنِي رسولُ الله ﷺ عَلَى حَقِيْبَةٍ رَحْلِهِ . قالت : فوالله لَنَزَلَ رسولُ الله ﷺ إلى الصُّبْحِ وَأَنَاخَ ، وَنَزَلَتْ عَن حَقِيْبَةِ رَحْلِهِ ، وَإِذَا بِهَا دَمٌ مِنِّي ، وَكَانَتْ أَوَّلَ حَيْضَةٍ حِضَّتْهَا ، قالت : فَتَقَبَّضْتُ إلى النَّاقَةِ وَاسْتَحْيَيْتُ ؛ فَلَمَّا رَأَى رسولُ الله ﷺ مَا بِي وَرَأَى الدَّمَ ، قَالَ : مَا لَكَ ؟ لَعَلَّكَ نُفِستَ (٣) ؛ قالت : قُلْتُ : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَأَصْلَحِي مِنْ نَفْسِكَ ، ثُمَّ خُذِي إِنْاءَ مِنْ مَاءٍ ، فَاطْرَحِي فِيهِ مِلْحًا ، ثُمَّ اغْسَلِي بِهِ مَا أَصَابَ الْحَقِيْبَةَ مِنَ الدَّمِ ، ثُمَّ عَوْدِي لِمَرْكَبِكَ .

قالت : فَلَمَّا فَتَحَ رسولُ الله ﷺ خَيْبَرَ ، رَضَخَ لَنَا مِنَ الْفَيْءِ وَأَخَذَ هَذِهِ الْقِلَادَةَ الَّتِي تَرَيْنِ فِي عُنْقِي فَأَعْطَانِيهَا ، وَعَلَّقَهَا بِيَدِهِ فِي عُنْقِي ، فوالله لَا تُفَارِقُنِي أَبَدًا .

(١) الداجن : كل ما أَلَفَ النَّاسُ فِي بَيْوتِهِمْ ، كَالشَّاةِ الَّتِي تَعْلَبُ وَالْحَمَامِ . (تَرْتِيبُ الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ مِنْ ١٥٢ ح ٢) .
(٢) رَضَخَ لهنَّ : أَعْطَاهُنَّ عَطَاءً يَسِيرًا ، لَمْ يَصِلْ إِلَى نَصِيبِ السُّهُمِ . (تَرْتِيبُ الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ مِنْ ٣٤٧ ح ٢) .
(٣) نُفِست : حَصَتْ . (تَرْتِيبُ الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ مِنْ ٤١٤ ح ٤) .

قالت : فكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تُدفن معها . قالت : وكانت لا تتطهر من حيضة إلا جعلت في طهورها ملحاً ، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت .

شهداء خيبر :

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين ، من فريش ، ثم من بنى أمية بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكتم بن سخبرة بن عمرو بن بكير بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد ؛ وثقيف بن عمرو ، ورفاعة بن مسروح .

ومن بنى أسد بن عبد العزى : عبد الله بن الهيثب ، ويقال : ابن الهيثب ، فيما قال ابن هشام ، ابن أهيب بن سحيم بن غيرة ، من بنى سعد بن ليث ، حليف لبنى أسد ، وابن أختهم .

ومن الأنصار ثم من بنى سلمة : بشر بن البراء بن معرور ، مات من النشة التي سم فيها رسول الله ﷺ ؛ وقُضيل بن النعمان . رجلان .

ومن بنى زريق : مسعود بن سعد بن قيس بن خلد بن عامر بن زريق . ومن الأوس ثم من بنى عبد الأشهل : محمود بن مسلمة بن خالد بن عدى ابن مُجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة .

ومن بنى عمرو بن عوف : أبو ضيَّاح^(١) بن ثابت بن النعمان بن أمية ابن^(٢) امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ؛ والحارث بن حاطب ؛ وعروة بن مرة بن سراقه ؛ وأوس بن القائد ؛ وأنيف بن حبيب ؛ وثابت بن أثلة ؛ وطلحة^(٣) .

ومن بنى غفار : عُمارة بن عُبّة ، رمى بسهم .

(١) في الطبرى : « أبو ضيَّاح النعمان بن ثابت بن النعمان بن أمية بن البرك » .

(٢) اسمه النعمان ؛ وقيل عمير .

(٣) هو طلحة بن يحيى بن مليل بن صبرة .

(راجع الاستيعاب) .
(راجع شرح السيرة) .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ؛ والأسود الراعى ، وكان اسمه أسلم ، قال ابن هشام : الأسود الراعى من أهل خيبر .

وممن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهري ، من بنى زهرة : مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارة .

ومن الأنصار بنى عمرو بن عوف : أوس بن قتادة .

أمر الأسود الراعى فى حديث خيبر

• إسلامه واستشهاده :

قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعى ، فيما بلغنى : أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم له ، كان فيها أجيرا لرجل من يهود ، فقال : يا رسول الله ، اعرض على الإسلام ، فعرضه عليه ، فأسلم - وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحدا أن يدعو إلى الإسلام ، ويعرضه عليه - فلما أسلم قال : يا رسول الله ، إنى كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم ، وهى أمانة عندى ، فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب فى وجوها ، فانها سترجع إلى ربها - أو كما قال - فقال الأسود ، فأخذ حفنة من الحصى فرمى بها فى وجوها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك ، فوالله لا أصحبك أبدا ، فخرجت مجتمعة ، كأن سائقا يسوقها ، حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلى الله صلاة قط ؛ فأتى به رسول الله ﷺ ، فوضع خلفه ، وسجى بشملة كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ، ومعه نفر من أصحابه ، ثم أعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله ، لم أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زوجتيه من الحور العين .

قال ابن إسحاق : وأخبرني عبد الله بن أبي نجيح أنه ذكر له : أن الشهيد إذا ما أصيب تدلت (له) رَوْجَتاه من الحُور العين ، عليه تَنْقُضان التراب عن وجهه ، وتقولان : تَرَبَّ الله وجهه من تَرَبِّك ، وقتل مَنْ قَتَلَكَ .

أمر الحجاج بن علاط السلمي

قال ابن إسحاق : ولما فُتحت خيبر ، كلَّم رسول الله ﷺ ، الحجاج بن علاط السلمي ثم البَهْزِي ، فقال : يا رسول الله ، إن لي بمكة ما لا عند صاحبتى أُم شَيْبَةَ بنت أبي طلحة - وكانت عنده ، له منها مُعرض بن الحجاج ومالٌ متفرِّق في تجار أهل مكة ، فأذن لي يا رسول الله ؛ فأذن له ، قال : إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول ؛ قال : قل : قال الحجاج : فخرجتُ حتى إذا قدمت مكة وجدت بَنِيَّةَ البِيضَاء (١) رجالا من قريش يتسَّمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قَرْيَةُ الحجاز ، رِيفًا وَمَنْعَةً ورجالا ، فهم يتحسَّسون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رأوني قالوا : الحجاج بن علاط - قال : ولم يكونوا علموا بإسلامي عنده والله الخبر - أخبرنا يا أبا محمد ، فانه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهي بلد يهود وريف الحجاز ؛ قال : قلت : قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم ؛ قال : فالتَّبَطُّوا بجنبى ناقتي (٢) يقولون : إليه يا حجاج ؛ قال : قلت : هُزِمَ هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقُتِلَ أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثلها قط ، وأسر محمد أسرا ؛ وقالوا : لا نقتله حتى نُبْعَثَ به إلى أهل مكة ، فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينوني على جمع مالي بمكة

(١) قال يا قوت ، والبِيضَاء : ثِيبة التعميم بمكة ، لها ذكر في كتاب السيرة .

(٢) ترتب القاموس المحيط ص ٣٤٩ ج ١ .

(٢) اللطَّة . أن يصرب العير بيديه . التَّبَطُّوا بحسب ناقتي : أى مشوا إلى جنبها ملازمين لها ، مطيعين بها . (لسان العرب ص ٣٨٨ ح ٧) .

وعلى غُرمائي ، فاني أريد أن أقدم خبير ، فأصيب من قل^(١) محمد وأصحابه
قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك .

قال ابن هشام : ويقال : من فيء محمد .

العباس يستوثق من خبر الحجاج ويفاجيء قريشا :

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كأحث^(٢) جمع سمعت
به . قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وقد كان لى عندها مال موضوع ،
لعلنى ألحق بخبير ، فأصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقني التجار ؛ قال : فلما
سمع العباس بن عبد المطلب الخبر ، وجاءه عنى ، أقبل حتى وقف إلى جنبى
وأنا فى خيمة من خيام التجار ، فقال : يا حجاج ، ما هذا الخبر الذى جئت به ؟
قال : فقلت : وهل عندك حفظ لما وضعتُ عندك ؟ قال : نعم ؛ قال : قلت :
فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء ، فاني فى جَمْع مالى كما ترى ، فانصرف
عنى حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لى بمكة ،
وأجمعت الخروج ، لقيت العباس ، فقلت : احفظ على حديثى يا أبا الفضل ،
فانى أخشى الطلب ثلاثا ، ثم قل ما شئت ، قال : افعل ؛ قلت : فإنى والله لقد
تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم . يعنى صفية بنت حبي ، ولقد افتتح
خبير ، وانتثل^(٣) ما فيها ، وصارت له ولأصحابه ؛ فقال : ما تقول
يا حجاج ؟ قال : قلت : إى والله ، فاكتم عنى ، ولقد أسلمتُ وما جئت إلا لأخذ
مالى ، فرقا من أن أغلب عليه ، فاذا مضت ثلاث فأظهر أمرى ، فهو والله
على ما تحب ، قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له ،

(١) لسان العرب ص ٥٣١ ج ١١ .

(٢) لسان العرب ص ١٣١ ح ٢ .

(٣) لسان العرب ص ٦٤٥ ح ١١ .

(١) النمل : القوم المبهومون .

(٢) كأحث : كأسرع .

(٣) انتثل : استخرج .

وتخلَّق^(١) ، وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها ، فلما رآوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلُّد لحرِّ المصيبة ؛ قال : كلا ، والله الذى حلفتُ به ، لقد افتتح محمد خيبر وتُرك عروسا على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحَتْ له ولأصحابه ؛ قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مُسلما ، فأخذ ماله ، فانطلق ليَلحق بمحمد وأصحابه ، فيكون معه ؛ قالوا : يا لِعباد الله ! انفلت عنو الله ، أما والله لو علَمنا لكان لنا وله شأن ؛ قال : ولم يَنْشَبوا^(٢) أن جاءهم الخبر بذلك .

ذكر مقاسم خيبر وأموالها

قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خيبر ، على الشَّقِّ ونِطَاطٍ والكَتِيبة فكانت الشَّقُّ ونِطَاطٌ فى سُهْمَانِ المسلمين ، وكانت الكَتِيبة خُمْسَ الله ، وسهم النبى ﷺ ، وسهم نوى القُرْبَى واليتامى والمساكين ، وطُعْمُ أزواج النبى ﷺ ، وطُعْمُ رجالٍ مشوا بين رسول الله ﷺ وبين أهل فَدَكٍ بالصلح ؛ منهم مُحَيِّصَةُ بن مَسْعُود ، أعطاه رسول الله ﷺ ثلاثين وَسَقًا من شعير ، وثلاثين وَسَقًا من تمر ، وقُسمت خيبرُ على أهل الحُدَيْبِيَّةِ ، مَنْ شهد خيبر ، وَمَنْ غاب عنها ، ولم يَغِب عنها إلا جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حَرَامٍ ، فَقَسَمَ له رسول الله ﷺ كَسَهْمِ مَنْ حضرها ، وكان وادياها ، وادى السُرَيْرَةِ ، ووادى خاص ، وهما اللذان قُسمت عليهما خيبر ، وكانت نِطَاطٌ والشَّقُّ ثمانية عشر سهما ، نِطَاطٌ من ذلك خمسة أسهم ، والشَّقُّ ثلاثة عشر سهما ، وقُسمت الشَّقُّ ونِطَاطٌ على ألف سهم ، وثمان مِئَةَ سهم .

وكانت عِدَّةُ الذين قُسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله ﷺ ألف سهم وثمان مِئَةَ سهم ، برجالهم وخیلهم ، الرجال أربع عشرة مِئَةَ ، والخیل مِئَتان

(١) لسان العرب ص ٩١ ج ١٠ .

(٢) لسان العرب ص ٧٥٧ ح ١ .

(١) تخلق : تطيب بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب .

(٢) لم يَنْشَبوا : لم يلتوا عير قليل .

فارس ؛ فكان لكلّ فرس سهمان ، ولفارسه سهم ، وكان لكلّ راجل سهم ؛ فكان لكل سهم رأسٌ جُمع إليه مئة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهما جُمع .

قال ابن هشام : وفى يوم خيبر عزّب رسول الله ﷺ العربى من الخيل ، وهَجَنَ الهجين .

قال ابن إسحاق : فكان على بن أبى طالب رأسا ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم ابن عدى ، أخو بنى العجلان ، وأسيد بن حضير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بنى بياضة ، وسهم بنى عبيد ، وسهم بنى حرام من بنى سلمة ، وعبيد السهام .

قال ابن هشام : وإنما قيل له عبيد السهام لما اشترى من السهام يوم خيبر ، وهو عبيد ابن أوس ، أحد بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس .

قال ابن إسحاق : وسهم ساعدة ، وسهم غفار وأسلم ، وسهم النجار وسهم حارثة ، وسهم أوس . فكان أول سهم خرج من خيبر بئطاة سهم الزبير بن العوام ، وهو الخوَع^(١) ، وتابعه السرير ؛ ثم كان الثانى سهم بياضة ، ثم كان الثالث سهم أسيد ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج ، ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف ابن الخزرج ومزينة وشركائهم ، وفيه قُتل محمود بن مسلمة ؛ فهذه نطاة .

ثم هبطوا إلى الشَّقّ ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدى ، أخى بنى العجلان ، ومعه كان سهم رسول الله ﷺ ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ، ثم سهم النجار ، ثم سهم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طلحة بن عبيد الله ، ثم سهم غفار وأسلم ، ثم سهم عمر

(١) الخوَع : موضع قرب حيدر .

(لسان العرب ص ٨١ ج ٨) .

ابن الخطّاب ، ثمّ سهما سَلَمَة بن عُبَيْد وبنى حَرَام ، ثمّ سهم حارثة ، ثمّ سهم
عُبَيْد السّهام ، ثمّ سهم أَوْس ، وهو سهم اللّفيف ، جمعت إليه جُهَيْنَة ومن حَضَر
خَيْر من سائر العرب ؛ وكان حَذْوُهُ (١) سهم رسول الله ﷺ ، الذى كان
أصابه فى سهم عاصم بن عدّى .

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد الرسول ﷺ إلى نساءه بنصيبهن فى المغانم :

ذكر ما أعطى محمد رسول الله ﷺ نساءه من قمح خَيْر قسم لهنّ مئة
وسُق وثمانين وسُقاً ، ولفاطمة بنت رسول الله ﷺ خمسة وثمانين وسُقاً ،
ولأسامة بن زيد أربعين وسُقاً ، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسُقاً ، ولأمّ
رُمَيْثَة (٢) خمسة أوسُق .

أمر فذك فى خبر خير

مصالحة الرسول ﷺ أهل فذك :

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله ﷺ من خير قذف الله الرُعب
فى قلوب أهل فذك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خير ، فبعثوا إلى
رسول الله ﷺ يصلحونه على النصف من فذك ، فقدمت عليه رُسُلهم بخير ،
أو بالطائف أو بعد ما قَدِم المدينة ، فقبل ذلك منهم ، فكانت فذك
لرسول الله ﷺ خالصة ، لأنه لم يوجَف (٣) عليها بخيل ولا ركاب .

(١) ترتيب القاموس المحيط ح ١ .

(١) حدوه : بإرائه .

(٢) قال السهيلي : ... ولا تعرف إلا بهذا الخبر وشهودها فتح خير .

(٣) لسان العرب ص ٣٥٢ ح ٩ .

(٣) لم يوجف : لم يجتمع .

تسمية النفر الدارين الذين أوصى لهم رسول الله ﷺ من خير

نسبهم :

وهم بنو الدار بن هانى بن حبيب بن ثمار بن لخم ، الذين ساروا إلى رسول الله ﷺ من الشام : تميم بن أوس وئعيم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وعرفة بن مالك ، سماء رسول الله ﷺ عبد الرحمن .

قال ابن هشام : ويقال : عزة بن مالك : وأخوه مزان بن مالك .

قال ابن هشام : مزوان بن مالك .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن ثمان ، وجبلة بن مالك ، وأبو هند بن بر ، وأخوه الطيب بن بر ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله .

خرص ابن رواحة ثم جبار على أهل خيبر :

فكان رسول الله ﷺ ، كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصا بين المسلمين ويهود ، فيخرص عليهم ، فإذا قالوا : تعديت علينا ؛ قال : إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

وإنما خرص عليهم عبد الله بن رواحة عاما واحدا ، ثم أصيب بمؤتة يرحمه الله ، فكان جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بني سلمة ، هو الذى يخرص عليهم بعد عبد الله بن رواحة (١) .

(١) الحارص . الذى يحرر ما على النخل والكرم من ثمر ، وهو من الحرص أى الظن ، لأنه تقدير بطن .
(ترتيب القاموس المحيط ص ٣٨ ح ٢)

مقتل ابن سهل ودية الرسول إلى أهله :

أقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم المسلمون بأسا في معاملتهم ، حتى عدّوا في عهد رسول الله ﷺ على عبد الله بن سهل ، أخى بنى حارثة فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثني الزهرى عن سهل بن أبى حنمة ؛ وحدثني أيضا بشير بن يسار ، مولى بنى حارثة ، عن سهل بن أبى حنمة ، قال : أصيب عبد الله بن سهل بخبير ، وكان خرج إليها فى أصحاب له يمتار^(١) منها تمرا ، فوجد فى عين قد كسرت عنقه ، ثم طرح فيها ؛ قال : فأخذه فغيبوه ، ثم قدموا على رسول الله ﷺ ، فذكروا له شأنه ، فتقدم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمه حويصة ومحيصة ابنا مسعود ، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنا ، وكان صاحب الدم ، وكان ذا قدم فى القوم ، فلما تكلم قبل ابنى عمه ، قال رسول الله ﷺ : الكبر الكبر^(٢) .

قال ابن هشام : ويقال : كبر كبر - فيما ذكر مالك بن أنس - فسكت ؛ فتكلم حويصة ومحيصة ، ثم تكلم هو بعد ، فذكروا لرسول الله ﷺ قتل أصحابهم ؛ فقال رسول الله ﷺ : أنتمون قاتلكم ، ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلمه إليكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنحلف على ما لا نعلم ؛ قال : أفيحلفون بالله خمسين يمينا ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يبرأون من دمه ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم . قال : فوداه^(٣) رسول الله ﷺ من عنده مئة ناقة .

قال سهل : فوالله ما أنسى بكرة منها حمراء ضربتنى وأنا أحوزها .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن

(١) يمتار التمر : يحمله ويحذنه .
(٢) الكبر الكبر ، أى قدموا الأكبر للكلام ، إرشادا إلى الأدب فى تقديم الأس .
(٣) فوداه : أعطاهم ديتة .
(لسان العرب ص ١٥٨ ح ٥) .
(ترتيب القاموس ص ٥٩٣ ح ٤) .

عبد الرحمن ابن بُجَيْد بن قَيْطِيٍّ ، أخى بنى حارثة ، قال محمد بن إبراهيم :
وايم الله ، ما كان سهل بأكثر علما منه ، ولكنه كان أَسَنَ منه ؛ إنه قال له :
والله ما هكذا كان الشأن ! ولكن سهلا أوهم ، ما قال رسول الله ﷺ ، احلفوا
على ما لا علم لكم به ، ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار : إنه
قد وُجِدَ قَتِيل بين أبياتكم فدوه ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ، ولا يعلمون
له قاتلا ، فوداه رسول الله ﷺ من عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن
بُجَيْد ، إلا أنه قال فى حديثه : دوه أو ائذنوا بحرب . فكتبوا يحلفون بالله
ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ؛ فوداه رسول الله ﷺ من عنده .

إجلاء اليهود عن خيبر أيام عمر (١) :

قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهري : كيف كان إعطاء
رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم ، حين أعطاهم النخل على خَرْجها ، أبتَ ذلك
لهم حتى قُبِضَ ، أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟

فأخبرني ابنُ شهاب : أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عَنوةً بعد القتال ،
وكانت خيبر مما أفاء الله عزَّ وجلَّ على رسول الله ﷺ ، خَمْسُها
رسولُ الله ﷺ ، وقَسَمَها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء
بعد القتال ، فدعاهم رسولُ الله ﷺ ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال
على أن تعملوها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، وأؤرِّكم ما أقرَّكم الله ، فقبلوا ،
فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رَوَاحَةَ ،
فيقسم ثَمَرها ، ويعيد عليهم فى الخَرْص ، فلما توفى الله نبيَّه ﷺ ، أقرَّها
أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، بعد رسول الله ﷺ بأيديهم ، على المُعاملة التى
عاملهم عليها رسول الله ﷺ ، حتى توفى ؛ ثم أقرَّها عمر رضى الله عنه

(١) كان يهود خيبر هم رعاء التَّأمر والدس ، وهم الذين حاربوا الأحرار فى عروة الحندق ضد المسلمين ، وحتوا
بى قريظة على العذر والحياة ، واتصلوا بالمنافقين فى صفوف المسلمين . وأيضا هم الذين وضعوا خطة لقتل
النبي ﷺ . وعدروا بالعهد .

صَدْرًا مِنْ إِمَارَتِهِ . ثُمَّ بَلَغَ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قَبَضَهُ اللَّهُ فِيهِ : لَا يَجْتَمِعَنَّ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانٌ ؛ فَفَحَصَ عُمَرُ ذَلِكَ ، حَتَّى بَلَغَهُ النَّبُتُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى يَهُودَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذِنَ فِي جَلَائِكُمْ ، قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لَا يَجْتَمِعَنَّ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانٌ ، فَمَنْ كَانَ عَنْدهَ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَهُودِ فَلْيَأْتِنِي بِهِ ، أَنْفِذْهُ لَهُ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَنْدهَ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَهُودِ ، فَلْيَتَجَهَّزْ لِلْجَلَاءِ ، فَأَجَلِي عُمَرُ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَنْدهَ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي نَافِعٌ ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : خَرَجْتُ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمُقَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ إِلَى أَمْوَالِنَا بِخَيْبَرَ نَتَعَاهِدُهَا ، فَلَمَّا قَدِمْنَا تَفَرَّقْنَا فِي أَمْوَالِنَا ، قَالَ : فَعُدِّي عَلَيَّ تَحْتَ اللَّيْلِ ، وَأَنَا نَائِمٌ عَلَى فَرَاشِي ، فَفُدِعَتْ (١) يَدَايَ مِنْ مِرْفَقَيَّ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ اسْتَصْرَخَ عَلَيَّ صَاحِبَايَ ، فَأَتَيْنَانِي فَسَأَلَانِي : مَنْ صَنَعَ هَذَا بِكَ ؟ فَقُلْتُ : لَا أَدْرِي ؛ قَالَ : فَأَصْلَحَا مِنْ يَدَيَّ ، ثُمَّ قَدِمَا بِي عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فَقَالَ : هَذَا عَمَلُ يَهُودَ ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَامِلَ يَهُودَ خَيْرَ عَلَى أَنَا نَخْرُجُهُمْ إِذْ شِئْنَا ، وَقَدْ عَدَّوْا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، فَدَعَوْا يَدِيهِ ، كَمَا قَدْ بَلَغَكُمْ ، مَعَ عَدُوِّهِمْ عَلَى الْأَنْصَارِيِّ قَبْلَهُ ، لَا نَشْكُ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهُ ، لَيْسَ لَنَا هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرُهُمْ ، إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ بِخَيْبَرَ فَلْيَلْحَقْ بِهِ ، فَانِي مُخْرَجُ يَهُودَ ، فَأَخْرَجَهُمْ .

قِسْمَةُ عُمَرَ لَوَادِي الْقُرَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَكْنَفٍ ، أَخِي بَنِي حَارِثَةَ ، قَالَ : لَمَّا أَخْرَجَ عُمَرُ يَهُودَ مِنْ خَيْبَرَ رَكِبَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَخَرَجَ مَعَهُ جُبَّارُ بْنُ صَخْرٍ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَنْسَاءَ ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ ، وَكَانَ خَارِصَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَحَاسِبَهُمْ - وَيَزِيدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَهُمَا قَسَمَا خَيْبَرَ بَيْنَ أَهْلِهَا ، عَلَى أَصْلِ جَمَاعَةِ السُّهُمَانِ ، الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا .

(١) (لسان العرب ص ٢٤٦ ج ٨) .

(١) دَعَتْ يَدَاهُ : أَيْ أَرَبَتْ مَفَاصِلَهَا عَنْ أَمَّاكِنِهَا .

وكان ما قَسَمَ عمر بن الخطاب من وادى القُرَى ، لعثمان بن عفَّان خَطَرٌ ، ولعبد الرحمن بن عوف خَطَرٌ ، ولعمر بن أبي سَلَمَةَ خَطَرٌ ، ولعامر ابن أبي ربيعة خَطَرٌ ، ولعمرو بن سُرَاقَةَ خَطَرٌ ، ولأُسَيم خَطَرٌ .

قال ابن هشام : ويقال : ولأسلم ولبنى جعفر خَطَرٌ ، ولْمُعَيْقِب خَطَرٌ ، ولعبد الله بن الأرقم خَطَرٌ ، ولعبد الله وعُبَيْدُ الله خَطَرَانِ ، ولابن عبد الله بن جَحْش خَطَرٌ ، ولابن الْبَكَّير خَطَرٌ ، ولْمُعْتَمِر خَطَرٌ ، ولزید بن ثابت خَطَرٌ ، ولأبى بن كَعْب خَطَرٌ ، ولْمُعَاذ بن عَفْرَاء خَطَرٌ ، ولأبى طلحة وحَسَن خَطَرٌ ، ولجَبَّار بن صخر خَطَرٌ ، ولجابر بن عبد الله بن رثاب خَطَرٌ ، ولمالك بن صَعَصَعَة وجابر بن عبد الله بن عَمْرٍو خَطَرٌ ، ولابن حُضَيْر خَطَرٌ ، ولابن سَعْد بن مُعَاذ خَطَرٌ ، ولسَلَامَة بن سَلَامَة خَطَرٌ ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبى شريك خَطَرٌ ، ولأبى عَبَس بن جبر خَطَرٌ ، ولْمُحَمَّد بن مَسْلَمَة خَطَرٌ ، ولعبادة ابن طارق خَطَرٌ .

قال ابن هشام : ويقال : لقتادة .

قال ابن إسحاق : ولجَبْر بن عَتِيك نِصْفُ خَطَرٌ ، ولابنى الحارث بن قَيْس نصف خَطَرٌ ، ولابن حَزَمَة والضحاك خَطَرٌ ، فهذا ما بلغنا من أمر خَيْرِ ووادى القُرَى ومقاسيمها .

وقال ابن هشام : الْخَطَرُ : النَّصِيب . يقال : أخطَرَ لى فلان خَطَرًا .

● ذكر قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة

وحديث المهاجرين إلى الحبشة

فرح الرسول بقدوم جعفر :

قال ابن هشام : وذكر سُفْيَان بن عُيَيْنَة عن الأجلح ، عن الشَّعْبِي : أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، قَدِمَ على رسول الله ﷺ يومَ فَتَحَ خَيْبَر ،

فَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَالتَزَمَهُ وَقَالَ : مَا أَدْرَى بِأَيِّهِمَا أَنَا أَسْرُ : بِفَتْحِ خَبِير ، أَمْ بِقَدُومِ جَعْفَرِ ؟

مهاجرة الحبشة الذين قدم بهم عمرو بن أمية :

قال ابن إسحاق : وكان مَنْ أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ، فحملهم في سفينتين ، فقدم بهم عليه وهو بخير بعد الحديبية .

من بنى هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب ، معه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية ؛ وابنه عبد الله بن جعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة . قُتِلَ جعفر بمؤتة من أرض الشام أميراً لرسول الله ﷺ ، رجل .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ابن عبد شمس ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد - قال ابن هشام : ويقال : أمينة بنت خلف - وابناه سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة . قُتِلَ خالد بمرج الصقر (١) في خلافة أبي بكر الصديق بأرض الشام ، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية ابن محرز الكنانى ، هلكت بأرض الحبشة . قُتِلَ عمرو بأجنادين من أرض الشام في خلافة أبي بكر رضى الله عنه .

ومُعَيَّقِب بن أبي فاطمة ، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان إلى آل سعيد بن العاص ؛ وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس ، حليف آل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أربعة نفر .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الأسود بن نوفل بن خويلد . رجل .

(١) مرج الصعر : نسم الصاد وتشديد الفاء موضع بعوطة دمشق وكان به وقعة للمسلمين مع الروم [لسان العرب ص ٤٦٥ ح ٤]

ومن بنى عبد الدار بن قُصَيّ : جَهْم بن قَيْس بن عبد شَرْحِبِيل ، معه ابناه عمرو ابن جَهْم وخَزِيمَة بن جَهْم ، وكانت معه امرأته أم حَرَملة بنت عبد الأسود هَلَكْتَ بأَرْض الحبشة ، وابناه لها .

ومن بنى زُهْرَة بن كِلَاب : عامر بن أبى وقَّاص ، وعُتْبَة بن مسعود حليف لهم من هُذَيْل .

ومن بنى ثَيْم بن مُرّة بن كَعْب : الحارث بن خالد بن صَخْر ، وقد كانت معه امرأته رَيْطة بنت الحارث بن جُبَيْلة ، هَلَكْتَ بأَرْض الحبشة .

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عثمان بن رَبِيعَة بن أَهْبَان .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ، مَخْمِيَة بن الجَزْء (١) ، حليف لهم من بنى زُبَيْد ، كان رسولُ الله ﷺ ، جعله على خُمس المسلمين ، رجل .

ومن بنى عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ : مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلَة .

ومن بنى عامر بن لُؤَيّ بن غالب : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ومالك بن ربيعة بن قَيْس بن عبد شمس ، معه امرأته عَمْرَة بنت السَّعْدِي بن وَفْدَان بن عبد شمس . رجلا .

ومن بنى الحارث بن فِهْر بن مالك : الحارث بن عبد قَيْس بن لَقِيط رجل . وقد كان حُمِلَ معهم فى السَّفِينَتَيْنِ نساءً من نساء من هَلَكَ هنالك من المسلمين .

عدة من حملهم مع عمرو بن أمية

فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو بن أمية الضَّمْرَى فى السَّفِينَتَيْنِ ، فجميع من قَدِمَ فى السَّفِينَتَيْنِ إلى رسولِ الله ﷺ سنةَ عشرِ رجلا .

(١) يروى بتشديد الرأى غير مهمور ، والصواب فيه الهمز . وكذا قيده الدارقطنى (راجع شرح السيرة لأبى ذر) .

سائر مهاجرة الحبشة :

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدّم إلا بعد بدر ، ولم يحمل النجاشي في السفينتين إلى رسول الله ﷺ ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن هلك بأرض الحبشة ، ومن مهاجرة الحبشة . :

من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عبید الله بن جحش بن رثاب الأسدي أسد خزيمه ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وابنته حبيبة بنت عبید الله ، وبها كانت تكنى أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكان اسمها رملة .

تنصر ابن جحش بالحبشة وخلف الرسول على امرأته :

خرج مع المسلمين مهاجرة ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر بها وفارق الإسلام ، ومات هناك نصرانيا . فخلف (١) رسول الله ﷺ على امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : خرج عبید الله بن جحش مع المسلمين مسلماً ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر ، قال : فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ قال : فقحنا وصأصأتم (٢) أى قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك ، فضرب ذلك له ولهم مثلاً : أى أنا قد فتحنا أعيننا فأبصرنا ، ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا ، وأنتم تلتمسون ذلك .

قال ابن إسحاق : وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خزيمه ، وهو أبو أمية بنت قيس التي كانت مع أم حبيبة ؛ وامرأته بركة بنت يسار ،

(١) حلف . صبار مكانه [لسان العرب ص ٨٤ ح ٩]

(٢) فقحنا : ففتح الحزب وفتح : وذلك أول ما يفتح عيبيه وهو صغير وصأصأ : إذا لم يفتح عيبيه : ويقصد بقوله هذا أننا أنصرتنا رُشدنا ولم يتنصروا

و لسان العرب ص ٥٤٦ ح ٢]

مولاة أبي سُفْيَان بن حرب ، كانتا ظَنُرَى^(١) عُبَيْدِ اللَّهِ بن جَحْش ؛ وأُمّ حَبِيبَةَ بنت أبي سُفْيَان ، فخرجا بهما معهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة .

ومن بنى أَسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ : يزيد بن رَمْعَة بن الأسود بن المَطْلَب بن أَسَد قُتِلَ يوم حُنَيْن مع رسول الله ﷺ شهيدًا ؛ وعمرو بن أُمَيَّة ابن الحارث بن أَسَد ، هَلَكَ بأرض الحبشة .

ومن بنى عَبْدُ الدَّار بن قُصَيّ : أبو الرُّوم بن عُمَيْر بن هَاشِم بن عبد مناف بن عبد الدَّار ؛ وفِرَاس بن النُّضَر بن الحارث بن كَلْدَة بن عُلْقَمَة بن عَبْدُ مناف بن عبد الدار .

ومن بنى زُهْرَة بن كَلَاب بن مُرّة : المَطْلَب بن أَزْهَر بن عبد عَوْف بن عبد (بن) الحارث بن زُهْرَة ، معه امرأته رَمْلَة بنت أبي عوف بن ضُمَيْرَة ابن سَعِيد ابن سَعْد بن سَهْم ، هَلَكَ بأرض الحبشة ، ولدت له هنالك عَبْدُ اللَّهِ بن المَطْلَب فكان يقال : إن كان لأوّل رجل وَرِثَ أباه في الإسلام .

ومن بنى تَيْم بن مرة بن كَعْب بن لُؤَيّ : عمرو بن عثمان بن عمرو ابن كعب بن سَعْد بن تَيْم ، قُتِلَ بالقادسيّة مع سعد بن أبي وقَّاص .

ومن بنى مخزوم بن يَقْظَة بن مُرّة بن كعب : هُبَّار بن سُفْيَان بن عبد الأسد ، قُتِلَ بأجنادين من أرض الشام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ؛ وأخوه عبد الله بن سُفْيَان ، قُتِلَ عام اليزموك بالشام ، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بشكّ فيه أقتل ثم أم لا ؛ وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة ، ثلاثة نفر .

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب : حاطب بن الحارث مَعْمَر بن حَبِيب ابن وَهَب بن حُذَافَة بن جُمَح ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت المَجَلَّل هَلَكَ حاطب هنالك مُسلماً ، فقَدِمَت امرأته وابناه ،

(١) الطائر . المُرْصِيعَة عير ولدها وجمعها طُؤُورَة

[لسان العرب ص ٥١٤ ح ٤]

وهي أمهما ، في إحدى السفينتين ؛ وأخوة خطّاب بن الحارث ، معه امرأته فُكَيْهَة بنت يَسَار ، هَلَكَ هنالك مُسلما ، فَقَدِمَت امرأته فُكَيْهَة في إحدى السفينتين وسُفَيان بن مَعمر بن حَبِيب ، وابناه جُنادة وجابر ، وأمهما معه حَسِنة ، وأخوهما لأمهما شُرحبيل بن حَسِنة ؛ وهَلَكَ سفيان وهَلَكَ ابناه جُنادة وجابر في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . ستة نفر .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هَصِيص بن كَعْب : عبد الله بن الحارث ابن قَيْس بن عدِيّ بن سعد بن سَهْم الشاعر ، هَلَكَ بأرض الحبشة ، وقَيْس بن خُذافة بن قَيْس بن عدِيّ بن سعد بن سَهْم ؛ وأبو قَيْس بن الحارث بن قَيْس بن عدِيّ بن سعد بن سَهْم ، قُتِلَ يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وعبد الله بن خُذافة بن قَيْس بن عدِيّ ابن سعد بن سَهْم ، وهو رسول (رسول) الله ﷺ إلى كسرى ؛ والحارث بن الحارث بن قَيْس بن عدِيّ ؛ ومَعمر بن الحارث بن قَيْس بن عدِيّ ؛ ويثرب بن الحارث بن قَيْس بن عدِيّ ؛ وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له سعيد بن عمرو ، قُتِلَ بأجنادين في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ؛ وسعيد بن الحارث بن قَيْس ، قُتِلَ عام اليرموك في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ؛ والسائب بن الحارث بن قَيْس ، جُرح بالطائف مع رسول الله ﷺ ، وقُتِلَ يوم فُحْل (١) في خلافة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، ويقال : قُتِلَ يوم خيبر ، يُشَكَّ فيه ؛ وعُمير بن رثاب بن خُذيفة ابن مَهْشَم بن سعد بن سَهْم ، قُتِلَ بعَيْن التمر مع خالد بن الوليد ، مُنْصَرَفَة من اليمامة ، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه . أحد عشر رجلا .

ومن بنى عدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ : عُرْوَة بن عبد العزّي بن حُرْثان بن عوف بن عُبَيْد بن عُويج بن عدِيّ بن كعب ، هَلَكَ بأرض الحبشة ؛ وعدِيّ بن نُضْلَة بن عبد العزّي بن حُرْثان ، هَلَكَ بأرض الحبشة .

● ومن بنى عامر بن لُؤَيّ بن غالب بن فُهْر : سَلِيط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِصْل بن عامر ، وهو كان رسول

(١) فُحْل : موضع بالثمام كانت له وقعة المسلمين مع الروم

[لسان العرب ص ٥٤٨ ح ١١]

رسول الله ﷺ إلى هُوذة بن عليّ الحنفى باليَمَامَة . رجل .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن عبد غَسَم بن زُهَيْر بن
أبى شَدَّاد ؛ وسعد بن عبد قَيْس بن لَقِيط بن عامر بن أُمَيَّة بن ظَرْب بن الحارث
ابن فُهَر ، وعياض بن زُهَيْر بن أبى شَدَّاد . ثلاثة نفر .

فجميع من تخلف عن بَذْر ، ولم يقدم على رسول الله ﷺ مكة ، ومن
قَدِم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشى فى السفينتين ، أربعة وثلاثون رجلا .
وهذه تسمية (جملة) من هَلَك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة :

من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عُبَيْد الله بن جَحْش بن رثاب ، حليف
بنى أُمَيَّة ، مات بها نصرانيا .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قُصَي : عمرو بن أُمَيَّة بن الحارث بن
أَسَد .

ومن بنى جُمَح : حاطب بن الحارث ؛ وأخوه حطَّاب بن الحارث .
ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبد الله بن الحارث
ابن قَيْس .

ومن بنى عدى بن كعب بن لُؤَي : عُرْوَة بن عبد العزى بن حُرثان بن
عوف ، وعدى بن نُضَلَة . سبعة نفر .

ومن أبنائهم ، من بنى تيم بن مرة : موسى بن الحارث بن خالد بن صخر
ابن عامر . رجل .

وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قَدِمَ مِنْهُنَّ ومن هَلَك
هناك ست عشرة امرأة ، سوى بناتهن اللاتي وُلِدْنَ هنالك ، من قَدِمَ مِنْهُنَّ ومن
هَلَك هنالك ، ومن خرج به معهن حين خَرَجْنَ .

ومن قُرَيْش ، من بنى هاشم : رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ .

ومن بنى أمية : أم حبيبة بنت أبي سفيان ، معها ابنتها حبيبة ، خرجت بها من مكة ، ورجعت بها معها .

ومن بنى مخزوم : أم سلمة بنت أبي أمية ، قدمت معها بزینب ابنتها من أبي سلمة ولدتها هنالك .

ومن بنى ثيم بن مرة : ريطة بنت الحارث بن جبيلة ، هلكت بالطريق وبنات لها كانت ولدتهما هنالك : عائشة بنت الحارث ، وزینب بنت الحارث ، هلكن جميعا ، وأخوهن موسى بن الحارث ، من ماء شربوه في الطريق ، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرها ، يقال لها فاطمة .

ومن بنى سهم بن عمرو : رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة .

ومن بنى عدی بن كعب : لیلی بنت أبي حثمة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤي : سودة بنت زمعة بن قيس ؛ وسهلة بنت سهيل ابن عمرو ، وابنة المجل ، وعمرة بنت السعدی بن وقدان ؛ وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو .

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عميس بن النعمان الخثعمية ؛ وفاطمة بنت صفوان ابن أمية بن مُحَرَّث الكنانية ، وفُكَيْهة بنت يسار ، وبركة بنت يسار ، وحسنة ، أم شر حبيب بن حسنة .

وهذه تسمية من ولد من أبائهم بأرض الحبشة .

ومن بنى هاشم : عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

ومن بنى عبد شمس : محمد بن أبي حذيفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته أمة بنت خالد .

ومن بنى مخزوم : زینب بنت أبي سلمة بن الأسد .

ومن بنى زهرة : عبد الله بن المطلب بن أزر .

ومن بنى تيم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .
الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبي حذيفة ، وسعيد بن خالد وعبد الله بن المطلب ، وموسى بن الحارث .
ومن النساء خمس : أمة بنت خالد ، وزينب بنت أبي سلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر .

عمرة القضاء فى ذى القعدة سنة سبع

خروج الرسول معتمرا فى ذى القعدة :

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر أقام بها شهرى ربيع وجُماديين ورجبا وشعبان ورمضان وشوالا ، يبعث فيما بين ذلك من غزوة وسراياه ﷺ . ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمرا عمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدّوه عنها .
قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عوف بن الأضبط الدّليلى (١) .

سبب تسميتها بعمرة القصاص .

ويقال لها عمرة القصاص ، لأنهم صدّوا رسول الله ﷺ فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست ، فاقتصر رسول الله ﷺ منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة ، فى الشهر الحرام الذى صدّوه فيه ، من سنة سبع (٢) .

(١) وعند الواقدي أن الذى استعمل على المدينة هو أنورهم .

(٢) كما تسمى أيضا : عمرة القصية وعمرة الصلح .

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله في ذلك : الحُرُمَات
قِصَاص (١) .

خروج المسلمين الذين صدوا أولا معه .

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صدّ معه في
عُمُرته (٢) تلك ، وهي سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتحدّثت
قُريش بينها أن محمدا وأصحابه في عُسرة وجَهد وشِدّة .

سبب الهرولة بين الصفا والمروة

قال : ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن ابن عبّاس ، قال : صَفُّوا
له عند دار النُّدوة لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِ وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد
اضطبع (٣) بردائه ، وأخرج عَصِيده اليمنى ، ثم قال : رحم الله امرأ أراهم
اليوم من نفسه قوّة ، ثم استلم الرُّكن ، وخرج يُهْرُول (٤) ويهرول أصحابه
معه ، حتى إذا داراه البيت منهم ، واستلم الركن اليماني ، مشى حتى يستلم
الركن الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ، ومشى سائرَها . فكان ابن
عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم . وذلك أن رسول الله ﷺ
إنما صنعها لهذا الحى من قُريش للذى بلغه عنهم ، حتى إذا حجَّ حِجَّة (٥)
الوداع فلزمها ، فمضت السنة بها .

ارتجاز ابن رواحة وهو يقود ناقة الرسول ﷺ

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله ﷺ حين

(١) سورة البقرة آية (١٩٤)

(٢) كانت عدة المسلمين ألعين سوى النساء والصبيان .

(٣) اضطبع بردائه : الاضطباع أن تُكحل الرِّداء من تحت إبطك الأيمن وتعطى به الأيسر كالرحل يريد أن يعالج
أمرًا يتهيأ له [لسان العرب صد ٨١٦ ح ٨]

(٤) الهرولة : صرب من العدو وهو بين المتي والعذر [لسان العرب صد ٦٩٦ ح ١١]

(٥) الحُجّة : الثَّرة الواحدة وهو من الشَّواد لأن القياس بالفتح [لسان العرب صد ٦٩٦ ح ١١]

دخل مكة فى تلك العُمرَة دخلها وعبد الله بن رِواحة أخذ بخطام^(١) ناقته
يقول :

خَلُّوا بَنَى الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا فَكُلَّ الْخَيْرِ فِى رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّى مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ^(٢) أَعْرِفْ حَقَّ اللَّهِ فِى قَبُولِهِ



نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ^(٣)
قال ابن هشام : « نحن قتلناكم على تأويله » إلى آخر الأبيات ، لعَمَّار
ابن ياسير هذا اليوم^(٤) ، والدليل على ذلك أن ابن رِواحة إنما أراد المُشركين ،
والمُشركون لم يُقَرُّوا^(٥) بالتنزيل ، وإنما يُقتل على التأويل من أقر بالتنزيل .

● زواج الرسول بميمونة :

قال ابن إسحاق : وحدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبى نجيع ، عن
عطاء بن أبى رباح ومجاهد أبى الحجاج ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ
تزوَّج ميمونة بنت الحارث فى سفره ذلك وهو حَرَام وكان الذى زَوَّجه إِيَّاهَا
العَبَّاس بن عبد المُطَّلَب .

قال ابن هشام : وكانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، وكانت أم

(١) الخطام : كل ما وضع فى أثيب النعير لِيُقْتَادَ به

(٢) قيله : قوله

(٣) الهام : جمع هامة وهى أعلى الرأس : ومقيله : موضوعه وتنزيله بمعنى إنكار تنزيله

[لسان العرب ص ٥٧٨ ج ١١]

(٤) المقصود باليوم هو يوم صغين

(٥) لم يُقَرُّوا : الإقرار هو الإدعاء للحق والاعتراف به

[لسان العرب ص ٨٨ ج ٥]

لم يُعْتَرَفُوا : لم يعترفوا

الفضل تحت العبّاس ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس ، فزوجها رسول الله ﷺ بمكة ، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمئة درهم .

إرسال قريش حويطبا إلى الرسول يطلب منه الخروج من مكة :

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثا ، فأتاه حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن جسل ، في نفر من قريش ، في اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكلته باخراج رسول الله ﷺ من مكة ؛ فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك ، فاخرج عنا ؛ فقال النبي ﷺ : وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم^(١) وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه قالوا : لا حاجة لنا في طعامك ، فاخرج عنا . فخرج رسول الله ﷺ ، وخلف أبا رافع مولاة على ميمونة ، حتى أتاه بها بسرف^(٢) فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجة .

ما نزل من القرآن في عمرة القضاء

قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل عليه ، فيما حدثني أبو عبيدة : « لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ، لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ^(٣) رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ^(٤) لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا »^(٥) يعني خيبر .

[لسان العرب ص ١٣٦ ح ٦]

(١) فأعرست بين أظهركم : أى أقمت ببيكم

[لسان العرب ٤ ص ١٥٠ ح ٩]

(٢) بسرف : تكسر الراء موضع من مكة على عشرة أميال قرب التتعيم

[لسان العرب ص ٦٠ ح ١٠]

(٣) المحلقين الذين يحلقون شعورهم

[لسان العرب ص ٩٦ ح ٥]

(٤) المُقَصِّرِينَ : قَصَرَ الشعر : كب منه وعَصَّ حتى قصر وقَصَرَ من شعره تقصيرا إذا حَفَّ منه شيئا ولم يتأصله

(٥) سورة الفتح آية (٢٧)

ذكر غزوة مؤتة^(١)

في جمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة
قال ابن إسحاق : فأقام بها بقيّة ذى الحجة ، وولّى تلك الحجّة
المشركون . والمحرم وصفر وشهرى ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بعثة
إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

بعث الرسول إلى مؤتة واختياره الأمراء :

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن
الزبير قال : بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان .
واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على
الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

بكاء ابن رواحة مخافة النار وشعره للرسول

تجهّز الناس ثم تهيأوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم
ودّع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلّموا عليهم . فلما ودّع عبد الله بن رواحة
من ودّع من أمراء رسول الله ﷺ بكى ؛ فقالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟
فقال : أما والله ما بى حب الدنيا ولا صباة بكم ، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ
يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار « **وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ**
عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا » ،^(٢) فلست أدري كيف لى بالصّدّر بعد الورود ؛
فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وركبكم إلينا صالحين ؛ فقال عبد الله
بن رواحة :

(١) مؤتة : بالصم موضع بمشارف الشام وهى أكبر لقاء دأى بين المسلمين والكفار فى حياة النبى عليه السلام وكانت
مقدمة لفتح بلاد البصارى كانت هذه المعركة بداية اللقاء الدامى وحها لوحه مع الرومان . ونشر الإسلام فى بلادهم .
(٢) سورة مريم آية ٧١

لَكُنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ (١) تَقْذُفُ الرَّبْدَا (٢)
أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيِ حَرَّانٍ مُجَهَّزَةٍ (٣) بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ (٤) وَالْكَبِدَا
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَّتِي (٥) أُرْشِدَهُ اللَّهُ مِنْ غَايٍ وَقَدْ رَشَدَا

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهيأوا للخروج ، فأتى عبد الله بن رواحة
رسول الله ﷺ فودَّعه ، ثم قال :

فَتُبَّتْ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ تَنْبِيَتْ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي تُصِرُوا
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي ثَابِتُ الْبَصَرَا
أَنْتَ الرَّسُولُ فَمَنْ يُحَرِّمِ تَوَافِلَهُ (٦) وَالْوَجْهَ مِنْهُ فَقَدْ أَزْرَى (٧) بِهِ الْقَدَرُ

● قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا
ودَّعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِيءٍ وَدَعْتَهُ فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُشِيعٍ وَخَلِيلٍ
ثُمَّ مَضُوا حَتَّى نَزَلُوا مَعَانَ ، مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، فَبَلَغَ النَّاسُ أَنْ هَرَقَلَ قَدْ
نَزَلَ مَآبٍ ، مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ ، فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ مِنْ لَحْمٍ
وَجُذَامٍ وَالْقَيْنِ وَبَهْرَاءٍ وَبَلَى مِائَةِ أَلْفٍ مِنْهُمْ ، عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ بَلَى ثُمَّ أَحْدُ إِرَاشَةِ ،
يُقَالُ لَهُ : مَالِكُ بْنُ زَافِلَةَ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ أَقَامُوا عَلَى مَعَانَ لَيْلَتَيْنِ
يَفْكُرُونَ فِي أَمْرِهِمْ وَقَالُوا : نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَنُخْبِرُهُ بِعَدَدِ عَدَوْنَا ،
فَإِمَّا أَنْ يُمَدَّنَا بِالرِّجَالِ ، وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ ، فَنَمْضِي لَهُ .

(١) ذات فرغ : ذات سعة [لسان العرب ص ٤٤٦ ج ٨]

(٢) الرَّد : بمعنى رغبة ، اللين [لسان العرب ص ١٩٢ ج ٣] وهى هنا بمعنى رغبة الدم

(٣) مجهرة : سريعة القتل [لسان العرب ص ٣٢٥ ج ٥]

(٤) تنفذ الأحشاء : تحترقها [لسان العرب ص ٥١٥ ج ٣]

(٥) الحدف والحدث : القبر [لسان العرب ص ٢٤ ج ٩]

[لسان العرب ص ٦٢٠ ج ١١]

[لسان العرب ص ٣٥٦ ج ١٤]

(٦) نافلة : الهبة من الله وجمعها التوافل . العطايا

(٧) أزرى به : أى قصر به وحقره وهوَّبه

تشجيع ابن رواحة الناس على القتال :

قال : فشجع الناس عبدُ الله بنُ رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التي تكرهون ، للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابنُ رواحة . فمضى الناس .

لقاء الروم :

قال ابن إسحاق : فمضى الناس ، حتى إذا كانوا بنُخوم^(١) البلقاء لقيتهم جموع هرقل ، من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها ، فتعبد لهم المسلمون ، فجعلوا على يمينهم رجلا من بنى عذرة ، يقال له : قُطبة ابن قنادة ، وعلى يسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عباية بن مالك .

قال ابن هشام : ويقال عبادة بن مالك .

قال ابن إسحاق : ثم التقى الناس واقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براهية رسول الله ﷺ حتى شاط^(٢) في رماح القوم .

إمارة جعفر ومقتله

ثم أخذها جعفر فقاتل بها ، حتى إذا ألحمه القتال^(٣) اقتحم عن فرس له

(١) النخوم : الحدود العاصلة بين أرض وأرض . وهي جمع : تخم [ترتيب القاموس ص ٣٦٢ ح ١]

[لسان العرب ص ٣٣٨ ح ٧]

(٢) شاط الرجل : إذا هلك دمه أى سال

[ترتيب القاموس ص ١٣١ ح ٤]

(٣) ألحمه القتال . أى اشتد القتال فلم يجد مخرجاً

شقرَاء ، فعقرها(١) ثم قاتل القوم حتى قُتل . فكان جعفرُ أوَّل رجل من المسلمين عَقَرَ في الإسلام .

وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزَّبير ، عن أبيه عبَّاد ، قال : حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي ، وكان أحد بني مُرَّة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مُوتة قال : والله لكانى أنظر إلى جعفر حين اقْتَحَمَ عن فرس له شقرَاء ، ثم عَقَرها ثم قاتل حتى قُتل وهو يقول :

يا حَبْذا الجَنَّةُ واقترابها طَيِّبَةٌ وبارداً شرابها
والرومُ رومٌ قد دَنَا عذابها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها
على إذ لاقينها ضرابها

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم : أن جعفرَ بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فَقَطَّعَتْ ، فأخذه بشماله فَقَطَّعَتْ ، فاحتضنه بَعْضُنيهِ حتى قُتِلَ رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء . ويقال : إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة ، فقطعه بنصفين .

إمارة ابن رواحة ومقتله

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزَّبير ، عن أبيه عبَّاد قال : حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي ، وكان أحد بني مُرَّة بن عوف ، قال : فلما قُتِلَ جعفر أخذ عبد الله بن رَوَاحَةَ الراية ، ثم تقدَّم بها ، وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ، ويتردَّد بعض التردَّد ، ثم قال :

أَفْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّكَ لَتَنْزِلَنَّ أَوْ لَتُكَرِهَنَّكَ
إن أجلب الناسُ(٢) وشدوا الرنَّة(٣) مالى أراك تكرهين الجَنَّة

قد طال ما قد كنت مطمئنة إهل أنتِ إلا نُطفة (١) في شنة (٢)

وقال أيضا :

يانفس إلا تُقَتلى تموتى هذا جمام الموت قد صليت
وما تمئيت فقد أعطيت إن تفعلى فعلهما هُديت

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرا ؛ ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له
بعرق (٣) من لحم فقال : شدد بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت فى أيامك هذه
ما لقيت ، فأخذه من يده ثم انتَهَس (٤) منه نَهْسةً ، ثم سمع الحطمة (٥) فى ناحية
الناس ، فقال : وأنت فى الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل
حتى قُتل .

ابن الوليد وانصرافه بالناس

ثم أخذ الراية ثابت بن أفرم أخو بنى العجلان ، فقال : يا معشر المسلمين
اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس
على خالد بن الوليد ؛ فلما أخذ للراية دافع القوم ، وحاشى (٦) بهم ، ثم انحاز
وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

تنبؤ الرسول بما حدث للمسلمين مع الروم .

قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى :
أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيدا ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها
حتى قُتل شهيدا ؛ قال : ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار ،

(١) النطفة . الماء القليل الصافى [لسان العرب ص ٣٣٥ ج ٩]

(٢) الشنة . السقاء النالى [لسان العرب ص ٢٤١ ج ١٣] ويقصد بهذا البيت : أنه يوشك أن تهلك النطفة أو أن

تتحرق السقاء : صرب ذلك متلا لنفسه فى حده

(٣) العرق : العظم الذى عليه قليل من اللحم أو نعص اللحم

[لسان العرب ص ٢٤٤ ج ١٠]

(٤) انتَهَس . أخذ منه بعمه قليلا [لسان العرب ص ٣٦٠ ج ٦]

(٥) الحطمة . الارحام [لسان العرب ص ١٣٩ ج ١٢]

(٦) حاشى بهم . انحاز بهم : روى البخارى عن خالد بن الوليد قال : لقد انقطعت فى يدى يوم مؤتة تسعة أسباب ،

فما بقى فى يدى إلا صعيحة يمانية . صحيح البخارى عروة مؤتة ح ٢

وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيدا ، ثم قال : لقد رُفِعوا إليّ في الجنة ، فيما يرى النائم ، على سُرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا^(١) عن سريري صاحبه ، فقلت : عمّ هذا ؟ فقيل لي : مَضِيَة وتردّد عبد الله بعض التردّد ، ثم مضى .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن أم عيسى الخُزاعية ، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عن جدتها أسماء بنت عميس ، قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل عليّ رسول الله ﷺ وقد دبغت^(٢) أربعين منا^(٣) قال ابن هشام : ويروى أربعين منيئة - وعجنت عجيني ، وغسلت بنّي وذهنتهم ونظفنتهم . قالت : فقال لي رسول الله ﷺ : اثبتيني ببني جعفر ؛ قالت فأتيتهم بهم ، فتشمتهم وذرفت عيناه ، فقلت : رسول الله ﷺ بأبي أنت وأمي ، ما يُيكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم ، أصيبوا هذا اليوم . قالت : فقمّت أصبح ، واجتمعنّ إلى النساء ، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله ، فقال : لا تُغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم .

وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت : « لما أتى نعي^(٤) جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن .

(١) أزورارا : الزور بالتحريك الميل أى ميلاً وعوجاً

[لسان العرب ص ٣٣٤ ح ٤]

(٢) دبغت : دبغ الجلد يننعه . الثنفة بالكسر ما يننح به الأديم [لسان العرب ص ٤٢٤ ح ٨]

(٣) المنا : الكيل أو الميزان الذى يؤزن به وتثبته مقوا ومثاب [لسان العرب ص ٢٩٧ ح ١٥]

(٤) نعى : الثنى - حبر الموت - جاء نعى فلان هو حبر موته والناعى : الذى يأتي بحبر الموت

[لسان العرب ص ٣٣٤ ح ١٥]

قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله ، إن النساء عَنِينَا (١) وَفَتَنُنَا (٢)
قال : فارجع إليهن فأسكِتهن ، قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك -
قال : تقول وربما ضرَّ التكلف أهله - قالت : قال فاذهب فأسكِتهن ، فإن أبينَ
فاحتُ (٣) فى أفواههن التراب ، قالت : وقلت فى نفسى : أبعدك الله ! فوالله
ما تركتَ نفسك وما أنت بمُطيع رسول الله ﷺ . قالت : وعرفت أنه لا يقدر
على أن يحصى فى أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قُطَيْبَةُ بن قَتَادَةَ العُذْرَى ، الذى كان على مِئْمَنَةِ
المسلمين ، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله .

كاهنة حدس وإنذارها قومها :

قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنةً من حَدَس (٤) حين سمعت بجيش
رسول الله ﷺ مقبلاً ، قد قالت لقومها من حَدَس ، وقومها بطن يقال لهم
بنو غنم - أنذرکم قوما خُزْرًا (٥) ، ينظرون شُرْرًا (٦) ، ويقودون الخيل تَتْرَى (٧)
ويُهرِيقون دما عَكْرًا (٨) فأخذوا بقولها ، واعتزلوا من بين لخم ؛ فلم تزل بعدُ
أُثْرَى (٩) حَدَس . وكان الذين صلُّوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطن من حَدَس ،
فلم يزالوا قليلاً بعدُ . فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلاً .

رجوع الجيش وتلقى الرسول له وغضب المسلمين

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن

(١) عَنِينَا : إعتصم علينا [لسان العرب ص ٢٩٠ ج ١٣]

(٢) فَتَنُنَا : أى يتغنى فى الكلام [لسان العرب ص ٣١٨ ج ١٣]

(٣) حَتَا : حَتَا التراب عليه يَحْتُوهُ وَيَحْتِيهِ حَتْوًا وحِثًا ما رجعت به بك أى إذا قصصه بيده ثم رماه
[ترتيب القاموس ص ٥٩٠ ج ١]

(٤) حَدَس : قبيلة من اليمس [لسان العرب ص ٤٧ ج ٦]

(٥) الخرز : جمع أحرر : وهو الذى ينظر بموخر عينه أى نظرة المتكبر [لسان العرب ص ٢٣٦ ج ٤]

(٦) للشررة . نُطْرَةٌ ، شُزْرَةٌ : هيه إعراص كيطر المعادى المبخص أى نظرة عداوة [لسان العرب ص ٤٠٤ ج ٤]

(٧) تَتْرَى : تتراخى : وأثرى ، عَمَلٌ أعمالاً متواترة بين كل عَمَلَيْنِ فترة [ترتيب القاموس ص ٣٦٨ ج ١]

(٨) العكر : المتعكر : أى دماً مختلطاً [لسان العرب ص ٦٠٠ ج ٤]

(٩) أُثْرَى : من الثروة وهى الكثيرة أى أكثر مالاً وعدداً

[ترتيب القاموس ص ٤٠٣ ج ١]

الزبير ، قال : لما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ، ورسول الله ﷺ مُقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم ، وأعطوني ابن جعفر . فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ، ويقولون يافُرار ، فررتم في سبيل الله ! قال : فيقول رسول الله ﷺ : ليسوا بالفُرار ، ولكنهم الكُرار إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عامر بن عبد الله ابن الزبير ، عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله ، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ ، قال : قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة : مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يا فُرار ، فررتم في سبيل الله ، حتى قعد في بيته فما يخرج .

وهذه تسمية من استشهد يوم مُوتة^(١)

من قریش ، ثم من بنى هاشم : جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وزيد بن حارثة رضي الله عنه .

ومن بنى عدی بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة ، ومن بنى مالك ابن جِسل : وهب بن سعد بن أبي سرح .

ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخزرج : عبد الله بن رواحة ، وعُباد بن قيس .

ومن بنى غنم بن مالك بن النجار : الحارث بن النعمان بن أساف بن نضلة بن عبد بن عوف بن غنم .

(١) احتلت الروايات كثيرا حول هذه المعركة ولكن الإجماع على أن خالد بن الوليد نجح في أن يحاز بالمسلمين من غير أن يلت نظر الرومان حتى لا يقوموا بمطاردة المسلمين . فقد غير أوضاع الجيش بعد أن تولى القيادة . فجعل مقدمته ساقية ، وميمينه ميسرة ، وظن الأعداء وهم يشاهدون تحركات الجيش الإسلامي أن المدد جاءهم . وجعل يباوئس الأعداء ويتأخر فظنوا أنهم يحاولون حرهم إلى الصحراء وقد جاءهم المدد فلم يفكروا في مطاردة المسلمين ، حتى عادوا إلى المدينة [أنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري] .

ومن بنى مازن بن النجار : سُراقَة بن عمرو بن عطية بن خنساء .
 قال ابن هشام : وممن استشهد يوم مُوتة فيما ذكر ابن شهاب ، من بنى
 مازن بن النجار : أبو كليب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبلول
 وهما لأب وأم .
 ومن بنى مالك بن أفضى : عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عباد
 ابن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفضى .
 قال ابن هشام : ويقال أبو كلاب وجابر ، ابنا عمرو .

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة (١) فى شهر رمضان ستة ثمان

القتال بين بكر وخزاعة

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بعثته إلى مُوتة جمادى
 الآخرة ورجبا .

ثم إن بنى بكر بن عبد مناف بن كنانة عدت على خزاعة ، وهم على
 ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوثير ، وكان الذى هاج ما بين بنى بكر وخزاعة
 أن رجلا من بنى الحَضْرَمي ، واسمه مالك بن عبّاد - وحلف الحَضْرَمي يومئذ
 إلى الأسود بن رزن - خرج تاجرا ، فلما توسّط أرض خزاعة ، عدوا عليه
 فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت

(١) الفتح الأعظم الذى أنقذ مكة من الشرك والبهت الحرام من أيدي الكفار والمشركين . ودخل الناس به أفواجا فى
 دين الله .

خزاعة قُبِيلَ الإسلام على بنى الأسود بن رَزْنِ الدَّيْلَى - وهم مَنْخَرُ^(١) بنى كنانة وأشرافهم - سَلَمَى وَكُلْثُومَ وَثُؤَيْبَ - فقتلوهم بعِرفة عند أنصاب الحرم^(٢) .

قال ابن إسحاق . وحدثني رجل من بنى الدَّيْلَى ، قال : كان بنو الأسود ابن رَزْنِ يُودُونَ فى الجاهليَّةِ ديتين ديتين ، وَثُودَى دِيَّةٌ دية ، لفضلهم فينا . قال ابن إسحاق : فبينما بنوبكر وخزاعة على ذلك حَجَزَ بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحُدَيْبِيَّةِ بين رسول الله ﷺ وبين قُرَيْشٍ ، كان فيما شَرَطُوا لرسول الله ﷺ وشَرَطَ لهم ، كما حدثني الزهرى ، عن عروة ابن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وغيرهم علمائنا : أنه من أحبَّ أن يدخل فى عَقْدِ رسول الله ﷺ وعَهْدِهِ فليدخل فيه ، ومن أحبَّ أن يدخل فى عَقْدِ قُرَيْشٍ وعهدهم فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر فى عَقْدِ قُرَيْشٍ وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله ﷺ وعَهْدِهِ .

قال ابن إسحاق : فلما كان الهُذُنَةُ اغتنمها بنو الدليل من بنى بكر من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم بنى الأسود بن رَزْنِ ، فخرج نوفل بن معاوية الدَّيْلَى فى بنى الدليل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بنى بكر تابعه حتى بَيْتَ خزاعة وهم على الوَتِيرِ ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلاً ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورَفَدَتْ^(٣) بنى بكر قريشً بالسلاح ، وقاتل معهم من قُرَيْشٍ مَنْ قاتل بالليل مستخفياً ، حتى حازوا^(٤) خزاعة إلى الحَرَمِ ، فلما انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : يا نُوفِلُ ، إنَّا قد دخلنا الحرم ، إلهك إلهك ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنكم لَتَسْرِقُونَ^(٥) فى الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؛ وقد أصابوا منهم ليلة

(١) منخر بن كنانة : يريد بالمنخر : المتقمن ، لأن الأنف هو المتقدم من الوجه [لسان العرب ص ١٩٨ ح ٥]

(٢) أنصاب الحرم : حجارة تحارة تحمل علامات بين الحل والحرم [لسان العرب ص ٧٥٩ ح ١]

(٣) رفدت : أعطت [لسان العرب ص ١٨١ ج ٣]

(٤) حازوهم : ساقوهم [لسان العرب ص ٣٣٩ ح ٥]

(٥) وفى سائر الأصول : لتسرقوا

بَيَّتُوهم بِالْوَتِيرِ رجلاً يقال له منبه وكان منبه رجلاً مفنوداً^(١) خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، وقال له منبه : يا تميم ، انج بنفسك ، فأما أنا فوالله إني لمييت ، قتلوني أو تركوني ، لقد أنبت^(٢) فؤادي ، وانطلق تميم فأقلت ، وأدركوا مُنْبِهاً فقتلوه ، فلما دخلت خُزاعة مكة ، لجأوا إلى دار بُذَيْل ابن ورقاء ، ودار مولى لهم يقال له رافع .

● شعر عمرو الخزاعي للرسول يستنصره ورده عليه ●

قال ابن إسحاق : فلما تظاهرت بنو بكر وقُريش على خُزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونَقَضُوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلُّوا من خُزاعة ، وكان في عَقْدِهِ وعَهْدِهِ ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي ، ثم أحد بني كعب ، حتى قَدِمَ على رسول الله ﷺ المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مَكَّةَ ، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس ، فقال :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ^(٣) مُحَمَّدًا حَلَفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَثْلَدُ^(٤) -
قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا وَكُنَّا وَالِدًا ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ تَنْزِغْ يَدًا
فَانْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَ^(٥) وادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدًا^(٦)

(١) مفنوداً : العواد هو القلب والجمع أفنودة والمفنودة هو صعيب القلب [لسان العرب ص ٣٢٩ ج ٣]

(٢) أنبت . انقطع والنت = القطع المستأصل

[لسان العرب ص ٦ ج ٢]

(٣) ناشد : طالب ومكر [لسان العرب ص ٤٢١ ج ٣]

(٤) الأثلد : القديم [لسان العرب ص ٩٩ ج ٣]

(٥) اعتد : عتد الشيء عتادة فهو عتيد : حاصر

[لسان العرب ص ٢٧٩ ج ٣]

(٦) المدد : العون [لسان العرب ص ٣٩٨ ج ٣]

فيهم رسول الله قد تحرّدا (١) إن سيم (٢) خسفا (٣) وجهه ترّبّدا (٤)
 في فيلق (٥) كالبحر يجرى مزيّدا إن قرّشا أخلفوك الموّعدا
 ونقّضوا ميثاقك المؤكّدا وجعلوا لي في كداء (٦) رصّدا (٧)
 وزعموا أن لست أدعو أحدا وهم أذل وأقلّ عددا
 هم بيّنونا بالوتير (٨) هجّدا (٩) وقتلونا رُكعا وسجّدا

● قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : نصرت يا عمرو بن سالم ثم
 عرض لرسول الله ﷺ عنان (١٠) من السماء ، فقال : إن هذه السحابة لتسهّل
 بنصر بني كعب .

ذهاب ابن ورقاء إلى الرسول بالمدينة شاكيا وتعرف أبي سفيان أمره :

ثم خرج بُدَيْل بن ورقاء في نفر من خِزاعة حتى قدموا على رسول
 الله ﷺ المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة (١١) قُرَيْش بني بكر
 عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله ﷺ للناس : كأنكم
 بأبي سفيان قد جاءكم ليشدّ العقد ، ويزيد في المدة . ومضى بُدَيْل بن ورقاء
 وأصحابه لقوا أبا سفيان بن حرب بعُسفان (١٢) قد بعثته قُرَيْش إلى رسول
 الله ﷺ ، ليشدّ العقد ، ويزيد في المدة ، وقد رهبوا الذين صنعوا . فلما لقي

(١) تحرّد : بالحاء المهملة فمعناه . الفَيْظ والعَصَب [لسان العرب ص ١٤٥ ج ٣] ومن رواه بالجيم فمعناه شمر وتبها
 للحرب [لسان العرب ص ١١٧ ج ٣]

(٢) وسيم : طلب منه وكلّف [ترتيب القاموس ص ٦٥١ ج ٢]

(٣) الحصف : الثّلّ [لسان العرب ص ٦٨ ج ٩]

(٤) ترديد : تعير إلى السواد [لسان العرب ص ١٧٠ ج ٣]

(٥) العيلق : العسكر الكثير أو الحبس والجمع العيالق

[لسان العرب ص ٣١٢ ج ١٠]

(٦) كداء : موضع بأعلى مكة [لسان العرب ص ٢١٨ ج ١٥]

(٧) رصّدا : هو الطالب للشيء الذي يرقبه [لسان العرب ص ١٧٧ ج ٣]

(٨) الوتير : اسم ماء بأسفل مكة لخِزاعة [لسان العرب ص ٢٧٤ ج ٥]

(٩) الهُحد : بمعنى النيام أو المستيقظين [لسان العرب ص ٤٣٢ ج ٣]

(١٠) عنان : سحاب [لسان العرب ص ٢٩٠ ج ١٣]

(١١) المظاهرة : المعاونة [لسان العرب ص ٥٢٥ ج ٤]

(١٢) عسفان : هي قرية جامعة بين مكة والمدينة وقيل هي منهل من مآهل الطريق بين الجحفة ومكة

[لسان العرب ص ٢٤٦ ج ٩]

أبو سُفْيَان بُدِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ ، قَالَ : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ يَا بُدِيلُ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؛ قَالَ : تَسِيرْتَ فِي خَزَاعَةِ فِي هَذَا السَّاحِلِ ، وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي ؛ قَالَ : أَوْ مَا جِئْتُ مُحَمَّدًا ؟ قَالَ : لَا ؛ فَلَمَّا رَاحَ بُدِيلُ إِلَى مَكَّةَ ، قَالَ أَبُو سُفْيَانٍ : لَئِنْ جَاءَ بُدِيلُ الْمَدِينَةَ لَقَدْ عَلَفَ^(١) بِهَا النَّوَى^(٢) فَأَتَى مَبْرُكَ رَاحِلَتِهِ ، فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا^(٣) فَفَتَهُ^(٤) ، فَرَأَى فِيهِ النَّوَى ، فَقَالَ : أَحْلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بُدِيلُ مُحَمَّدًا .

خروج أبي سُفْيَانٍ إِلَى الْمَدِينَةِ لِلصَّلَاحِ وَإِخْفَاقِهِ :

ثُمَّ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانٍ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانٍ ؛ فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَوَّئَتْهُ عَنْهُ ؛ فَقَالَ : يَا بُنَيَّةُ ، مَا أَدْرَى أَرُغِبْتَ بِي عَنْ هَذَا الْفِرَاشِ أَمْ رَغِبْتَ بِهِ عَنِّي ؟ قَالَتْ : بَلْ هُوَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجَسٌ ، وَلَمْ أَحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ يَا بُنَيَّةُ بَعْدَى شَرٍّ . ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ ، فَلَمْ يردَّ عَلَيْهِ شَيْئًا ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَكَلَّمَهُ أَنْ يُكَلِّمَ لَهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؛ فَقَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، ثُمَّ أَتَى عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ فَكَلَّمَهُ ؛ فَقَالَ : أَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ أُجِدْ إِلَّا الذَّرَّ^(٥) لَجَاهَدْتُكُمْ بِهِ . ثُمَّ خَرَجَ فَدَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَعِنْدَهَا حَسَنُ ابْنِ عَلِيٍّ ، غُلَامٌ يَدِبُ بَيْنَ يَدَيْهَا فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ، إِنَّكَ أَمَسَ الْقَوْمَ بِي رَحْمًا ، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ ، فَلَا أَرْجِعَنَّ كَمَا جِئْتُ خَائِبًا ، فَاشْفَعْ لِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانٍ ! وَاللَّهِ لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَمْرِ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَكَلِّمَهُ فِيهِ . فَالْتَفَتَتْ إِلَى فَاطِمَةَ فَقَالَ : يَا ابْنَةَ مُحَمَّدٍ ، هَلْ لَكَ أَنْ

(١) العلف : هو ما تأكله الدابة [لسان العرب ص ٢٠٦ ح ٩]

(٢) النوى : عجمة التمر أى بكرة التمر

[لسان العرب ص ٣٣٩ ح ١٥]

(٣) البعر . ربيع دوات الخُفِّ والطُّف من الإبل والشاة وبقر الوحش والطاء [لسان العرب ص ٧١ ح ٤]

(٤) ففته . كسره بأصابعه [لسان العرب ص ٦٤ ح ٢]

(٥) الذرُّ . معردها ذرَّةٌ : تعريق الحبِّ والملح : والمقصود بها أقل الأشياء [ترتيب القاموس ص ٢٥٣ ح ٢]

تَأْمُرُ بِنُبَيْكَ هَذَا فَيُجِيرُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَيَكُونُ سَيِّدَ الْعَرَبِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ ؟ قَالَتْ :
وَاللَّهِ مَا بَلَغَ بَنَى ذَاكَ أَنْ يُجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَمَا يُجِيرُ أَحَدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
قَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ، إِنِّي أَرَى الْأُمُورَ قَدْ اسْتَدَّتْ عَلَيَّ ، فَاَنْصَحْنِي ؛ قَالَ : وَاللَّهِ
مَا أَعْلَمُ لَكَ شَيْئًا يَغْنَى عَنْكَ شَيْئًا ، وَلَكِنَّكَ سَيِّدُ بَنِي كِنَانَةَ ، فَقُمْ فَأَجِرْ بَيْنَ النَّاسِ ،
ثُمَّ الْحَقَّ بِأَرْضِكَ ؛ قَالَ : أَوْ تَرَى ذَلِكَ مُغْنِيًا عَنِّي شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ،
مَا أَظُنُّهُ ، وَلَكِنِّي لَا أَجِدُ لَكَ غَيْرَ ذَلِكَ . فَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا
النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ بَيْنَ النَّاسِ . ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرَهُ فَاَنْطَلَقَ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى
قُرَيْشٍ ، قَالُوا : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : جِئْتُ مُحَمَّدًا فَكَلَّمْتُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَدُّ عَلَى
شَيْئًا ، ثُمَّ جِئْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ ، فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ خَيْرًا ، ثُمَّ جِئْتُ ابْنَ الْخَطَّابِ ،
فَوَجَدْتُهُ أَدْنَى الْعَدُوِّ . (١)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ جِئْتُ عَلِيًّا فَوَجَدْتُهُ أَلْيَنَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ أَشَارَ عَلَى بَشِيءٍ
صَنَعْتُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى هَلْ يَغْنَى ذَلِكَ شَيْئًا أَمْ لَا ؟ قَالُوا : وَبِمَ أَمْرِكَ ؟ قَالَ :
أَمَرْنِي أَنْ أَجِيرَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَفَعَلْتُ ؛ قَالُوا : فَهَلْ أَجَازَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : لَا ؛
قَالُوا : وَبِلَكَ ! وَاللَّهِ إِنْ زَادَ الرَّجُلُ عَلَى أَنْ لَعِبَ بِكَ ، فَمَا يُغْنَى عَنْكَ مَا قُلْتَ .
قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، مَا وَجَدْتُ غَيْرَ ذَلِكَ .

تجهيز الرسول لفتح مكة :

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَهَازِ ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يَجْهَزُوهُ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ
عَلَى ابْنَتِهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَهِيَ تَحْرَكُ بِعُضْ جَهَازِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
فَقَالَ : أَيُّ بُنْيَةٍ : أَمَرَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَجْهَزُوهُ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَتَجْهَزْ ؛
قَالَ : فَأَيْنَ تَرَيْنَهُ يُرِيدُ ؟ قَالَتْ : (لَا) وَاللَّهِ مَا أَدْرَى . ثُمَّ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّهُ سَائِرٌ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالتَّهَيُّؤِ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ خذِ الْعُيُونَ
وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتْهَا (٢) فِي بِلَادِهَا . فَتَجْهَزْ النَّاسَ .

(١) أدنى العدو : قال ابن هشام : أعذى العدو .

(٢) هو من البعثة ، وهو الغزاة ، يقال . بعته الأمر وفاحاه : إذا حاه ولم يعلم به . [لسان العرب ص ١٠ ج ٢]

شعر حسان في تحريض الناس :

فقال حسان بن ثابت يحرضُ الناس ، ويذكرُ مُصاب رجال خُزاعة :
ألا لَيْتَ شعري هل تنالنَّ نُصرتي سهيل بن عمرو وخزها وعقابها
وصَفوانُ عود^(١) حَنٍّ من شُفْراسِته فهذا أوانُ الحَرْبِ شُدَّ عَصَابُها
فَلا تَأْمَنُنا يا بن أُمِّ مُجالد إذا احتُلِّيتِ صَرْقا^(٢) وأعْصِل^(٣) نابها
ولا تَجْزَعُوا مِنَّا فإنَّ سيوفنا لها وَقَعَةٌ بالمَوْتِ يُفْتَحُ بابها

كتاب حاطب إلى قريش وعلم الرسول بأمره :

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله ﷺ المسيرَ إلى مكة ، كتب حاطبُ بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يُخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، زعم محمد بن جعفر أنها من مُزينة ، وزعم لي غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بني عبد المطلب ، وجعل لها جُعلا على أن تبْلُغه قريشا ، فجعلته في رأسها ، ثم قتلته عليه قرونها ، ثم خرجت به ؛ وأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب ، فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتبت معها حاطبُ بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم فخرجوا حتى أدركاها بالخلقة^(٤) خليفة بني أبي أحمد ، فاستنزّلاها ، فالتمسا في رَحْلِها ، فلم يجدا شيئا ، فقال لها علي بن أبي طالب : إنني أحلف بالله ما كُذِبَ رسول الله ﷺ ولا كُذِّبنا ، ولتُخرجنَّ لنا هذا الكتاب

(١) العود : العنبر من الإبل [لسان العرب ص ٣٢١ ج ٣]

(٢) الصرب : الخالص من كل شيء وهو هنا بمعنى اللبس الخالص

[لسان العرب ص ١٩٢ ج ٩]

(٣) أعصل : أعوح والعصل أعواح الأسنان .

[لسان العرب ص ٤٤٩ ج ١]

(٤) الخلقة : اسم موضع [لسان العرب ص ٨٧ ج ١٠]

أو لنكشفَنَّكَ ، فلما رأت الجِدَّ منه ، قالت : أعْرِضْ ؛ فأعرض ، فحَلَّتْ قُرُونُ
رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأَتَى به رسول الله ﷺ . فدعا
رسول الله ﷺ حاطباً فقال : يا حاطب ، ما حَمَلَكَ على هذا ؟ فقال : يا رسول
الله ، أما والله إننى لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ما غَيَّرْتُ ولا بَدَلْتُ ، ولكنى كنتُ امرأً
ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ،
فصائغتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دَعْنِى فلاضرب
عُنُقَه ، فإن الرجل قد نافق ؛ فقال رسول الله ﷺ : وما يُدريك يا عمر ، لعل
الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت
لكم . فأنزل الله تعالى فى حاطب : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّ
وَعَدُوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ » ... إلى قوله : « قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ، إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى
تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ » (١) .. إلى آخر القصة .

خروج الرسول فى رمضان لفتح مكة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن
عُبَيْدِ اللَّهِ بن عبد الله بن عُبَيْة بن مَسْعُود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ثم
مضى رسول الله ﷺ لسَفَرِهِ ، واستخلف على المدينة أبا رُهم ، كُلثُوم بن
حُصَيْن بن عُبَيْة بن خَلْف الغفارى ، وخرج لعَشْرِ مَضِينَ من رمضان ، فصام
رسول الله ﷺ ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد ، بين عُسْفَانَ وأُمَج
أَفْطَرَ .

نزولهم مر الظهران وتجسس قريش أخبار الرسول :

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظهران فى عشرة آلاف من .

(١) سورة الممتحنة الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤

المُسلمين ، فسبَّعت سُليم ، وبعضهم يقول ألَّفت^(١) سُليم ، وألَّفت مُزينة . وفى كلِّ القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله ﷺ مرَّ الظهران ، وقد عميت الأخبار عن قُريش ، فلم يأتهم خبرٌ عن رسول الله ﷺ ، ولا يَدرون ما هو فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سُفيان بن حَرْب ، وحكيم بن جِزام ، وبُدَيْل ابن ورقاء ، يتحسَّسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به ، وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق .

هجرة العباس

قال ابن هشام : لقيه بالجُحفة^(٢) مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مُقيماً بمكة على سبائته ، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ ، فيما ذكر ابنُ شهاب الزُّهرى .

إسلام أبى سفيان بن الحارث وعبد الله بن أمية :

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المُغيرة قد لقيا رسولَ الله ﷺ أيضاً بنىق العُقاب ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيهما ، فقالت : يارسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصيهرك ؛ قال : لا حاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتك عرضى ، وأما ابن عمتى وصيهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال . قال : فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبى سفيان بنى له . فقال : والله ليأذنن لى أو لآخذن بيدي بنى هذا ، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجوعا ؛ فلما بلغ ذلك رسولَ الله ﷺ رَقَّ لهما ثم آذن لهما ، فدخلا عليه ، فأسلما .

(١) سبَّعت سُليم : أى كانت سبع منه ، وألَّفت أى كانت ألماً .

[لسان العرب ص ١٤٦ ح ٨]

(٢) الجحفة . موضع بالحجاز بين مكة والمدينة

[لسان العرب ص ٢١ ح ٩]

شعر أبي سفيان في الاعتذار عما كان فيه قبل إسلامه :

وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله في إسلامه ، واعتذر إليه مما كان
مَضَى منه فقال :

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمِلَ رَايَةَ^(١) لَتَغْلِبَ خَيْلَ اللَّاتِ^(٢) خَيْلَ مُحَمَّدٍ
لَكَائِمْدَلَجِ^(٣) الْحِيرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أَهْدَى وَأَهْتَدَى
هَدَانِي هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي وَنَالَنِي مَعَ اللَّهِ مِنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطْرَدٍ
أَصْدَ وَأُنْأَى^(٤) جَاهِذَا عَنْ مُحَمَّدٍ وَأَدْعَى (وإن لم أنتسب) مِنْ مُحَمَّدٍ

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قوله : « ونالني
مع الله من طردت كل مطرد » ضرب رسول الله ﷺ في صدره ، وقال : أنت
طردتني كل مطرد .

قصة إسلام أبي سفيان على يد العباس :

فلما نزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظُّهْرَانِ ، قال العباس بن عبد المطلب :
فقلت : واصباح قُرَيْش ، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عَنُوةً قبل أن يأتوه
فَيَسْتَأْمِنُوهُ ، إنه لهلاك قُرَيْش إلى آخر الدهر . قال : فجلست على بغلة
رسول الله ﷺ البيضاء ، فخرجتُ عليها . قال : حتى جئت الأراك ، فقلت :
لعلني أجد بعضَ الحطَّابَةِ أو صاحبَ لبنٍ أو ذا حاجة يأتى مكة ، فَيُخْبِرَهُمْ بِمَكَانِ
رسول الله ﷺ ، لِيُخْرِجُوا إِلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُوهُ قبل أن يدخلها عليهم عَنُوةً^(٥) قال :
فو الله إنني لأسير عليها ، وألتمس ما خرجت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان
وبُدِيل بن ورقاء ، وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيرانا

(١) أحمل راية : يريد : أقود الناس للحرب

(٢) اللات : صنم من أصنام العرب . وخيل اللات جيوش الكفر [لسان العرب ص ٨٣ ج ٢]

(٣) المدلج . الذي يسير بالليل [لسان العرب ص ٢٧٣ ج ٢]

(٤) أنأى : أبعد [لسان العرب ص ٣٠٠ ج ١٥] طبعة بيروت

(٥) عنة : قهراً [لسان العرب ص ١٠١ ج ١٥]

قَطَّ ولا عسكرا ، قال : يقول بُدَيْلٌ : هذه والله خُزاعة حَمَشْتَهَا^(١) الحرب . قال : يقول أبو سُفْيَانٍ : خُزاعة أُنْذِلَ وأَقْلَ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ؛ قال : فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ ؛ فَقُلْتُ : يَا أَبَا حَنْظَلَةَ ، فَعَرَفْتُ صَوْتِي ، فَقَالَ : أَبُو الْفَضْلِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ؛ قَالَ : مَا لَكَ ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؛ قَالَ : قُلْتُ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانٍ ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ ، وَاصْبَاحُ قُرَيْشِ وَاللَّهِ . قَالَ : فَمَا الْحِيلَةُ ؟ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؛ قَالَ : قُلْتُ : وَاللَّهِ لئن ظَفَرَ بِكَ لِيُضْرِبَنِي عُنُقَكَ ، فَارْكَبْ فِي عَجْزِ هَذِهِ الْبَغْلَةِ حَتَّى آتِي بِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَسْتَأْمَنَهُ لَكَ ؛ قَالَ : فَارْكَبْ خَلْفِي وَرَجِّعْ صَاحِبَاهُ ، قَالَ : فَجِئْتُ بِهِ ، كُلَّمَا مَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا عَلَيْهَا ، قَالُوا : عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمْ عَلَى بَغْلَتِهِ ، حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارٍ عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَقَامَ إِلَيَّ ؛ فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجْزِ الدَّابَّةِ ، قَالَ : أَبُو سُفْيَانُ عَدُوُّ اللَّهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ ، ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَكَضَتْ الْبَغْلَةُ ، فَسَبَقَتْهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةُ الْبَطِيئَةَ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ . قَالَ : فَافْتَحَمْتُ عَنِ الْبَغْلَةِ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ عَمْرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَبُو سُفْيَانٌ قَدْ أَمَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ ، فَذَعْنِي فَلَأُضْرِبَ عُنُقَهُ ؛ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ أَجْرُئْتُهُ ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةُ دُونِي رَجُلٌ ؛ فَلَمَّا أَكْثَرَ عَمْرُ فِي شَأْنِهِ ، قَالَ : قُلْتُ : مَهْلًا يَا عَمْرُ ، فَوَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ بَنِي عَدَى بْنِ كَعْبٍ مَا قُلْتُ هَذَا ، وَلَكِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ؛ فَقَالَ : مَهْلًا يَا عَبَّاسُ ، فَوَاللَّهِ لِإِسْلَامِكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ ، وَمَا بِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اذْهَبْ بِهِ يَا عَبَّاسُ إِلَى رَحْلِكَ ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأَتِنِي بِهِ ؛ قَالَ : فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي ، فَبَاتَ عِنْدِي ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ

(١) حَمَشْتَهَا الحرب . أحرقتها . ومن قال . حَمَشْتَهَا (السَّيْنُ الْمَهْمَلَةُ) فَمَعْنَاهُ : اشْتَدَّتْ عَلَيْهَا ، وَهِيَ مَأْخُودَةٌ مِنَ الْحِمَامَةِ . وَهِيَ الشَّدَّةُ وَالشَّجَاعَةُ .

إلى رسول الله ﷺ ؛ فلما رآه رسول الله ﷺ ، قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يَأْنِ لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يَأْنِ (١) لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تُضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ؛ قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فاجعل له شيئا ، قال نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ : يا عباس ، احبسه بمَضِيقِ الوادى عند خَطْمِ الجبل (٢) حتى تمر به جنود الله فيراها . قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادى ، حيث أمرنى رسول الله ﷺ أن أحبسه .

قال : ومَرَّتِ القبائل على راياتها ، كلما مَرَّتْ قَبِيلَةٌ قال : يا عباس ، مَنْ هذه ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالى ولسليم ، ثم تمر القَبِيلَةُ فيقول : يا عباس ، مَنْ هؤلاء ؟ فأقول : مُزَيْنَةٌ ، فيقول : مالى ولمزينة ، حتى نفدت القبائل ، ما تمر به قَبِيلَةٌ إلا يسألنى عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالى ولبنى فلان ، حتى مرَّ رسول الله ﷺ فى كَتِيبَتِهِ الخضراء .

قال ابن هشام : وإنما قِيلَ لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، لا يرى منهم إلا الحَدَقَ من الحديد ، فقال : سبحان الله : يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار ؛ قال : ما لأحد بهؤلاء قَبِيلٌ

(١) ألم يَأْنِ ؟ ألم يحن [لسان العرب ص ٣٩ ح ١٣]

(٢) خطم الجبل : الحطم : أف الجبل ، ترتيب القاموس ص ٧٩ ح ١٣]

ولا طاقة ؛ والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ، قال
قلت : يا أبا سُفْيَان ، إنها النبوة . قال : فنعم إذن .

قال : قلت : النجاء^(١) إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته
يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبيل لكم به ، فمن دخل دار أبي
سُفْيَان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا
الحَمِيَّت^(٢) الدِّسَم^(٣) الأحمس^(٤) ، فُبِح من طليعة^(٥) قوم ! قال : ويلكم لا تغرنكم
هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبيل لكم به ، فمن دخل دار أبي سُفْيَان فهو
آمن ، قالوا : قاتلك الله ! وما تُغْنِي عَنَّا دَارُكَ ؛ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو
آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فنفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

وصول النبي إلى ذي طوى :

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله ﷺ لما
انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته مُعْتَجِرًا^(٦) بِشَقَّةٍ^(٧) بُرْدٍ حَبْرَةٍ^(٨)
حمراء ، وإن رسول الله ﷺ لِيَضَع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله
به من الفتح ، حتى إن عُنُونَهُ لِيَكَاد يمسّ واسطة الرَّحْلِ .

إسلام أبي قحافة :

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن
أبيه ، عن جدته أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما وقف رسول الله ﷺ بذي

(١) النجاء . السرعة إلى قومك [لسان العرب ص ٣٠٥ ج ١٥]

(٢) الحميت : رق السم ، أى وعاء حاص للسم [لسان العرب ص ٢٥ ج ٢]

(٣) الدسم . الكثير الوَدَكُ [ترتيب القاموس ص ١٨٠ ج ٢]

(٤) الأحمس : التشديد وهنا معنى التشديد اللحم والمعنى على تشبيه الرجل بالزق لعبالته وسمه [لسان العرب ص ٥٧]

[ج ٦]

(٥) الطليعة : الذى يحرس القوم [لسان العرب ص ٢٣٧ ج ٨]

(٦) الاعتجار . لفّ العمامة دون الثَّحْلَى [لسان العرب ص ٥٤٤ ج ٤]

(٧) الشقة : نصف الشيء إذا شُقَّ أى النصف [لسان العرب ص ١٨٢ ج ١٠]

(٨) الحررة : صرب من الثياب اليمانية [لسان العرب ص ١٥٩ ج ٤]

طُوًى قَالَ أَبُو قُحَافَةَ لَابْنَةِ مَنْ أَصْغَرَ وَلَدَهُ : أَى بَنِيَّةَ ، اظْهَرِي بِي^(١) عَلَى أَبِي قَبِيْسٍ^(٢) قَالَتْ : وَقد كُفَّ بَصْرُهُ ؛ قَالَتْ : فَأَشْرَفْتُ بِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ : أَى بُنِيَّةَ ، مَاذَا تَرِينَ ؟ قَالَتْ : أَرَى سَوَادًا مَجْتَمِعًا ، قَالَ : تِلْكَ الْخَيْلُ ؛ قَالَتْ : وَأَرَى رَجُلًا يَسْعَى بَيْنَ يَدَيِ ذَلِكَ مَقْبِلًا وَمَدْبِرًا ، قَالَ : أَى بَنِيَّةَ ، ذَلِكَ الْوَازِعُ^(٣) يَعْنِي الَّذِي يَأْمُرُ الْخَيْلَ وَيَتَقَدَّمُ إِلَيْهَا ؛ ثُمَّ قَالَتْ : قد والله انْتَشَرَ السَّوَادُ ؛ قَالَتْ : فَقَالَ : قد والله إِذْنُ دُفِعَتِ الْخَيْلُ ، فَأَسْرَعَى بِي إِلَى بَيْتِي ، فَاَنْحَطَّتْ بِهِ ، وَتَلَقَّاهُ الْخَيْلُ قَبْلَ أَنْ يَصَلَ إِلَى بَيْتِهِ ، قَالَتْ : وَفِي عُنُقِ الْجَارِيَةِ طَوْقٌ^(٤) مِنْ وَرَقٍ^(٥) ، فَتَلَقَّاهَا رَجُلٌ فَيَقْتَطِعُهُ مِنْ عُنُقِهَا ؛ قَالَتْ : فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، أَتَى أَبُو بَكْرٌ بِأَبِيهِ يَقُودُهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : هَلَا تَرَكَتِ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيَهُ فِيهِ ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَيْهِ أَنْتَ ؛ قَالَ (قَالَتْ) : فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ مَسَحَ صَدْرَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَسْلَمَ ، فَأَسْلَمَ ، قَالَتْ : فَدَخَلَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَكَأَنَّ رَأْسَهُ ثَعْلَامَةٌ^(٦) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ ، ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِيَدِ أُخْتِهِ ، وَقَالَ : أَنْشُدِ اللَّهَ وَالْإِسْلَامَ طَوْقَ أُخْتِي ، فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ ؛ قَالَتْ : فَقَالَ : أَى أَخِيَّةَ ، احْتَسِبِي طَوْفَكَ ، فَوَاللَّهِ إِنْ الْأَمَانَةَ فِي النَّاسِ الْيَوْمَ لَقَلِيلٌ .

دخول جيوش المسلمين مكة :

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله ﷺ حين فرَّقَ جيشه من ذِي طُوًى ، أَمَرَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ أَنْ يَدْخُلَ فِي بَعْضِ النَّاسِ

[لسان العرب ص ٥٢٤ ح ٤]

[لسان العرب ص ١٦٨ ح ٦]

(٣) الْوَازِعُ : الَّذِي يَرْتَبِ الْجَيْشَ وَيُسَوِّيهِ وَيَصْغُهُ فَكَأَنَّهُ يَكْمُهُ عَنِ التَّنْعَرَةِ وَالْإِنْتِقَارِ [لسان العرب ص ٣٩١ ح ٨]

(٤) الطَّوْقُ : الْقِلَادَةُ الَّتِي يَحُلِي بِهَا الْعُنُقُ [لسان العرب ص ٢٣١ ح ١٠]

(٥) الْوَرَقُ : الْعَصَا [لسان العرب ص ٣٧٥ ح ١٠]

(٦) الثَّعْلَامَةُ : وَاحِدَةُ الثَّغَامِ / وَهُوَ مِنْ نَوَاتِ الْجَبَالِ وَأَشَدُّ مَا يَكُونُ بَيَاضًا إِذَا أَمْلَأَ ، يَشْبَهُونَ بِهِ الشَّيْبَ [لسان العرب

ص ٧٧ ح ١٢]

من كُدَى ، وكان الزبير على المُجَنَّبَةِ اليسرى ، وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل
فى بعض الناس من كَدَاء (١)

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعدًا حين وجه داخلا ،
قال : اليومُ يوم المَلْحَمَةِ ، اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرْمَةُ ؛ فسمعها رجلٌ من
المهاجرين - قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب - فقال : يا رسول الله :
اسمع ما قال سعد بن عُبادة ، ما نأمن أن يكون له فى قُرَيْشِ صَوْلَةٌ ، فقال
رسولُ الله ﷺ لعلى بن أبى طالب : أدركه ، فخذ الراية منه فكن أنت الذى
تدخلُ بها .

طريق المسلمين فى دخول مكة :

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى نجیح فى حديثه : أن
رسول الله ﷺ أمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللَّيْط ، أسفل مكة ، فى بعض
الناس ، وكان خالد على المُجَنَّبَةِ اليمنى ، وفيها أسلم وسليم وغفار ومُزينة
وجُهينة وقبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عُبيدة بن الجراح بالصف من
المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله ﷺ ، ودخل رسولُ الله ﷺ على
أنخر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هنالك قُبَّتُهُ .

تعرض صفوان فى نفر معه للمسلمين :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجیح وعبد الله بن أبى بكر :
أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسُهَيْل بن عمرو كانوا قد جمعوا
ناسا بالخندمة ليقاتلوا ، وقد كان جماس بن قيس بن خالد ، أخو بنى بكر ، يُعَدُّ
سلاحا قبل دخول رسول الله ﷺ ، ويصلح منه ؛ فقالت له امرأته : لماذا تُعَدُّ
ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه

(١) كدَاء : حبل بأعلى مكة [لسان العرب ص ٢١٨ ح ١٥]

شيء ، قال : والله إنى لأرجو أن أُخْدِمَكَ بعضهم ، ثم قال :
 إن يُقْبَلُوا اليومَ فما لى عِلَّه هذا سلاحٌ كاملٌ وآلة^(١)
 وذو غَرَارِينَ سريع السِّلَه^(٢)

ثم شهد الخَنْدَمَة مع صَفْوَان وسُهَيْل وعِكرِمَة ؛ فلما لقيهم المسلمون من
 أصحاب خالد بن الوليد ، ناوشوهم شَيْئاً من قتال ، فقتل كُرْز بن جابر ، أحد
 بنى محارب بن فِهْر ، وخُنَيْس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بنى مُنْقِذ
 وكانا فى خيل خالد بن الوليد فشذّا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا ،
 قُتِلَ حنيس بن خالد قبل كُرْز بن جابر ، فجعله كُرْز بن جابر بين رجليه ، ثم
 قاتل عنه حتى قُتِل .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن بكر ، قالا :
 وأصيب من جُهَيْنَة سَلَمَة بن المِثْلَاء ، من خيل خالد بن الوليد ؛ وأصيب من
 المشركين ناس قريب من اثنى عشر رجلا ، أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم
 انهزموا ، فخرج جماسٌ منهزما حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقى على
 بابى ؛ قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إِنَّكَ لو شهدت يومَ الخَنْدَمَة إذ فرّ صفوان وفرّ عِكرِمَة
 وأبو يزيد^(٣) قائم كالْمَوْتَمَة^(٤) واستقبلتهم بالسُيُوف المُسْلِمَة
 يقطعن كلّ ساعد وُجْمُجْمَه ضَرْباً فلا يُسْمَع إلا غمغمه^(٥)
 لهم نهيت خلفنا وَهْمَهْمَة^(٦) لم تنطقى فى اللّوم أدنى كلمه

شعار المسلمين يوم الفتح وحنين والطائف :

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحنين والطائف ،

[لسان العرب ص ٢٣ ح ١١]

[لسان العرب ص ١٦ ح ٥]

(١) الآلة . الحربة لها سنان طويل .

(٢) ذو غرارين : سيف ذو حدين .

(٣) المراد بأبى يزيد . سهيل بن عمر خطيب قریش

(٤) كالْمَوْتَمَة : المرأة التى ماتت روحها وترك لها أيتاما

(٥) الغمغمه : أصوات غير مفهومة لاحتلاطها

[لسان العرب ص ٤٤٤ ح ١٢]

[لسان العرب ص ٤٤٤ ح ١٢]

(٦) النهيت : صوت الصدر - وأكثر ما يوصف به الأسد [لسان العرب ص ١٠١ ح ٢] والنهممة : صوت الصدر

أيضا . [لسان العرب ص ٦٢٢ ح ١٢]

شِعَارُ المهاجرين : يا بنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بنى عبد الله ،
وشعار الأوس : يا بنى عُبَيْد الله .

عهد الرسول إلى أمرائه وأمره بقتل نفر سماهم :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ قد عهدَ إلى أمرائه من المسلمين ،
حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عهدَ في
نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ،
أخو بنى عامر بنى لؤى .

وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول
الله ﷺ الوحى ، فارتدَّ مشركا راجعا إلى قُريش ، ففرَّ إلى عثمان بن عفان ،
وكان أخاه للرضاعة ، فغَيَّبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأنَّ الناس
وأهل مكة ، فاستأمن له : فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلا ، ثم قال :
نعم ؛ فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه :
لقد صمت ليقوم إليهِ بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فهلا
أو مأت (١) إلتى يارسول الله ؟ قال : إِنَّ النَّبَى لا يقتل بالإشارة .

قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ،
ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

قال ابن إسحاق وعبد الله بن حَظَل ، رجل من بنى تميم بن غالب : إنما
أمر بقتله أنه كان مسلما ، فبعثه رسول الله ﷺ مصدقا (٢) ، وبعث معه رجلا
من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلما ، فنزل منزلا ، وأمر
المولى أن يذبح له تيسا ، فيصنع له طعاما ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئا ،
فعدا عليه فقتله ، ثم ارتدَّ مشركا .

(١) أومأت : أشرت [مختار الصحاح ص ٥٦٢]

(٢) مصدقا ، بتشديد الدال : جامعا الصدقات ، وهى الزكاة

[لسان العرب ص ١٩٧ ج ١٠]

أَسْمَاء مَن أَمَرَ الرَّسُولُ بِقَتْلِهِمْ وَسَبَبَ ذَلِكَ

وكانت له قَيْنَتَانِ (١) : فَرَنْتَى وصاحبتهما ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه .

والْحَوِيرِثُ بْنُ نُقَيْذِ بْنِ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ بْنِ قُصَيٍّ ، وكان ممن يؤذيه بمكة .

قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأمّ كلثوم ، ابنتي رسول الله ﷺ من مكة يريد بهما المدينة ، فنَحَسَ بهما الْحَوِيرِثُ بْنُ نُقَيْذٍ ، فرمى بهما إلى الأرض .

قال ابن إسحاق ومُقَيْسُ بْنُ حُبَابَةَ : وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله ، لقتل الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قُرَيْشٍ مُشْرِكًا . وسَارَةَ ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب : وعِكرمة بن أبى جهل . وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ؛ فأما عِكرمة فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ ، فأمنه ، فخرجت فى طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله ﷺ ، فأسلم . وأما عبد الله بن خَطَلٍ ، فقتله سعيد بن حُرَيْثٍ المَخْزُومِ وأبو بَرْزَةَ الأَسْلَمِى ، اشتراكا فى دمه ؛ وأما مُقَيْسُ بْنُ حُبَابَةَ فقتله نُمَيْلَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، رجل من قومه ، فقالت أخت مُقَيْسٍ فى قتله :

لَعَمْرَى لَقَدْ أَخْزَى نُمَيْلَةُ رَهْطَهُ وَفَجَّعَ (٢) أَضْيَافَ الشِّتَاءِ بِمُقَيْسٍ
فَلَلَهُ عَيْنًا مَن رَأَى مِثْلَ مُقَيْسٍ إِذَا النُّفْسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُخَرَّسْ (٣)

وأما قَيْنَتَا بَنِ خَطَلٍ فَقَتَلَتْ إِحْدَاهُمَا ، وهربت الأخرى ، حتى استئومن لها رسول الله ﷺ بعد ، فأمنها . وأما سَارَةَ فاستئومن لها فأمنها ، ثم بقيت حتى

[مختار الصحاح ص ٥٧٩]

[لسان العرب ص ٢٤٥ ح ٨]

(٢) جمع : الحبيبة . الرزية الموحدة

(٣) لم تحرس : لم يصنع لها طعام عند ولادتها ، واسم ذلك الطعام خرس وحرسة (يضم الحاء) ، وإنما أرادت به

[لسان العرب ص ٦٣ ح ٦]

(١) قينتان : جارينتان

(٢) جمع : الحبيبة . الرزية الموحدة

(٣) لم تحرس : لم يصنع لها طعام عند ولادتها ، واسم ذلك الطعام خرس وحرسة (يضم الحاء) ، وإنما أرادت به

رمس التدة .

أو طأها رجلٌ من الناس فرساً في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها . وأما الحُوَيْرِث بن نُقَيْذ فقتله عليّ بن أبي طالب .

حديث الرجلين اللذين أمنتهم أم هانئ

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي هند ، عن أبي مُرّة ، مولى عَقِيل ابن أبي طالب ، أن أمّ هانئ ابنة أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة ، فرّ إلى رجلان من أحمائي ، من بني مخزوم ، وكانت عند هُبَيْرَة ابن أبي وهب المخزومي ، قالت : فدخل عليّ عليّ بن أبي طالب أخي ، فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما باب بيتي ، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جفنةٍ إنّ فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إلى ، فقال : مرحبا وأهلا يا أم هانئ ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليّ ، فقال : قد أجرنا من أجرت ، وأمنا من أمنت ، فلا يقتلها .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام ، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة .

طواف الرسول بالبيت وكلمته فيه

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُبَيْد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن صَفِيّة بنت شَيْبَة ، أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة ، واطمأنّ الناس ، خرج حتى جاء البيت ، فطاف به سبعا على راحلته ، يستلم الركن بِمَحْجَنٍ (١) في يده ؛ فلما قضى طوافه ، دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها جمامة من عيدان فكسرها

[لسان العرب ص ١٠٨ ج ١٣]

(١) المحن : عود معوح الطرف ، يمسكه الراكب للنعير في يده

بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس^(١) في المسجد :

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، أأكل مأثرة^(٢) أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سداً^(٣) البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ، ففيه الدية مغلظة ، مئة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها . يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل ليتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم »^(٤) الآية كلها . ثم قال يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل فيكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

إقرار الرسول ابن طلحة على السدانة :

ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد ، فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الججابة مع السقاية صلى الله عليك ؛ فقال رسول الله ﷺ : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له ، فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم برّ ووفاء .

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة أن رسول الله ﷺ قال لعلي : إنما أعطيتكم ما تزرعون لا ما تزرعون^(٥) .

(١) استكف له الناس : استجمع ، من الكافة ، وهي الجماعة وقد يجوز أن يكون : استكف ، هنا بمعنى نظروا إليه وحذقوا أنصارهم فيه كالذي يطر في الشمس : من قولهم : استكفت القتيء ، إذا وصعت كفك على حاجيك ونظرت إليه ، وقد يجوز أن يكون استكف هنا بمعنى استدار [لسان العرب ص ٣٠٥ ج ٩]
(٢) المأثرة : الخصلة المحمودة التي تتوارث ويتحدث بها الناس [لسان العرب ص ٦ ج ٤]
(٣) سدانة البيت : خدمته . [لسان العرب ص ٢٠٧ ج ١٣]
(٤) سورة الحرات آية ١٣
(٥) ما تزرعون لا ما تزرعون : معناه : إنما أعطيتكم ما تسمون كالسقاية التي تحتاح إلى مؤن ، وأما السدانة فيرى الناس بالبعث إليها ، يعني كسوة البيت ، [لسان العرب ص ١٩٣ ج ١٣]

أمر الرسول بطمس ما بالبيت من صور :

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأزرلأم يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزرلأم^(١) ، ما شأن إبراهيم والأزرلأم ! « ماكان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين »^(٢) ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست^(٣) .

صلاة الرسول بالبيت وتوحي ابن عمر مكانه :

قال ابن هشام : وحدثني أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة ومعه بلال ، ثم خرج رسول الله ﷺ وتخلّف بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ، فسأله : أين صلى رسول الله ﷺ ؟ ولم يسأله كم صلى ؛ فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قبل وجهه ، وجعل الباب قبل ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار قدر ثلاث أذرع ، ثم يصلى ، يتوحي^(٤) بذلك الموضع الذي قال له بلال .

سبب إسلام عتاب والحارث بن هشام :

قال ابن هشام : وحدثني : أن رسول الله ﷺ ، دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب وعتّاب بن أسيد والحارث ابن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه مُحَقَّق لا تُبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى ، فخرج عليهم النبي ﷺ ، فقال : قد علمتُ الذي قلتم ، ثم ذكر

(١) الأزرلأم : هى السهام . ويستقسم بها : يضرب بها

(٢) سورة آل عمران آية ٦٧

(٣) طمست : فُيُتُّ ومُجِيَّت

(٤) يتوحي : يتحرى / يقصد

[لسان العرب ص ٢٧٠ ج ١٢]

[لسان العرب ص ١٢٦ ج ٦]

[لسان العرب ص ٣٨٢ ج ١٥]

ذلك لهم ؛ فقال الحارث وعنَّاب : نَشْهَد أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، والله ما اطَّلَعَ على هذا أَحَدٌ كَانَ مَعَنَا ، فنَقُولُ أَخْبَرَكَ .

سبب تسمية الرسول لخراش بالقتال :

قال ابن إسحاق : حدثني سعيد بن أبي سَنَدَر الأسلمي ، عن رجل من قومه ، قال : كان معنا رجل يقال له أحمر بأسا^(١) ، وكان رجلاً شجاعاً ، وكان إذا نام غَطًّا^(٢) غطيظاً مُنْكَرًا لا يخفى مكانه ، فكان إذا بات في حيه بات مُعْتَنِزًا^(٣) ، فإذا بُيِّتَ الْحَيَّ^(٤) صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ، لا يقوم لسبيله شيء . فأقبل غَزَيٌّ^(٥) من هُذَيْل يريدون حاضره ، حتى إذا دنوا من الحاضر^(٦) ، قال ابنُ الأَثْوَع الهذلي : لا تعجلوا عليَّ حتى أنظر ، فإن كان في الحاضر أحمر فلا سَبِيلَ إليهم ، فإنه له غطيظا لا يخفى ، قال : فاستمع ، فلما سمع غطيظه مشى إليه حتى وضع السيف في صدره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ؛ فلما كان عام الفتح ، وكان الغدُّ من يوم الفتح ، أتى ابن الأَثْوَع الهذلي حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شِرْكِهِ ، فرأته خُزَاعَة ، فعرفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جُدُر مكة ، يقولون : أأنت قاتل أحمر ؟ قال : نعم ، أنا قاتل أحمر فَمَه^(٧) ؟ إذْ أَقْبَلَ خراش بن أُمَيَّة مُشْتَمِلًا على السَّيْف ، فقال : هكذا عن الرَّجُل^(٨) ، والله ما نظنُّ إلا أنه يريد أن يُفْرِجَ

(١) علق أبو در على هذا الاسم بأنه حملة مركبة ، ولعله يريد أنه أحمر ، بتثنيذ الزاء ، فيكون مقولاً من جملة فعلية مثل : تأبط تراً ، .

(٢) العطيظ : ما يسمع من صوت الآمنين إذا ناموا . [لسان العرب ص ٣٦٢ ج ٧]

(٣) معتزاً : أي ناحية من الحي . يقال . هذا بيت معتز : إذا كان خارجاً عن بيوت الحي [لسان العرب ص ٣٨٤ ج ٥]

(٤) بيت الحي : عروا ليلاً . [لسان العرب ص ١٦ ج ٢]

(٥) العري : جماعة القوم يعرون [لسان العرب ص ١٢٣ ج ١٥]

(٦) الحاضر : الذين يدرسون على الماء . [لسان العرب ص ١٩٩ ج ٤]

(٧) فَمَه : معناه فما الذي تريدون أن تصنعوه ؟ .

(٨) ومعناه تحوا عن الرجل .

الناس عنه . فلما انفرجنا عنه حمل عليه ، فطعنه بالسيف فى بطنه ، فوالله لكأنى أنظر إليه وحشوته^(١) تسيل من بطنه ، وإن عينيه لثَّرْتَانِ^(٢) فى رأسه ، وهو يقول : أقد فعلتموها يا معشر خُزاعة ؟ حتى أنجَعَفَ^(٣) فوقع : فقال رسول الله ﷺ : يا معشر خُزاعة ؟ حتى أنجَعَفَ^(٣) فوقع : فقال رسول الله ﷺ : يا معشر خُزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأديته .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن حَرَملة الأسلمى ، عن سعيد ابن المسيب ، قال : لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش بن أمية ، قال : إن خراشا لقتال ؛ يعيبه بذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبى سعيد المَقْبُرِيُّ ، عن أبى شَرِيح الخُزاعى ، قال : لما قدم عمرو بن الزُّبَيْرِ^(٤) مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزُّبَيْرِ ، جئته ، فقلت له : يا هذا ، إنا كنّا مع رسول الله ﷺ ، حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خُزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مُشرك ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبا فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّهُ يوم خلق السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ، فهى حرام من حرام إلى يوم القيامة ، فلا يجُلُّ لأمريء يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخر ، أَنْ يَسْفُكَ فيها دما ، ولا يَعْصِدَ^(٥) فيها شجرا ، لم تَحْلِلْ لأحد كان قبلى ، ولا تَحِلْ لأحد يكون بعدى ، ولم تَحْلِلْ لى إلا هذه الساعة ، غضبا على أهلها . ألا ، ثم قد رَجَعْتَ كحُرمتها بالأمس ،

(١) الحشوة (بالكسر) : ما اشتمل عليه البطن من الأمعاء وغيرها [لسان العرب ص ١٧٨ ح ١٤]

(٢) لثَرْتَانِ : يريد أنهما قريبان أن تتعلقا . [لسان العرب ص ١٢٨ ج ١٠]

(٣) انجَعَفَ : سقط سقوطا ثقيلا . يقال : انجعت الثمرة ، إذا انقلعت أصولها فسقطت [لسان العرب ص ٢٧ ح ٩]

(٤) قال السهيلي : هذا وهم من ابن هشام . وصوابه : وهو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وهو الأشدق .. وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على النكائى فى روايته ، من أجل أن عمرو بن الزبير كان معاديا لأخيه عبد الله ومعينا لى أمية . هذا ما ذهب إليه السهيلي . وقد نقل ابن أبى الحديد عن المسعودى فى شرح نهج البلاغة (ح ٤ ص ٤٩٥) ما يثبت أن قتالا كان بين عمرو بن الزبير وأخيه عبد الله ، قال : « كان يزيد بن معاوية قد ولى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان المدينة ، فسرح منها جيشا إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير ، عليه عمرو ابن الزبير أخوه ، وكان منحرفا عن عبد الله فلما تصاب القوم ابهرم رجال عمرو وأسلموه ، فطرحه عند الله فأقامه الناس بناب المسجد محرراً ، ولم يزل يصبره بالسياط حتى مات » .

(٥) لا يعصِدُ : لا يقطع [لسان العرب ص ٢٩٤ ح ٣]

فليبلغ الشَّاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله (قد) (١) قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يُخلها لكم ، يا معشر خُزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلًا لأديئته ، فمن قُتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النُّظرين : إن شاءوا فدَم قاتله ؛ وإن شاءوا فعقله . ثم ودَى رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذى قتلته خُزاعة ، فقال عمرو لأبى شُريح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحُرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالغ طاعة ، ولا مانع جزية ؛ فقال أبو شُريح : إني كنتُ شاهدًا وكنتُ غائبًا ، ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يُبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد أبلغتُك ، فأنت وشأنك .

أول قتيل وداه الرسول يوم الفتح :

قال ابن هشام : وبلغنى أن أول قتيل وداه رسول الله ﷺ يوم الفتح جُنَيْد بن الأكرع ، قتلته بنو كعب ، فوداه بمئة ناقة .

قال ابن هشام : وبلغنى عن يحيى بن سعيد : أن النبى ﷺ حين افتتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو (الله) ، وقد أحذقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله ﷺ ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قُلتُم ؟ قالوا : لا شيء يارسول الله ﷺ ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبى ﷺ : معاذ الله ! المَحيا محياكم ، والمَمات مماتكم .

سقوط أصنام الكعبة بإشارة من الرسول :

قال ابن هشام : وحدثنى من أتق به من أهل الرواية فى إسناد له ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عُبَيْد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام

(١) كان فتح مكة أعظم كسب حصل عليه المسلمون ، غير مجرى الأحداث لصالح الإسلام وبدأت السيطرة والعلنة للمسلمين على قريش والعرب ، والقضاء على الأصنام ودين الوثنية فى حريرة العرب .

مشدودة بالرصاص ، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول
 « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » فما أشار إلى صنم منها
 في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها
 صنم إلا وقع ؛ فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك :
 وفي الأصنام مُعْتَبَرٌ وَعِلْمٌ لِمَن يَرْجُو الثَّوَابَ أَوِ الْعِقَابَا

كيف أسلم فضالة :

قال ابن هشام : وحدثني : أن فضالة بن عمير بن الملوح الليثي أراد
 قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ؛ فلما دنا منه ، قال رسول
 الله ﷺ : أفضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله ؛ قال : ماذا كنت تحدث
 به نفسك ! قال : لا شيء ، كنت أذكر الله ؛ قال فضحك النبي ﷺ ، ثم قال :
 استغفر الله ، ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه ؛ فكان فضالة يقول : والله
 مازف يد عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه . قال فضالة :
 فرجعت إلى أهلي ، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها ، فقالت : هلم إلى
 الحديث ، فقلت : لا ، وانبعث فضالة يقول :

قال هلم إلى الحديث فقلت لا يَأْبَى عَلَيْكَ اللهُ وَالْإِسْلَامُ
 لَوْ مَا رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكْسُرُ الْأَصْنَامَ
 لَرَأَيْتَ دِينَ الله أَضْحَى بَيْنَنَا وَالشُّرْكَ يَغْشَى وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ

أمان الرسول لصفوان بن أمية :

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير ، قال :
 خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب :
 يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قوم ، وقد خرج هاربا منك ، ليقذف نفسه
 في البحر ، فأمنه ، صلى الله عليك ؛ قال : هو آمن ؛ قال : يا رسول الله ،
 فأعطني آية يعرف بها أمانك ؛ فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها
 مكة فخرج بها عمير حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب في البحر ، فقال :

يا صفوان فِدَاكَ أبى وأمى ، الله الله فى نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جنتك به ؛ قال : ويحك ! أغرب عني فلا تكلمنى ؛ قال : أى صفوان ، فِدَاكَ أبى وأمى ، أفضل الناس ، وأبر الناس وأحلهم الناس ، وخير الناس ، ابن عمك ، عزه عزك ، وشرفه شرفك ، ومُلْكُه مُلْكُكَ ؛ قال : إني أخافه على نفسى ؛ قال : هو أحلم من ذاك وأكرم . فرجع معه ، حتى وقف به على رسول الله ﷺ ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتني قال : صدق ؛ قال : فاجعلني فيه بالخيار شهرين قال أنت بالخيار فيه أربعة أشهر .

قال ابن هشام : وحدثني رجل من قُرَيش من أهل العلم أن صفوان قال لعمير : وَيَحْك ! اغرب عني ، فلا تكلمنى ، فإنك كذاب ، لما كان صنع به ، وقد نكرناه فى آخر حديث يوم بدر .

إسلام عكرمة وصفوان :

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهيري : أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وفاخنة بنت الوليد ، وكانت فاخنة عند صفوان بن أمية ، وأم حكيم عند عكرمة بن أبى جهل - أسلمنا ؛ فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله ﷺ لعكرمة ، فأمنه ، فلحقته به باليمن ، فجاءت به ؛ فلما أسلم عكرمة وصفوان أقرهما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأول .

إسلام ابن الزبعرى وشعره فى ذلك :

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : قال : رمى حسان الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد ما زاده عليه :

لا تعد من رجلاً أهلك بغضه نجران فى عيشٍ أحدًا^(١) لئيم

(١) أحد (بالحاء المهملة والذال المعجمة) . هو القليل المنقطع . ومن رواه . أحد (بالحاء والذال المهملة) : معناه منقطع أيضا . وقد يجوز أن يكون معناه : فى عيش لئيم حدا . (عن تريح أى ذر) .

[لسان العرب ص ٤٨٢ ح ٣]

فلما بلغ ذلك ابنَ الزَّبَعْرَى خرج إلى رسول الله ﷺ ، فقال حين أسلم :

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ (١) مَا فَتَقْتُ (٢) إِذْ أَنَا بُورٌ (٣)
إِذْ أَبَارَى (٤) الشَّيْطَانُ فِي سَنَنِ (٥) الْغَى وَمَنْ مَالٌ مَيْلُهُ مَثْبُورٌ (٦)
أَمِنَ اللَّحْمَ وَالْعِظَامَ لِرَبِّي ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
إِنَّنِي عَنْكَ زَاجِرٌ نَمَّ حَيًّا مِنْ لُؤَى وَكُلُّهُمْ مَغْرُورٌ

بقاء هبيرة على كفره وشعره في إسلام زوجه أم هانئ :

قال ابن إسحاق : وأما هُبَيْرَةُ بن أَبِي وَهَبٍ المَخْزُومِيُّ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى مَاتَ
كَافِرًا ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ أُمُّ هَانِئِ ابْنَةِ أَبِي طَالِبٍ ، وَاسْمُهَا هُنْدٌ ، وَقَدْ قَالَ حِينَ
بَلَغَهُ إِسْلَامُ أُمِّ هَانِئِ :

أَشَاقَتَكَ هُنْدُ أُمُّ أَتَاكَ سُؤَالُهَا (٧) كَذَاكَ النَّوَى أَسْبَابُهَا وَانْفَتَاةُهَا (٨)
وَقَدْ أُرْقَتْ فِي رَأْسِ حِصْنٍ مَمْنَعٍ بَنَجْرَانَ يَسْرِي بَعْدَ لَيْلٍ خِيَالُهَا
وَعَاذِلَةُ هَبَّتْ (٩) بَلَّيْلٍ تَلُومِي وَتَعْذِلُنِي بِاللَّيْلِ ضَلَّ ضَلَالُهَا (١٠)
وَتَزْعُمُ أَنِّي إِنْ أَطَعْتُ عَشِيرَتِي سَارَدَى وَهَلْ يُزْدِينَ إِلَّا زِيَالُهَا (١١)
فَانِي لِمَنْ قَوْمٌ إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ عَلَى أَى حَالٍ أَصْبَحَ الْيَوْمَ حَالُهَا
وَإِنِّي لِحَامٍ مِنْ وَرَاءِ عَشِيرَتِي إِذَا كَانَ مِنْ تَحْتَ الْعَوَالِي مَجَالُهَا (١٢)

-
- (١) الراتق : ضد الفتق وهو إلحام الفتق وإصلاحه رتقه رتقا فارتقق أى التأم [لسان العرب ص ١١٤ ح ١٠]
(٢) الفتق . خلاف الرتق وهو الشعر فتقه فتقا شقه [لسان العرب ص ٢٩٦ ح ١٠]
(٣) بوره : هالك [لسان العرب ص ٨٦ ح ٤]
(٤) أبارى : أعارص [لسان العرب ص ٧٢ ج ١٤]
(٥) سن : بالتحريك وسط الطريق [لسان العرب ص ٢٢٦ ج ١٣]
(٦) مشور : هالك [لسان العرب ص ٩٩ ح ٤]
(٧) وقيل : أتاك : أى بعد عنك ، والبأى النعد [لسان العرب ص ٣٠٠ ح ١٥]
(٨) وبعثتها : أى نقلها من حال إلى حال [لسان العرب ص ٥١٤ ج ١١]
(٩) هبت . استيقظت . [لسان العرب ص ١٠٢ ح ٢]
(١٠) ضلالها : دعاء عليها بالصلال أى بعدم الهدى [لسان العرب ص ٣٩٠ ح ١١]
(١١) زيالها . دهانها [لسان العرب ص ٣٠٠ ح ١١]
(١٢) العوالى : أعالي الرياح [لسان العرب ص ٨٧ ح ١٥]

● سبب إسلام عباس بن مرداس

قال ابن هشام : وكان إسلام عباس بن مرداس ، فيما حدثني بعض أهل العلم بالشعر ، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وثَنَّ يعبدُه ، وهو حجر كان يُقال له ضَمَارٌ ، فلما حضر مرداس قال لعباس : أي بني ، اعْبُدْ ضَمَارَ فَإِنَّهُ يَنْفَعُكَ وَيُضَرِّكَ ، فبينا عباس يوما عند ضَمَارٍ ، إذ سمع من جوف ضَمَارٍ مناديا يقول : قُلْ لِلْقَبَائِلِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلُّهَا أودى^(١) ضَمَارٍ وعاشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ^(٢) إِنَّ الَّذِي وَرِثَ النَّبُوَّةَ وَالْهُدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِي أودى ضَمَارٍ وَكَانَ يُعْبَدُ مَرَّةً قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَحَرَّقَ عَبَّاسُ ضَمَارَ ، وَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمَ .

● عدة من شهد فتح مكة من المسلمين

قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف . من بني سُلَيْمٍ سبع مئة . ويقول بعضهم : ألف ؛ ومن بني غِفَارٍ أربع مئة ، ومن أسْلَمَ أربع مئة ؛ ومن مُزَيْنَةَ ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قُرَيْشٍ والأنصار وحلفائهم ، وطوائف العرب من ثَمِيمٍ وقَيْسٍ وأَسَدٍ .

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كنانة^(٣)

ومسير على لتلافى خطأ خالد

وصاة الرسول له وما كان منه :

قال ابن إسحاق : وقد بعث رسول الله ﷺ فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عزَّ وجلَّ ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره

[لسان العرب ص ٣٨٥ ح ١٥]

(١) أودى . هلك

(٢) المسجد هنا : مسجد مكة أو مسجد النبي ﷺ

(٣) تعرف هذه السرية بغزوة الغميط ، وهو اسم ماء لننى جذيمة .

أن يسير بأسفل تهامة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، فوطيء بنى جذيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السلمى فى ذلك :

فإن تك قد أمرت فى القوم خالداً وقدمته فإنه قد تقدما
بجند هداه الله أنث أميره نصيب به فى الحق من كان أظلما

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى حديث يوم حنين ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب : سليم بن منصور ، ومذليج بن مرة ، فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم يا بنى جذيمة ! إنه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار ، وما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق والله لا أضع سلاحى أبدا . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ، أترى أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح ، ووضع الحرب ، وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكثفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم ؛ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ ، رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد .

غضب الرسول مما فعل خالد وإرساله علياً :

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم ، أنه حَدَّثَ عن إبراهيم بن جعفر المحمودي ، قال : قال رسول الله ﷺ : رأيتُ كأنني لَقِمْتُ لَقْمَةً من حَيْسٍ (١) فالتذذْتُ طَعْمَهَا ، فاعترض في حلقى منها شيء حين ابتلعته ، فأدخل على يده فنزعه ؛ فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله ، هذه سَرِيَّةٌ من سَرَاياك تبعثها ، فيأتيك منها بعض ما تحب ، ويكون في بعضها اعتراض ، فتبعث علياً فيسهله .

قال ابن هشام : وحدثني أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله ﷺ ، فأخبره الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : هل أنكرَ عليه أحد ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض رُبْعَةٌ (٢) ، فَنَهَمَهُ (٣) خالد ، فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب (٤) ، فراجعته ، فاشتدَّت مراجعتهما به فقال عمر ابن الخطاب : أما الأول يا رسول الله فابني عبد الله ، وأما الآخر فسالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال يا علي ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم ، وأجعل أمر الجاهلية تحت قدميك فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه ليدى لهم (٥) مِلْغَةً الكلب حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه ، بقيت معه بَقِيَّةٌ من المال ، فقال لهم علي رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقي لكم بَقِيَّةٌ من دم أو مال

(١) الحيس : أن يخلط السم والتمر والأفط فيؤكل . والأفط : شيء يعقد من اللس ويحف . [لسان العرب ص ٦١ ج ٦]

(٢) الرُبْعَةُ من الرجال : الذي بين الطويل والتقصير . [لسان العرب ص ١٠٧ ج ٨]

(٣) نهمة : زجره . [لسان العرب]

(٤) مضطرب : ليس مستوئ الحلق . [لسان العرب ص ٥٤٤ ج ١]

(٥) المِلْغَةُ : شيء يحفر من حشب ، ويجعل ليلع فيه الكلب ، يكون عند أصحاب الغنم ، وعند أهل النادية . [لسان العرب ص ٤٦٠ ج ٨]

لم يُود لكم ؟ قالوا : لا . قال : فاني أعطيتكم هذه البقية من هذا المال ، احتياطا لرسول الله ﷺ ، مما يعلم ولا تعلمون ، ففعل . ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر : فقال أصبت وأحسن ! قال : ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه ، حتى إنه ليرى مما تحت منكبيه ، يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالدًا إنه قال : ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي ، وقال : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقتلهم لامتناعهم من الإسلام .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدني : لما أتاهم خالد ، قالوا : صَبَأَنَا صَبَأَنَا^(١)

قال ابن إسحاق : وقد كان جَحَذَمَ قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد بيني جذيمة : يا بني جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغني ، كلام في ذلك ، قال له عبد الرحمن بن عوف : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام . فقال : إنما ثأرت بأبيك : فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلْتُ قاتل أبي ، ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شرٌّ . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، قال : مهلا يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أخذٌ ذهباً ثم أنفقتَه في سبيل الله ما أدركت غَدَوَةَ رجل من أصحابي ولا روحته :

(١) صَبَأَنَا : يسون دخلنا في دين محمد ، وكانوا يسمون النبي ﷺ الصائب ، لأنه خرج من دينهم . يقال : صبأ الرجل ، إذا خرج من دين إلى دين ، ومنه الصابئون ، لأن دينهم بين اليهودية والنصرانية ، فيما ذكر بعض أهل التفسير [لسان العرب ص ١٠٨ ج ١]

ما كان بين قريش وبنى جذيمة من استعداد للحرب ثم صلح :

وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زهرة ، وعقّان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تجارا إلى اليمن ومع عقّان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جذيمة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته ، فادّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بنى جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه وقتلوه ، فقتل عوف به عبد عوف ، والفاكه بن المغيرة ، ونجا عقّان بن أبي العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهتت قريش بغزو بنى جذيمة فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن ملا منا ، إنما عدا عليهم قوم بجهالة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن نَعْقِلُ لكم ما كان لكم قبلنا دم أو مال ، فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

حديث ابن أبي حدرد الفتى الجذمي يوم الفتح :

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس . عن الزهري ، عن ابن أبي حذرٍ الأسلمي ، قال : كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد ، فقال لي فتى من بنى جذيمة ، وهو في سنى وقد جُمِعَتْ يداه إلى عنقه برمة^(١) ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى ؛ فقلت : ما تشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرمة ، فقائدني إلى هؤلاء النسوة حتى أقضي إليهن حاجة ، ثم تردني بعد ، فتصنعوا بي ما بدا لكم ، قال : قلت : والله ليسير ما طلبت .

(١) الرمة : الحل النالى

[لسان العرب ص ٢٥١ ج ١٢]

فَأَخَذَتْ بِرُمَّتِهِ فَفُتَّتْهَا بِهَا ، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِنَّ ، فَقَالَ : اسْلَمْنِي حُبَيْشُ^(١) ، عَلَى نَفْذٍ مِنَ الْعَيْشِ^(٢)

أَرَيْتُكَ إِذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِحَلْيَةٍ أَوْ الْفَيْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ^(٣) أَلَمْ يَكْ أَهْلًا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ تَكَلَّفَ إِذْلَاجَ^(٤) السُّرَى وَالْوَدَائِقِ^(٥)

مسير خالد بن الوليد لهدم العزى

ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزى ، وكانت بنخلة^(٦) ، وكانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر كلها ، وكانت سدنتها وحجابها بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السلمى بمسير خالد إليها ، علق عليها سيفه ، وأسند فى الجبل^(٧) الذى هى فيه وهو يقول :

أَيَا عَزْ شُدَى شُدَّةَ لَا شَوَى لَهَا^(٨) عَلَى خَالِدٍ أَلْقَى الْقِنَاعَ وَشَمَّرَى
يَا عَزُّ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي الْمَرْءَ خَالِدًا فَبُوئى بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنْصُرَى^(٩)
فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة .

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان .

(١) حُبَيْشٌ : مرجح حبشية

(٢) نَفْذُ الشَّيْءِ : إِذَا فَنِيَ

(٣) حَلْيَةٌ وَالْخَوَانِقُ : مَوْصِعَانِ

(٤) إِذْلَاجٌ : السَّيْرُ بِاللَّيْلِ

(٥) الْوَدَائِقُ : جَمْعُ وَدِيقَةٍ ، وَهِيَ شِدَّةُ الْحَرِّ فِي الطَّهْيَةِ

(٦) بَخْلَةٌ : اسْمُ مَوْضِعٍ

(٧) أَسْنَدٌ فِي الْحَنْلِ : ارْتَفَعَ فِيهِ

(٨) وَمَعْنَى لَا شَوَى لَهَا : أَنَّهَا لَا تَقْنَى عَلَى شَيْءٍ - لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٤٤٩ د ١٤

(٩) بُوئى أَيْ أَرْجَمْتِ لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٣٦ د ١

[لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٢٧٢ ح ٢]

[لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٣٧٢ ح ١٠]

[لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٦٥٢ ح ١١]

[لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٢٢٠ ج ٣]

الفصل الثانى من عزوة حنين : إلى جهاز رسول الله ﷺ ودفنه

غزوة حنين في سنة ثمان بعد الفتح

اجتماع هوازن :

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ ومافتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النَّصْرِي ، فاجتمع إليه مع هوازن ثَقِيف كُلُّهَا ، واجتمعت نَصْر وَجُشَم كُلُّهَا ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدوا من قيس عَيْلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدوا منهم أحد له اسم ، وفي بني جُشَم دُرَيْد بن الصَّمَّة شيخ كبير ، ليس فيه شيء إلا التَّيْمَن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مُجَرَّبًا ، وفي ثَقِيف سيدان لهم ، في الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن مُعْتَب ، وفي بني مالك ذو الخمار سُبَيْع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث ، وجماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْرِي : فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم ، فلما نزل بأوطاس^(١) اجتمع إليه الناس ، وفيهم دريد بن الصَّمَّة في شجار^(٢) له يَقَاد به ، فلما نزل قال : بأى وآد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نَعَمْ مَجَالُ الخيل ! لآحَزَن^(٣) ضِرْس ، ولآسَهَلْ دَهْس^(٤) ، مالى أسمع رُغَاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبُكاء الصغير ، ويُعار الشَّاء^(٥) ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ودُعِيَ له ، فقال :

(١) أوطاس : واد في ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين . وفيها قال النبی ﷺ : الآن حمى الوطيس . وذلك حين اشتدَّت الحرب .

(٢) الشجار . شنه اليهود إلا أنه مكشوف الأعلى ، وسُمي كذلك لتماثل عيدان اليهود بعضها ببعض . انظر لسان العرب ص ٣٩٦ ح ٦ .

(٣) الحزن : ما غلظ من الأرض . انظر لسان العرب ص ١١٢ ح ١٣ . الصرس : قطعة من الفُف مشرفة شيئاً على طية جدا خشمة الوطء . انظر لسان العرب ص ١١٩ ح ٦ .

(٤) الدهس : الأرض السهلة . انظر لسان العرب ص ٨٩ ح ٦ .

(٥) يعار الشاء : صوتها .

يامالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام . مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولم ذاك ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ، ليقاتل عنهم ، قال : فأنقص به (١) . ثم قال : راعى ضأن (٢) والله ! وهل يزد المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورُمحه ، وإن كانت عليك فُضِحت فى أهلك ومالك ، ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدا منها أحد ، قال : غاب الحد (٣) والجِد ، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ، ولويدت أنكم ما فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدا منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذاك الجذعان من عامر (٤) ، لا ينفعان ولا يضران ، يامالك ، إنك لم تصنع بتقديم البيضة (٥) هوازن إلى نحور الخيل شيئا ، أرفعهم إلى مُتَمَنِّع بلادهم وعليا قومهم ، ثم ألق الصُّبَاء (٦) على مُتُون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك . قال : والله لأفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر عفاك . والله لتطعيننى يامعشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأى ؛ فقالوا : أطعناك ؛ فقال دريد بن الصمة : هذا يوم لم أشهده ولم يقثنى :

(١) أنقص به : أى زجره من الإنفاص وهو صَوِّيت مثل النقر ، وفى حديث هوارس : فأنقص به دريد أى نقر بلسانه فى فيه كما يرحر الحمار ، فعله استجهالا .
(٢) قوله : راعى ضأن ، بجهله بذلك .
(٣) غاب الحد : يريد الشجاعة والحدة .
(٤) الجذعان : يريد أنهما ضعيفان فى الحرب بمنزلة الحدع فى سبه وهو الصغير . لسان العرب ص ٤٥ ح ٨ .
(٥) البيضة : بيضة الدار وسطها وبيضة الاسلام جماعتهم ، وبيضة القوم أصلهم . والبيضة : أصل القوم ومجتمعهم . انظر لسان العرب ص ١٢٧ ح ٧ .
(٦) الصباء : جمع صباىء ، وهم المسلمون عندهم ، وكانوا يسموهم بهذا لأنهم خرجوا من دين الحامية إلى الاسلام

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعُ أَحْبُّ فِيهَا وَأَضَعُ^(١)
أَقْوَدُ وَطَفَاءُ^(٢) الرَّمْعُ^(٣) كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعُ^(٤)

قال ابن إسحاق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جُفُونِ
سيوفكم ، ثم شَدُّوا شَدَّةَ رجل واحد .

قال : وحدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حَدَّثَ : أَنَّ
مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله ، فَأَتَوْهُ وَقَدْ تَفَرَّقَتْ أَوْصَالُهُمْ ، فَقَالَ :
وَيْلَكُمْ ! مَا شَأْنُكُمْ ؟ فَقَالُوا : رَأَيْنَا رَجَالًا بَيِضًا عَلَى خَيْلٍ بُلُقٍ ، فَوَاللَّهِ
مَاتِمَا سَكْنَا أَنْ أَصَابَنَا مَا تَرَى ، فَوَاللَّهِ مَارَدَهُ ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِ أَنْ مَضَى عَلَى
مَا يَرِيدُ .

بعث ابن أبي حدرد عينا على هوازن :

قال ابن إسحاق : ولماسمع بهم نبي الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن
أبي حدرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم
علمهم ، ثم يأتيهم بخبرهم . فانطلق ابن أبي حدرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم
حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ ، وسمع من مالك
وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ ، فأخبره الخبر ،
(فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر فقال عمر كذب
ابن أبي حدرد . فقال ابن أبي حدرد إن كذبتني فربما كذبت بالحق يا عمر :
فقد كذبت من هو خير مني . فقال عمر : يا رسول الله ، ألا تسمع ما يقول

(١) الحذع : صغير السن انظر لسان العرب ص ٤٣ ح ٨ . والحب والوضع : ضربان من السير والعدو . لسان
العرب ص ٣٤١ ح ١ .

(٢) الوطفاء : إذا نزلت ذبولها . وامرأة وطفاء إذا كانت كثيرة شعر أهداب العين . لسان العرب ص ٣٥٧ ح ٩ .

(٣) الرَّمْع : الشعر الذي فوق مرتبط قيد الدابة ، الرمة : الشجرة التي خلف الشاة أو الرمع . وهو وصف محمود
في الخيل . لسان العرب ص ١٤٣ ح ٨ .

(٤) شاة صدع : أي وعل بين الوعلين ، ليس بالاعطيم ولا بالصغير . صدع الشيء بين الشينين . لسان العرب
ص ١٩٦ ح ٨ .

ابن أبي حردد ؟ فقال رسول الله ﷺ (قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر (١)) .

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ليلقاهم ، ذكر له أن عند صفوان بن أمية (٢) أدراعا له وسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك ، فقال : يا أبا أمية ، أعزنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غداً ، فقال صفوان : أغضبنا يا محمد ؟ قال : بل عارية ومضمونة حتى نؤديها إليك ؛ قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مئة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأل أن يكفيهم حملها ، ففعل .

خروج الرسول بجيشه إلى هوازن :

قال : ثم خرج رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفا ، واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخلف عنه من الناس ، ثم مضى رسول الله ﷺ على وجهه يريد لقاء هوازن .

قال ابن هشام : من قوله « أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها » إلى آخرها ، في هذا اليوم ، وما قبل ذلك في غير هذا اليوم ، وهما مفصولتان ، ولكن ابن إسحاق جعلهما واحدة .

أمر ذات أنواط :

قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري ، عن سنان بن أبي سنان الدؤلي ، عن أبي واقد الليثي ، أن الحارث بن مالك ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال : فسرنا معه إلى حنين ، قال : وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة

(١) ما بين القوسين أغلته نسخة أ وهو مذكور في شرح الرقاني على المواهب من رواية الواقدي .

(٢) وهو يومئذ في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ الخيار فيها . (راجع شرح المواهب) .

عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنواط ^(١) ، يأتونها كل سنة ، فيعلقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوما . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سيرة خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جنبات الطريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . قال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، قلتم ، والذي نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : « اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ » ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ » ^(٢) . إنها السنن ، لتركبن سنن من كان قبلكم .

لقاء هوازن وثبات الرسول :

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في وادٍ من أودية تهامة أجوف ^(٣) حطوط ^(٤) ، إنما ننحدر فيه انحدارا ، قال : وفي عماية الصبح ^(٥) ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي ، فكمئوا لنا في شعبه وأحنائه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله مارعنا ونحن منحطون ^(٦) إلا الكتائب قد شددوا علينا شدة رجل واحد ، وانشمر الناس ^(٧) راجعين ، لا يلوي أحد على أحد .

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ؟ هلُموا إلي ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله : قال : فلا شيء ^(٨) ، حملت

(١) البوط : كل ما علق من شيء ، الأنواط : المعاليق . انظر لسان العرب ص ٤١٨ ح ٧ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٣٨ .

(٣) تهامة : ما انفصل من أرض الحجاز . أجوف : واسع له جوف . لسان العرب ص ٣٤ ح ٩ . حطوط : الحطوط الأكمة صعدة الانحدار . لسان العرب ص ٢٧٤ ح ٧ .

(٤) عماية الصبح : أي بقية طلعة الليل . لسان العرب ص ٩٨ ح ١٥ .

(٥) الشعبات : جمع شعبة وهي العرقة أو الطائفة من الشيء . وهذا بمعنى الطرق المتفرعة . لسان العرب ص ٤٩٩ ح ١ . أحنأه . جوارحه .

(٦) منحطون : حطت الناقة في سيرها وانحطت أي اعتمدت ويقال ذلك للناقة الحبيبة السريعة وانحطت أسرع . لسان العرب ص ٢٧٥ ح ٧ .

(٧) انشمر الناس : انشمر للأمر نهياً له ، أي تهيأوا للرجوع . لسان العرب ص ٤٢٨ ح ٤ .

(٨) كذا في الأصول وفي شرح المواهب (فلأى) يريد فلشيء عظيم

الإيل بعضها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا إنه قد بقى مع رسول الله ﷺ
نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

أسماء من ثبت مع الرسول :

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته على
ابن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وأبنته ،
والفضل بن العباس ، وربيعه بن الحارث ، وأسامة بن زيد . وأيمن بن
عبيد ، قُتل يومئذ .

قال ابن هشام : اسم ابن أبي سفيان بن الحارث جعفر ، واسم أبي
سفيان المغيرة ؛ وبعض الناس يعدّ فيهم قسّم بن العباس ، ولا يعد ابن أبي
سفيان .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن
ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : رجل من هوازن على جمل
له أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل ، أمام هوازن ، وهوازن
خلفه ، إذا أدرك طعن رمحه وإذا فاتته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه .

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله
ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من
الضغن^(١) ، فقال أبو سفيان بن حرب : لاتنتهى هزيمتهم دون البحر ،
وإن الأزلام لمعه في كنانته^(٢) . وصرخ جبلة بن الحنبل - قال ابن
هشام : كلدة بن الحنبل - وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة
التي جعل له رسول الله ﷺ : ألا بطل السحر اليوم ؛ فقال له صفوان :
اسكت فض الله فاك^(٣) ، فو الله لأن يربني^(٤) رجل من قريش أحب إلى

(١) الضغن - الكسر - الحقد ، كالصغية ، وتضاعفوا واضطعوا : اضطوا على الأحقاد . (ترتيب القاموس
ص ٣٠ - ٣)

(٢) الصمير راجع إلى أبي سفيان . والأزلام : السهام التي يستقسمون بها .

(٣) فص الله فاه : أى أسقط أسنانه . والعض هو الكسر بالترقة (القاموس ص ٥٠٠ - ٣) .

(٤) يربى : يكون ربا لى ، أى مالكا على .

من أن يرُبني رجل من هوازن (١) قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت
يهجو كَلْدَةَ :

رَأَيْتُ سَوَاداً مِنْ بَعِيدٍ فِرَاعِنِي أَبُو حَنْبَلٍ يَنْزُو عَلَى أُمِّ حَنْبَلٍ
كَأَنَّ الذِي يَنْزُو بِهِ فَوْقَ بَطْنِهَا ذِرَاعُ قَلْوَصٍ (٢) مِنْ نِتَاجِ ابْنِ عَزْهِلٍ
أُنْشَدْنَا أَبُو زَيْدٌ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ ، وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ هَجَا بِهِمَا صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ،
وَكَانَ أَخَا كَلْدَةَ لِأُمِّهِ .

قال ابن إسحاق : وقال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني
عبد الدار : قالت : اليوم أدرك ثأري (من محمد) ، وكان أبوه قُتِلَ يوم
أَحُدَ ، اليوم أَقْتُلُ محمداً . قال : فَأَذْرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ لَأَقْتُلَهُ ، فَأَقْبَلَ شَيْءَ حَتَّى
تَغَشَّى فَوَادِي ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع مني .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل مكة ، أن رسول الله ﷺ قال
حين فَصَلَ من مكة إلى حُنين ، ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن نُغْلِبَهُ
اليومَ من قِلَّةٍ .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلاً من بني بكر قالها .

رجوع الناس بنداء العباس والانتصار بعد الهزيمة :

قال ابن إسحاق : وحدثني الزُّهْرِيُّ ، عن كثير بن العباس ، عن أبيه
العباس بن عبد المطلب ، قال : إني لَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آخِذٌ بِحَكْمَةِ بَغْلَتِهِ
الْبَيْضَاءِ قَدْ شَجَرَتْهَا بِهَا (٣) ، قال : وَكُنْتُ أَمراً جَسِيماً شَدِيدَ الصَّوْتِ ،
قال : وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ حِينَ رَأَى مَا رَأَى مِنَ النَّاسِ : أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ ؟
فَلَمْ أَرِ النَّاسَ يَلُوتُونَ عَلَى شَيْءٍ ، فَقَالَ : يَا عَبَّاسُ ، اصْزُرْخُ ، يَامَعْشَرَ

(١) من هنا إلى قوله : وكان أخا كلدَةَ لِأُمِّهِ ، ساقط في أ .

(٢) القَلْوَصُ من الإبل : الشابة ، أو الناقية على السير ، أو أول ما يركب من إبلاتها ، والناقية الطويلة القوائم (ترتيب
القاموس ص ٦٧٦ ج ٣ .

(٣) شجرتها بها : أي وصعتها في شجرها ، وهو مجتمع اللحيين ، أو ملتقى اللهرمين (القاموس ص ٦٧٥
ج ٢) .

الأنصار : يامعشر أصحاب السُّمَرَةِ ، قال : فأجابوا : لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ ! قال : فيذهب الرجل ليشئ بعيرَه ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعَه ، فيقذفها في عنقه ؛ ويأخذ سيفه وثَرَسَه ، ويفتح عن بعيره ، ويخلئ سبيلَه ، فيومِّ الصوت ، حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ . حتى إذا اجتمع إليه منهم مئة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، وكانت الدعوى أوَّل ما كانت : يالأنصار . ثم خَلَصَتْ أخيرا : ياللخزرج . وكانوا صُبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه . فنظر إلى مُجْتَلَدِ القوم (١) وهم يَجْتَلِدُونَ ، فقال : الْآنَ حِمَى الْوُطَيْسِ (٢) .

بلاء على وأنصارى فى هذه الحرب :

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن ابن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هَوازِن صاحبُ الراية على جملة يصنع ما يصنع ، إذ هوى له (٣) على بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه على بن أبى طالب من خلفه ، فضرب عُرْقُوبِيَّ الجمل ، فوقع على عجزه (٤) ، ووثب الأنصارى على الرجل ، فضربه ضربة أَطَنَّ قَدَمَه (٥) بنصف ساقه ، فانجعف (٦) عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله مارجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكثفين عند رسول الله ﷺ .

قال : والتفت رسول الله ﷺ إلى أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان ممن صَبَرَ يومئذ مع رسول الله ﷺ ، وكان حَسَنَ

(١) مجتلد القوم : مكان حلاهم بالسيف ، وهو حيث تكون المعركة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٣٧ من هذا الجزء

(٣) يقال : هوى له وأهوى إليه : إذا مال عليه .

(٤) عجزه : مؤخره . والعجارة : دائرة الطائر ، وهى الأصنع المتأخرة (لسان العرب ص ٣٧٢ ح ٥) .

(٥) أطن قدمه : أطارها ، وسمع لضنه طنين ، أى دوى أى قطعها (لسان العرب ص ٢٦٨ ح ١٣) .

(٦) فانجعف عن رحله سقط عنه صريحا

الإسلام حين أسلم ، وهو أخذ بتَقَرَّ بَغْلته (١) ، فقال من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك (٢) يارسول الله .

شأن أم سليم :

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله ﷺ التفت فرأى أم سليم (٣) ابنة ملحان ، وكانت مع زوجها أبي طلحة (٤) وهي حازمة وسطها يُبرد لها ، وإنها الحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعها جمل أبي طلحة ، وقد خشيت أن يعزها (٥) الجمل فأدنت رأسه منها فادخلت يدها في خدامته (٦) مع الخطام ، فقال لها رسول الله ﷺ : أم سليم ؟ قلت : نعم ، بأبي أنت وأمي يارسول الله ، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يُقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ، فقال رسول الله ﷺ : أو يكفي الله يأم سليم (٧) ؟ قال : ومعها خنجر (٨) ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر معك يأم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنا مني أحد من المشركين بَعَجْتُهُ (٩) به قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمعُ يارسول الله ماتقول أم سليم الغميصاء .

(١) الثغر بالتحريك . المير في مؤخر السرح . (لسان العرب ص ١٠٥ ح ٤) .

(٢) قوله : أنا ابن أمك : إنما هو ابن عمه ، لكنه أراد أن يقترب إليه ، لأن الأم التي هي الجدة قد تجمعها هي السبب .

(٣) في اسمها خلاف ، قيل هي (مليكة بنت ملحان) وقيل (رميلة) ، ويقال (سهيلة) وتعرف بالغميصاء ، لرمص كان في عينيها .

(٤) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام .

(٥) يعزها : يعلنها . عزه يُعزَّه عزاً . قهره وعلنه (لسان العرب ص ٣٧٨ ح ٥) .

(٦) الحرامة : حلقة من شعر تجعل في أنف النعير .

(٧) وهي رواية : إن الله قد كفى وأحسن . ويؤخذ من رد النبي على أم سليم أن فرار المسلمين يوم حنين لم يكن من الكناز ، ولم يجمع العلماء على أن الفرار معنود في الكناز إلا في يوم بدر ، قال تعالى : ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾ فيومئذ إشارة إلى يوم بدر ، أما العارون يوم أحد فقد بدل فيهم : ﴿ ولقد عا الله عنهم ﴾ وأما العارون في يوم حنين فقد بدل فيهم أيضا ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ إلى قوله : ﴿ غور رحيم ﴾ .

(٨) الحصر بفتح الحاء - وكسرها - السكين .

(٩) بعته : يقال : بعج بطنه ، إذا شقه . أي شق بطنه بالحصر (لسان العرب ص ٢١٤ ح ٢) .

شعر مالك بن عوف في هزيمة الناس :

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ ، حين وجه إلى حنين ، قد ضمّ بنى سليم الضحّاك بن سفيان الكلابي ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه :

أَقْدِمَ مُحَاجٍ إِنَّهُ يَوْمَ تُكْرَمُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ يَحْمِي وَيُكْرَمُ (١)
إِذَا أَضْيَعَ الصَّفَّ يَوْمًا وَالْذُبُرَ ثُمَّ احْزَأَلْتُ زُمَرٌ بَعْدَ زُمَرٍ (٢)
كَتَائِبُ يَكُلُ فِيهِنَّ الْبَصَرَ قَدْ أَطْعَنَ الطَّعْنَةَ تَقْذِي بِالسُّبْرِ (٣)

شأن أبي قتادة وسلبه :

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث عن أبي قتادة الأنصاري قال : وحدثني من لآتهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بنى غفار أبي محمد عن أبي قتادة ، قالا : قال أبو قتادة : رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان : مسلما ومشركا ، قال : وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم قال : فأتيته ، فضربت يده ، فقطعتها ، واعتنقني بيده الأخرى ، فو الله ما أرسلني حتى وجدت ريح الدم - ويروى : ريح الموت ، فيما قال ابن هشام : وكاد يقتلني ، فلولاً أن الدم نزفه (٤) لقتلني ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضني عنه (٥) القتال ، ومر به رجل من أهل مكة فسلبه ، فلما وضعت الحرب أوزارها (٦) وفرغنا من القوم ، قال رسول الله ﷺ : من قتل قتيلا فله سلبه فقلت : يا رسول الله ، والله

(١) محاج . اسم فارس مالك بن عوف .

(٢) أحرألت : ارتفعت . ورمز جماعات . وأحرألت الإبل : أى احتجعت ثم ارتفعت عن متن من الأرض (لسان ص ١٥٠ ح ٢١) .

(٣) يكل فيها البصر : يعيا عن إدراك نهايتها لكثرة عددها . والسبر : جمع سبار ، وهو القتل يسر به الحرح . وتقذى يقال : قذت العين تقذى (من باب رمى) قذيا وقذيانا : قذعت بالعص والرمص . ومعنى قذى بالسبر : تقذف بها لكثرة ما يدهق منها من دم ورحوه .

(٤) نزفه الدم . سال منه حتى أصعبه ، فأشرف على الموت .

(٥) أجهضني عنه القتال : نعلني وضيق عليّ وعلبي . وأجهضني : إذا علك على الشيء (لسان العرب ص ١٣٢ ح ٧) .

(٦) أوزار الحرب ، أفعالها وآلاتها . وهى استعارة (لسان العرب ص ٢٨٢ ح ٥) .

لقد قَتَلْتُ قَتِيلًا ذَا سَلَبٍ ، فَأُجْهَضُنِي عَنْهُ الْقِتَالُ فَمَا أُدْرِي مَنْ اسْتَلَبَهُ ؟ فقال رجل من أهل مكة : صدق يارسول الله ، وسَلَبُ ذلك القَتِيلِ عِنْدِي ، فَأَرْضِيهِ عَنِّي مِنْ سَلَبِهِ ، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا والله ، لا يرضيه منه ، تَعْمِدْ إِلَى أَسَدٍ مِنْ أَسَدِ اللَّهِ ، يَقَاتِلْ عَن دِينِ اللَّهِ تَقَاسِمَهُ سَلَبَهُ ! اَرِدْ عَلَيْهِ سَلَبَ قَتِيلِهِ ، فقال رسول الله ﷺ صدق يردد عليه سَلَبَهُ . فقال أبو قتادة : فَأَخَذْتَهُ مِنْهُ ، فَبِعْتَهُ ، فاشتريت بثمنه مَخْرَفًا (١) ، فانه لأَوَّلُ مَالٍ اعْتَقَدْتُهُ (٢) .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لآأتهم ، عن أبي سلمة ، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلا .

نصرة الملائكة :

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، (أنه حدث) عن جبير بن مطعم ، قال : لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد (٣) الأسود ، أقبل من السجاد حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مَبْثُوثٌ (٤) قد ملأ الوادي ، لم أشك أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم .

هزيمة المشركين :

قال ابن إسحاق : ولما هزم الله المشركين من أهل حنين ، وأمكن رسوله ﷺ منهم ، قالت امرأة من المسلمين .

قد غلبت خَيْلُ اللَّهِ خَيْلَ اللَّاتِ وَاللَّهُ أَحَقُّ بِاللَّاتِ

(١) المغرب : نحلة واحدة أو بحلات يسيرة إلى عشرة ، فلما ما فرق ذلك فهو بستان أو حديقة . (انظر السهيلي) . وقيل هي الجماعة من النخل ما بلغت (لسان العرب ص ٦٤ ج ٩)
(٢) اعتقته : يقال : اعتقت مالى : أى اتخذت منه عقدة ، كما نقول : نذة أو قطعة والأصل فيه من العقد ، وأن من ملك شيئاً عقد عليه .

(٣) البجاد : اللكواء . أراد الملائكة الذين أيدهم الله بهم (لسان العرب ص ٧٧ ج ٣) .

(٤) مَبْثُوثٌ : متعرق ، يعنى رآه يبرل من السماء .

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوازن استَحَرَّ (١) القتل من ثَقِيف في بنى مالك ، فُقُتِلَ منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله ابن ربيعة بن الحارث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخمار (٢) ، فلما قُتِلَ أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قُتِلَ .

قال ابن إسحاق : وأخبرني عامر بن وهب بن الأسود ، قال لَمَّا بلغ رسول الله ﷺ قتلُه ، قال : أبعدَه الله ، فانه كان يُبْغِضُ قُرَيْشًا .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المُغيرة بن الأخنس : أنه قُتِلَ مع عثمان بن عبد الله غلامٌ له نصرانيٌّ أُغْرِلَ (٣) ، قال فبينما رجل من الأنصار يسْلُبُ قَتْلَى ثَقِيف ، إذ كشف العبدَ يسْلُبُه ، فوجده أُغْرِلَ . قال : فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب : يعلم الله أن ثَقِيفًا غُرِلَ . قال : المُغيرة بن شُعْبة : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلْتُ : لاتقل ذاك ، فذاك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانيٌّ . قال : ثم جعلت أكشف له عن القَتْلَى ، وأقول له : ألا تراهم مختننين كما ترى .

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يُقْتَلْ من الأحلاف غيرُ رجلين : رجل من غيرة ، يقال له وهب ، وآخر من بنى كُتْبة ، يقال له الجُلاح ، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجُلاح : قُتِلَ اليوم سيدُ شباب ثَقِيف ، إلا ماكان من ابن هنيذة ، يعنى بابن هُنيذة الحارث بن أويس .

مقتل دريد بن الصمة :

قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون ، أتوا الطائف ومعهم مالك

(١) استحر : اشتد وكثر ، وهو استعمل من الحرِّ والثَّوْدَةِ . (لسان العرب ص ١٧٩ ج ٤) .

(٢) ذو الخمار : عوف بن الربيع .

(٣) الأعرل . هو الذى ليس بمحتن . والغرلة : هى الحلدة التى يقطعها الحائض .

ابن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجّه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

فأدرك ربيعة بين رُفيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سَمَّك بن عوف بن امرئ القيس ، وكان يقال له ابن الدُّغْنَة وهي أمه ، فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لُدْعَة فيما قال ابن هشام - دُرَيْد بن الصِّمَّة ، فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه في شجار له ، فاذا برجل ، فأناخ به ، فاذا شيخ كبير ، وإذا هو دُرَيْد بن الصِّمَّة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دُرَيْد : ماذا تريد بي ؟ قال : أَقْتَلُكَ . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة ابن رُفيع السُّلَمي ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يُغْن شيئا ، فقال : بُئس ما سَلَّحْتُكَ أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخَّر الرجل ، وكان الرجل في الشُّجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فاني كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أثبتت أمك فأخبرها أنك قُلت دُرَيْد بن الصِّمَّة ، فُرب والله يوم قد منعتُ فيه نساءك . فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوق تكشَّف ، فإذا عجائه (١) ويطون فخذه مثل القِرطاس ، من ركوب الخيل أعراء (٢) ؛ فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا .

مقتل أبي عامر الأشعري :

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قبيل أوطاس أبا عامر الأشعري ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ،

(١) عجابة : ما بين فرحيه . وعجل المرأة : الودة التي بين قلبها وثعلبتها (اللسان من ٢٧٨ ح ١٣) .

(٢) أعراء : جمع عرى (بورر قتل) وهو الفرس الذي لا سرح له .

فناوشوه (١) القتال فرمى أبو عامر بسهم فقتل ؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعرى ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ، ففتح الله على يديه وهزمهم - فيزعمون أن سلمة بن ذرير هو الذى رمى أبا عامر الأشعرى بسهم ، فأصاب ركبته ، فقتله ، فقال :

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَأَنِّي سَلَمَةٌ ابْنُ سَمَادِيرَ لَمَنْ تَوَسَّمَهُ (٢)
أَضْرَبُ بِالسَّيْفِ رُؤُوسَ الْمُسْلِمَةِ

واستحر القتال من بنى نصر فى بنى رثاب ، فزعموا أن عبد الله بن قيس - وهو الذى يُقال له ابن العوزاء ، وهو أحد بنى وهب بن رثاب - قال : يارسول الله ، هلكت بنو رثاب . فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : اللهم اجبر مصيبتهم .

وصية مالك بن عوف لقومه ولقاء الزبير لهم :

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف فى فوارس من قومه ، على ثنية (٣) من الطريق ، وقال لأصحابه : ففوا حتى تمضي ضعاؤكم ، وتلحق أخراكم . فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس .

قال ابن هشام : وبلغنى أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ فقالوا : نرى قوما واضعى رماحهم بين آذان خيلهم ، طويلة بوادهم (٤) ؛ فقال : هؤلاء بنو سليم ، ولابأس عليكم منهم ؛ فلما أقبلوا سلخوا بطن الوادى . ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ؛ فقال

(١) يُقال : تناوش القوم فى القتال : إذا تناول بعضهم بعضا بالرمح ، ولم يتدأوا كل التدانى .

(٢) توسمه : استدل عليه ونظر فيه .

(٣) الثنية : موضع مرتفع بين حبلين .

(٤) الواد جمع الداد ، وهربا طى المجد

لأصحابه : ماذا تَرَوْنَ ؟ قالوا : نرى قوما عارضى (١) رماحهم ،
أغفالا (٢) على خيلهم ؛ فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولأبأس عليكم
منهم . فلما أَتَهُوا إلى أصل الثَّنيَّة سَلَكَوا طريق بنى سُلَيْم . ثم طلع فارس ؛
فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْنَ ؟ قالوا : نرى فارسا طويلا الباء (٣) ، واضعا
رمحه على عاتقه (٤) ، عاصبا رأسه بملاءة (٥) حمراء فقال هذا الزُّبير بن
العوَّام وأحلف باللَّات ليخالطنَّكم ، فاثبتوا له . فلما انتهى الزُّبير إلى أصل
الثَّنيَّة أبصر القوم ، فصمَّد لهم (٦) ، فلم يزل يُطاعِنهم حتى أراحهم (٧)
عنها .

بقية حديث مقتل أبي عامر :

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم بالشعر ، وحديثه :
أن عامر الأشعريّ لقي يوم أوطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه
أحدهم ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد
عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر ، وهو
يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر : ثم جعلوا
يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك ، حتى قتل
تسعة ، وبقي العاشر ، فحمل على أبي عامر ، وحمل عليه أبو عامر ، وهو
يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ؛ فقال الرجل : اللهم لاتشهد
عليّ ، فكفَّ عنه أبو عامر ، فأفلت ؛ ثم أسلم بعدُ فحسُن إسلامه . فكان
رسولُ الله ﷺ إذا رآه قال : هذا شريدُ أبي عامر . ورمى أبا عامر أخوان :
العلاء وأوفى ابنا الحارث ، من بنى جُشم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه ،

(١) عارضى رماحهم : أى واصعبها بالعرض وهو كناية عن عدم منالاتهم أعدائهم .

(٢) أغفالا : جمع غفل ، وهو الذى لا علامة له . يريد أنهم لم يعلموا أنهم نسيهم يعرفون به .

(٣) البواد : جمع الباد ، وهو ناطق الفهد .

(٤) العاتق : ما بين المنكب والعنق ، منكر وقد أنثت وليس نثنت (لسان العرب ص ٢٣٨ ح ١٠) .

(٥) الملاءة الملحمة صغيرة كانت أو كبيرة .

(٦) صمَّد : قصد . (لسان العرب ص ٢٥٨ ح ٣) .

(٧) أراحهم عنها : أزالهم عنها ونحاهم .

والآخر ركبته ، فقتلاه . وولّى الناس أبو موسى الأشعري فحمل عليهما
فقتلها ؛

نهى الرسول عن قتل الضعفاء :

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا : أن رسول الله ﷺ مرّ
يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس مُتَقَصِّفُونَ (١) عليها فقال
ما هذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ؛ فقال رسول الله ﷺ لبعض من
معه : أدرك خالدًا ، فقل له : إن رسول الله ينهك أن تقتل وليدًا أو امرأة
أو عسيفا (٢) .

شأن بجاد والشيماء :

قال ابن إسحاق ، وحدثني بعض بنى سعد بن بكر : أن رسول الله
ﷺ قال يومئذ : إن قُدرتم على بجادٍ ، رجل من بنى سعد بن بكر ، يَفْلِتُكُمْ ،
وكان قد أحدث حَدَثًا ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله وساقوا معه
الشَّيمَاءَ ، بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة ،
فَعَفُّوا عليها في السَّيَاق ؛ فقالت للمسلمين : تعلّموا والله أنى لأخت صاحبكم
من الرضاعة ؛ فلم يصدّقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن عبيد السعدي ، قال : فلما انتهى
بها إلى رسول الله ﷺ ، قالت : يا رسول الله ، إنى أختك من الرضاعة
قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عَصَّةٌ عَضَضْتُنيها في ظهري وأنا مُتَوَرِّكْتُكَ
قال : فعرف رسول الله ﷺ العلامة ، فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه
وخبرها ، وقال : إن أحببتِ فعندى مُحَبَّةٌ مُكْرَمَةٌ ، وإن أحببتِ أن
أُمتَّعَكَ (٤) وترجعي إلى قومك فعلتُ ؛ فقالت : بل تَمَتُّعُنِي وتردُنِي إلى

(١) مردحمون منقصون . ويروى : منقصون (بالنون) وهو نعباه .

(٢) الأخير ، والعدد المستعان به .

(٣) متوركك : حاملتك على وركي .

(٤) أمتعك : أى أعطيك ما يكون به الإمتاع ، أى الانتعاع

قَوْمِي فَمَتَّعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَرَدَّهَا إِلَى قَوْمِهَا . فَرَعَمَتْ بَنُو سَعْدِ أَنَّهُ
أَعْطَاهَا غُلَامًا لَهُ يُقَالُ لَهُ مَكْحُولٌ ، وَجَارِيَةٌ ، فَزَوَّجَتْ أَحَدَهُمَا الْآخَرَى ، فَلَمْ
يَزَلْ فِيهِمْ مِنْ نَسْلِهِمَا بَقِيَّةٌ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ : « لَقَدْ تَصَرَّكُمُ
اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ » ، إِلَى قَوْلِهِ « وَذَلِكَ
جَزَاءُ الْكَافِرِينَ » (١) .

تسمية من استشهد يوم حنين :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَهَذِهِ تِسْمِيَةٌ مِنْ اسْتِشْهَادِ يَوْمِ حُنَيْنٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .
مِنْ قَرِيشٍ ثُمَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ : أَيْمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ .

وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى : يَزِيدُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسَدِ بْنِ الْمُطَّلَبِ
ابْنِ أَسَدٍ ، جَمَحٌ بِهِ فَرَسٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ الْجَنَاحُ ، فَقُتِلَ .

وَمِنْ الْأَنْصَارِ : سُرَاقَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَدَى ، مِنْ بَنِي الْعَجْلَانِ .
وَمِنْ الْأَشْعَرِيِّينَ : أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ .

جمع سبايا حنين :

ثُمَّ جُمِعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبَايَا حُنَيْنٍ وَأَمْوَالُهَا ، وَكَانَ عَلَى
الْمَغَانِمِ مَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو الْغَفَارِيِّ ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالسَّبَايَا وَالْأَمْوَالِ
إِلَى الْجَعْرَانَةِ ، فَحُبِسَتْ بِهَا .

من شعر بجير يوم حنين :

وَقَالَ بُجَيْرُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ :

وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا وَأَظْهَرَ دِينَنَا وَأَعَزَّنَا بَعِيدَةَ الرَّحْمَنِ
وَاللَّهُ أَهْلَكَهُمْ وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ وَأَذَلَّهُمْ بَعِيدَةَ الشَّيْطَانِ

(١) سورة التوبة آيتي ٢٥ ، ٢٦ .

ذكر غزوة الطائف بعد حنين

فى سنة ثمان

ولما قَدِمَ فل^(١) ثَقِيفَ الطائِفِ أَغْلَقُوا عَلَيْهِم أَبْوَابَ مَدِينَتِهَا ، وَصَنَعُوا الصَّنَائِعَ الْفَعَال .

ولم يشهد حُنَيْنًا وَلَا حِصَارَ الطَّائِفِ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُود ، وَلَا غَيْدَنُ بْنُ سَلَمَةَ ، كَانَا بِجَرْشٍ^(٢) يَتَعَلَّمَانِ صِنْعَةَ الدَّبَابَاتِ^(٣) وَالْمَجَانِيقِ^(٤) وَالضُّبُورِ^(٥) .

مسير الرسول إلى الطائف وشعر كعب :

ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنين .

قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله ﷺ على نُخْلَةِ الْيَمَانِيَّةِ ، ثم على قَرْنٍ ، ثم على الْمُلَيْحِ ، ثم على بُحْرَةِ الرِّغَاءِ مِنْ لِيَةِ^(٦) ، فابتنى بها مسجداً فصلَّى فيه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب : أنه أقاد يومئذ ببُحْرَةِ الرِّغَاءِ ، حين نزلها ، بدم ، وهو أول دم أُقِيدَ به فى الإسلام ، رَجَلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ هُذَيْلٍ ، فَقَتَلَهُ بِهِ ؛ وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ بِلِيَةِ ، بِحَصْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ فَهَدِمَ ، ثُمَّ سَلَكَ فِي طَرِيقٍ يُقَالُ لَهَا الضَّيِّقَةُ ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ عَنْ اسْمِهَا ، فَقَالَ : مَا اسْمُ هَذِهِ الطَّرِيقِ ؟ فَقِيلَ لَهُ الضَّيِّقَةُ ، فَقَالَ : بَلْ هِيَ الْيُسْرَى ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا عَلَى نَخْبٍ ، حَتَّى نَزَلَ تَحْتَ سِدْرَةٍ يُقَالُ لَهَا الصَّادِرَةُ ، قَرِيبًا مِنْ مَالِ رَجُلٍ مِنْ

(١) الفل . الجماعة المنهزمون من الجيش .

(٢) حرش : من محاليف اليمن من جهة مكة .

(٣) قال السهيلي : الدبابة آلة من آلات الحرب .

(٤) المجانيق : جمع منجنيق (يفتح الميم وكسرهما) ، وهى من آلات الحصار يرمى بها الحجارة الثقيلة وبحوها .

(٥) الضبور : مثل رعويس الأسفاط ، يتقى بها فى الحرب عند الانصراف .

(٦) قرن ، ومليح ، وبحرة الرغاء ، ولية : مواضع بالطائف .

ثَقِيف ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِمَّا أَنْ تَخْرُجَ ، وَإِمَّا أَنْ تُخْرِبَ عَلَيْكَ حَائِطُكَ ؛ فَأَبَى أَنْ يَخْرُجَ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِإِخْرَاجِهِ .

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ قَرِيبًا مِنَ الطَّائِفِ ، فَضْرَبَ بِهِ عَسْكَرَهُ ، فَقُتِلَ بِهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّبْلِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَسْكَرَ اقْتَرَبَ مِنْ حَائِطِ الطَّائِفِ ، فَكَانَتِ النَّبْلُ تَنَالُهُمْ ، وَلَمْ يَقْدِرِ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنْ يَدْخُلُوا حَائِطَهُمْ ، أَغْلَقُوهُ دُونَهُمْ ؛ فَلَمَّا أُصِيبَ أَوْلَئِكَ النَّفَرُ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّبْلِ وَضَعَ عَسْكَرَهُ عِنْدَ مَسْجِدِهِ الَّذِي بِالطَّائِفِ الْيَوْمَ ، فَحَاصَرَهُمْ بِضْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَمَعَهُ امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِ ، إِحْدَاهُمَا أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ ، فَضْرَبَ لَهَا قُبَّتَيْنِ ، ثُمَّ صَلَّى بَيْنَ الْقُبَّتَيْنِ . ثُمَّ أَقَامَ ، فَلَمَّا أَسْلَمَتْ ثَقِيفَ بَنَى عَلَى مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ وَهَبٍ بْنُ مُعْتَبٍ ابْنِ مَالِكٍ مَسْجِدًا ، وَكَانَتْ فِي ذَلِكَ الْمَسْجِدِ سَارِيَّةٌ ، فِيمَا يَزْعُمُونَ ، لَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ عَلَيْهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا سُمِعَ لَهَا نَقِيزٌ^(١) ، فَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَتَرَامَوْا بِالنَّبْلِ .

الرَّسُولُ أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِالْمُنْجَنِيقِ :

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَرَمَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمُنْجَنِيقِ . حَدَّثَنِي مَنْ أَتَى بِهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوَّلُ مَنْ رَمَى فِي الْإِسْلَامِ بِالْمُنْجَنِيقِ ، رَمَى أَهْلَ الطَّائِفِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الشُّدْحَةِ^(٢) عِنْدَ جِدَارِ الطَّائِفِ ، دَخَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ دَبَابَّةٍ ، ثُمَّ زَحَفُوا بِهَا إِلَى جِدَارِ الطَّائِفِ لِيَخْرِقُوهُ ، فَأَرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ ثَقِيفُ سِكَكِ الْحَدِيدِ مُحَمَّةً بِالنَّارِ ، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِهَا ، فَرَمَتَهُمْ ثَقِيفُ بِالنَّبْلِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ رِجَالًا ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَطْعِ أَعْنَابِ ثَقِيفَ ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِيهَا يَقْطَعُونَ .

(١) النَقِيزُ : الصَوْتُ .

(٢) الشُّدْحُ : الْكُسْرَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ رَطْبٌ ؛ وَقِيلَ : هُوَ التَّهْشِيمُ يَعْنِي بِهِ كَسْرُ الْيَاسِ وَكُلُّ أَجُوفٍ . (لِسَانُ الْعَرَبِ) .

المفاوضة مع ثقيف :

وتقدّم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف ، فنادى
بإثقيفا : أن أمثونا حتى نكلّمكم فأمنوهما ، فدعوا نساء من نساء قريش وبنى
كنانة ليخرجن إليهما ، وهما يخافان عليهن السبأ ، فأبين ، منهن آمنة بنت
أبي سفيان ، كانت عند عروة بن مسعود ، له منها داود بن عروة .

قال ابن هشام : ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبي سفيان ، وكانت
عند أبي مرة بن عروة بن مسعود ، فولدت له داود بن أبي مرة .

قال ابن إسحاق : والفراسيّة بنت سويد بن عمرو بن ثعلبة ، لها
عبد الرحمن بن قارب ، والفقيميّة أُميمة بنت الناسي أُميّة بن قلع ؛ فلما
أبين عليهما ، قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سفيان ويا مغيرة ،
ألا أدلكما على خير مما جئتما له ، إن مال بنى الأسود بن مسعود حيث قد
علمتما ، وكان رسول الله ﷺ بينه وبين الطائف ، نازلا بوادٍ يقال له
العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبعد رشاء ، ولا أشد مؤنة ، ولا أبعد عمارة
من مال بنى الأسود ، وإن محمداً إن قطعه لم يُعمر أبداً ، فكلماه فليأخذ
لنفسه ، أو ليدع الله والرحم ، فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يُجهل ؛
فزعموا أن رسول الله ﷺ تركه لهم .

رؤيا الرسول وتفسير أبي بكر لها :

وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق وهو محاصر
ثقيفا : يا أبا بكر : إني رأيت أني أهديت لى قعبّة^(١) مملوءة زبداً ، فنقرها
ديك ، فهراق^(٢) ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظن أن تُذرك منهم يومك هذا
ما تريد . فقال رسول الله ﷺ : وأنا لا أرى ذلك .

(١) القعبّة - القدح الصحم الغليظ الجافى ، وقيل : قدح من خشب مقعر (اللسان ص ٦٨٣ ح ١)
(٢) هراق : هراق الماء بهريقه ، يفتح الهاء ، هراقة أى صنه ، وأصل هراق أراق يريق إراقة (لسان العرب
ص ٣٦٦ ح ١٠) .

ارتحال المسلمين وسبب ذلك :

ثم إنَّ خُوَيْلَةَ بنتَ حَكِيم بنِ أُمَيَّةَ بنِ حَارِثَةَ بنِ الْأَوْقَصِ السُّلَمِيَّةِ ، وهى امرأةُ عَثْمَانَ ، قالت : يا رسولَ الله ، أعطنى إنَّ فتحَ اللهَ عليكِ الطَّائِفَ حُلًى بادِيَةِ بَنَتِ غِيلَانَ بنِ مِظْعُونِ بنِ سَلَمَةَ ، أو حُلًى الْفَارَعَةِ بنتِ عَقِيلٍ ، وكانتا من أحلى نساءِ ثَقِيفٍ .

فذكر لى أن رسول الله ﷺ قال لها : وإن كان لم يؤذن لى فى ثَقِيفٍ يا خُوَيْلَةَ ؟ فخرجت خُوَيْلَةَ ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله ﷺ ، فقال (يا رسول الله) : ما حديثُ حَدَّثْتَنِيهِ خُوَيْلَةَ ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ؛ قال : أو ما أُوذِنَ لك فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أُذِنَ بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذنَ عُمَرُ بالرحيل .

فلما استقل الناسُ نادى سعيد بن عُبَيْد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج : ألا إنَّ الحىَ مقيم . قال : يقول عُبَيْنَةُ بن حصن : أجل ، والله مَجْدَةٌ^(١) ! كراما ؛ فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عُبَيْنَةُ ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ ، وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ ! فقال : إني والله ما جئت لأقاتل ثَقِيفًا معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب من ثَقِيفٍ جاريةً أَتَطَّئُهَا ، لعلها تلد لى رجلا ، فإن ثَقِيفًا قوم مَنَّاكِير^(٢) .

ونزل على رسول الله ﷺ فى إقامته ممن كان محاصرًا بالطائف عبيدٌ ، فأسلموا ، فأعتقهم رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مُكَّم ، عن رجال من ثَقِيفٍ ، قالوا : لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم فى أولئك العبيد ، فقال رسول الله ﷺ : لا ، أولئك عتقاء الله ؛ وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كَلْدَةَ .

(١) محدّة : المجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفى (اللسان ص ٣٩٥ ج ٣) .

(٢) مَنَّاكِير : دواء دهاء وفطنة (لسان العرب ص ٢٣٢ ج ٥) .

قال ابن هشام : وقد سَمِيَ ابن إسحاقَ من نزل من أولئك العبيد .

إطلاق أبي بن مالك من يد مروان: وشعر

قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلاً لمروانَ بن قيس الدؤسي ، وكان قد أسلم ، وظاهرَ رسولَ الله ﷺ على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذي تزعم به ثقيف أنها من قيس : أن رسول الله ﷺ . قال لمروان بن قيس : خذ يا مروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه ، فلقى أبي ابن مالك القُشَيْرِي ، فأخذه حتى يودّوا إليه أهله ، فقام في ذلك الضحاك بن سُفيان الكلابي ، فكلّم ثقيفاً حتى أرسلوا أهل مروان ، وأطلق لهم أبي بن مالك .

شهداء المسلمين يوم الطائف :

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ يوم الطائف .

من قريش :

من قُريش ، ثم من بنى أمية بن عبد شمس : سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وعُرفطة بن جَنَاب ، حليف لهم ، من الأسد بن العوث . قال ابن هشام : ويقال : ابن حُباب .

قال ابن إسحاق : ومن بنى نِئْم بن مُرة : عبد الله بن أبي بكر الصديق ، رُمى بسهم ، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ . ومن بنى مخزوم : عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، من رمية رُميها يومئذ .

ومن بنى عدى بن كعب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم . ومن بنى سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قيس بن عدى ، وأخوه عبد الله بن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جُلَيْحَة بن عبد الله .

من الأنصار :

واستشهد من الأنصار : من بنى سلمة : ثابت بن الجذع .
ومن بنى مازن بن النجار : الحارث بن سهل بن أبي صعصعة .
ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .
ومن الأوس : رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان بن معاوية .
فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث .

أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

وإنعام رسول الله ﷺ فيها

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا^(١) حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس ، ومعه من هوازن سبئي كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يا رسول الله ، ادع عليهم ؛ فقال رسول الله ﷺ : اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وَأَتِ بِهِمْ .

ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله ﷺ من سبئي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ، ومن الأبل والشاء ما لا يُنْزَى ما عِدَّتْهُ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو : أن وفد هوازن أتوا رسول الله ﷺ وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فأمّن علينا ، من الله عليك . قال : وقام رجل من هوازن ، ثم أخذ

(١) دحنا (بالفتح ، ويرى مقصورا وممدودا) : من محاليف الطائف .

بنى سعد بن بكر ، يُقال له زهير ، يكنى أبا صُرد ، فقال : يا رسول الله ، إنما فى الحظائر^(١) عَمَّاتُك وخالاتُك وحواضنُك^(٢) اللاتى كنَّ يكفُلُنك ، ولو أَنَّا مَلَحْنَا^(٣) للحارث بن أبى شمر ، أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته^(٤) علينا ، وأنت خير المكفولين .

قال ابن هشام : ويروى ولو أَنَا ملحن الحارث بن أبى شمر ، أو النُّعمان ابن المنذر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ : أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يا رسول الله ، خَيْرَتَنَا بين أموالنا وأحسابنا ، بل تَرُدُّ إلينا نساءَنَا وأبناءَنَا ، فهو أحبُّ إلينا ؛ فقال لهم : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا ما أَنَا صُلَّيت الظهر بالناس ، فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيك عند ذلك ، وأسأل لكم ؛ فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر ، قاموا فتكلّموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله ﷺ : وأما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة بن حصن : أما أنا وبنو قُرَازة فلا . وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سُلَيم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ .

(١) الحظائر : جمع حظيرة ، وهى الدرب الذى يصنع للإبل والعنم ليكهما ، وكان السلى فى حظائر مثلها (اللسان ص ٢٠٣ ح ٤) .

(٢) حواضنك : يعنى اللاتى أَرْضعن النبى ﷺ ، وقد كانت حاضنته من بنى سعد بن بكر ، من هوارن ، وكانت طنرا له .

(٣) ملحن : أَرْضعنا . والملح : الرضاع . والحارث بن أبى شمر العسائى ملك الشام من العرب والنعمان بن المنذر ملك العراق من العرب . والمخالعة : المراضعة (اللسان ص ٦٠٥ ج ٢) .

(٤) عائدته : فضله .

قال : يقول عباس بن مرداس لبنى سليم : وَهَنْتُمُونِي (١) .

فقال رسول الله ﷺ : أَمَا مِنْ تَمَسَّكَ مِنْكُمْ بِحَقِّهِ مِنْ هَذَا السَّبْيِ فَلَهُ
بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَاثِضٍ ، مِنْ أَوَّلِ سَبْيِ أَصِيبِهِ ، فَرُدُّوا إِلَى النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ
وَنِسَاءَهُمْ .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو وَجْزَةَ يَزِيدُ بْنُ عُبَيْدِ السَّعْدِيِّ : أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَارِيَةً ، يُقَالُ لَهَا
رَيْطَةُ بِنْتِ هِلَالِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ عُمَيْرَةَ بْنِ هِلَالِ بْنِ نَاصِرَةَ بْنِ قُصَيَّةَ (٢)
ابن نصر بن سعد بن بكر ، وَأَعْطَى عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ جَارِيَةً ، يُقَالُ لَهَا زَيْنَبُ
بِنْتُ حَيَّانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَيَّانَ ، وَأَعْطَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ جَارِيَةً ، فَوَهَبَهَا
لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ابْنِهِ .

قال ابن إسحاق : فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله
ابن عمر ، قال : بَعَثْتُ بِهَا إِلَى أَخْوَالِي مِنْ بَنِي جُمَحَ ، لِيُصَلِّحُوا لِي مِنْهَا ،
وَيَهَيِّئُوهَا ، حَتَّى أَطُوفَ بِالْبَيْتِ ، ثُمَّ آتِيهِمْ ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَصِيبَهَا إِذَا رَجَعْتُ
إِلَيْهَا . قال : فَخَرَجْتُ مِنَ الْمَسْجِدِ حِينَ فَرَعْتُ ، فَإِذَا النَّاسُ يَشْتَتُونَ ؛
فَقُلْتُ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : رَدَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا ؛ فَقُلْتُ :
تَلَكُمُ صَاحِبَتُكُمْ فِي بَنِي جُمَحَ ، فَادْهَبُوا فَخَنُوهَا ، فَذَهَبُوا إِلَيْهَا ، فَأَخَنُوهَا .

قال ابن إسحاق : وَأَمَّا عَيْنَةُ بْنُ حَصِينٍ ، فَأَخَذَ عَجُوزًا مِنْ عَجَائِزِ
هُوَازِرَ ، وَقَالَ حِينَ أَخَذَهَا : أَرَى عَجُوزًا إِنِّي لِأَحْسِبُ لَهَا فِي الْحَيِّ نِسْبًا ،
وَعَسَى أَنْ يَعْظُمَ فِدَاؤُهَا . فَلَمَّا رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّبَايَا بِسِتِّ فَرَاثِضٍ ،
أَبَى أَنْ يَرُدَّهَا ، فَقَالَ لَهُ زُهَيْرُ أَبُو صَرْدٍ : خُذْهَا عَنْكَ ، فَوَاللَّهِ مَا قُوها بِبَارِدٍ ،

(١) وَهَنْتُمُونِي . أَصْعَفْتُمُونِي .

(٢) قِصَّةٌ • يَرَوِي نَفِثُ الْقَافِ وَصَمْعُهَا ؛ وَرَوَاهُ ابْنُ دَرِيدٍ نَعَاءَ مَضْمُومَةٍ .

ولا تديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد^(١) ، ولا ترها بماكد^(٢) . فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال ؛ فزعموا أن عيينة لقي الأقرع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتها بيضاء غريرة^(٣) ، ولا نَصفا وثيرة^(٤) .

إسلام مالك بن عوف النصرى :

وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ؛ فقال رسول الله ﷺ : أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلما رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مئة من الإبل ؛ فأتى مالك بذلك ، فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال له ما قال ، فيحبسوه ، فأمر براحلته فهينت له ، وأمر بفرس له ، فأتى به إلى الطائف ، فخرج ليلا ، فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس ، فركبها ، فلحق برسول الله ﷺ ، فأدركه بالجعرانة أو بمكة ، فردّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مئة من الإبل ، وأسلم فحسن إسلامه ؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيت ولا سمعتُ بمثله فى النَّاسِ كُلِّهِم بِمَثَلِ مُحَمَّدٍ
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتذى ومَتى تشأ يُخْبِرُكَ عما فى غد
وإذا الكتيبة عرّدت أنيابها بالسّمهرى وضرب كل مُهنّد^(٥)

(١) بواحد : أى بحرين ، يريد أن زوجها لا يحزن عليها ، لأنها عجز . (اللسان ص ٤٤٦ ح ٣) .

(٢) الدر : اللس . والمأكد : العرير . وماء مأكد أى دائم (اللسان ص ٤٤١ ح ٣) .

(٣) الغريرة : المتوسطة فى السن من النساء والعرير : الشاب الذى لا تجربة له . (اللسان ص ١٦ ح ٥) .

(٤) الوثيرة من النساء : الممينة اللبية .

(٥) عرّدت أنيابها : قويت واشتدت وكل شىء شديد منتصب فهو عرد (اللسان ص ٢٨٧ ح ٣) والسّمهرى :

الرمح . والمهنّد : السيف .

فَكَائُهُ لَيْتَ عَلَى أَشْبَالِهِ وَسَطَ الْهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرْصَدٍ^(١)

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ؛
وتلك القبائل : ثَمَالَةٌ ، وَسَلْمَةٌ^(٢) ، وَفَهْمٌ ، فكان يُقاتل بهم ثقيفا ، لا يخرج
لهم سَرْحٌ إلا أغار عليه ، حتى ضَيَّقَ عليهم .

تقسيم الفيء :

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله ﷺ من ردّ سبايا حُنين إلى
أهلها ، ركب ، واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقسم علينا فَيُنَّا من
الإبل والغنم ، حتى أَلْجَوْهُ إلى شجرة ، فاخترقت عنه رداءه ، فقال : أدُّوا
على ردائي أَيُّهَا النَّاسُ ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تِهَامَةٍ نَعْمًا لقسمته
عليكم ، ثم ما أَلْفَيْتُمُونِي بخيلا ولا جبانًا ولا كَذَابًا ، ثم قام إلى جنب بعير ،
فأخذ وَبَرَةً من سَنَامِهِ ، فجعلها بين أَصْبَعَيْهِ ، ثم رفعها ، ثم قال : أَيُّهَا
النَّاسُ ، والله مَالِي من فَيِّكُمْ ولا هذه الوبرة إلا الخُمُسُ ، والخُمُسُ مردود
عليكم . فأدُّوا الخِيَاطَ والمَخْطُوطَ^(٣) ، فَإِنَّ الْعُلُولَ^(٤) يكون على أهله عارًا
ونارًا وشنارًا^(٥) يوم القيامة . قال : فجاء رجل من الأنصار بِكُبَّةٍ من خُيوط
شعر ، فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه الكُبَّةَ أَعْمَلُ بها بَرْدَةً بِعِيرٍ لِي
دَيْرٍ ؛ فقال : أما نصيبى منها فلك ! قال : أَمَا إِذْ بَلَغْتَ هذا فلا حاجة لِي
بها ، ثم طَرَحَهَا من يده .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن عَقِيلَ بن
أَبِي طَالِبٍ دخل يوم حُنين على امرأته فاطمة بنت شَيْبَةَ بن ربيعة ، وسيفه

(١) الهباءة : العبار يثور عند اشتداد الحرب . والحادر : الأسد في عريه ، وهو حينئذ أشد ما يكون نأسا لخوفه
على أشباليه ، يصفه بالقوة . والمرصد : المكان يرقب منه ، يصفه باليقظة .

(٢) قال السهيلي : هـ هكذا تفيد في النسخة (بكسر اللام) ؛ والمعروف في مقاتل قيس سلمة (بالفتح) . إلا أن
يكونوا من الأزد ، فإن ثَمَالَةَ المتكوريين معهم حتى من الأزد ، وفهم من دوس ، وهم من الأزد أيضا .

(٣) الخياط (هنا) : الحيط ؛ والمحيط : الإبرة .

(٤) العلول : الخيانة (لسان العرب ج ١١) .

(٥) الشنار : أقبح العيب والعار (لسان العرب ص ٤٣٠ ج ٤) .

متلّخ دما ، فقالت : إني قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : دونك هذه الإبرة تَخِيطِينَ بها ثيابك ، فدفعها إليها ، فسمعَ مُنادِي رسول الله ﷺ يقول : من أخذ شيئا فليردّه ، حتى الخياط والمُخِيط . فرجع عَقِيل ، فقال : ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت ، فأخذها ، فألقاها في الغنائم .

عطاء المؤلفّة قلوبهم :

قال ابن إسحاق : وأعطى رسول الله ﷺ المؤلفّة قلوبهم ، وكانوا أشرافا من أشراف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان ابن حرب مئة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مئة بعير ، وأعطى حكيم ابن حزام مئة بعير ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كَلْدَة ، أخا بني عبد الدار مئة بعير .

قال ابن هشام : نصير بن الحارث بن كَلْدَة ، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضا .

قال ابن إسحاق : وأعطى الحارث بن هشام مئة بعير ، وأعطى سُهِيل ابن عمرو مئة بعير ، وأعطى حُوَيْطِب بن عبد العزى بن أبى قيس مئة بعير ، وأعطى العلاء بن جارية النّفقى ، حليف بنى زُهرة مئة بعير ، وأعطى عُيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر مئة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مئة بعير . وأعطى مالك بن عوف النّصري مئة بعير ، وأعطى صفوان بن أمية مئة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين .

وأعطى دون المئة رجالا من قُرَيْش ، منهم مَخْرمة بن نوفل الزُّهرى ، وعُمير بن وهب الجُمحى ، وهشام بن عمرو أخو بنى عامر بن لُؤى ، لا أحفظ ما أعطاهم ، وقد عرفت أنها دون المئة ، وأعطى سعيد ابن يربوع بن عَنكِشَة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل ، وأعطى السّهْمى خمسين من الإبل .

قال ابن هشام : واسمه عدّى بن قيس .

شعر ابن مرداس مستقل ما أخذ وإرضاء الرسول له :

قال ابن إسحاق : وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها ، فعاتب فيها رسول الله ﷺ ، فقال عباس بن مرداس يُعاتب رسول الله ﷺ :

كَانَتْ نَهَابًا (١) تَلَا فَيُتُّهَا بَكَرَى عَلَى الْمُهْرِ فِي الْأَجْرَعِ (٢)
وَأَيْقَاطَى الْقَوْمِ أَنْ يَرْفُؤُوا إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعْ (٣)
فَأَصْبَحَ نَهْبَى وَنَهْبُ الْعُبَيْدِ ————— (٤) بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تُنْزَرٍ (٥) فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُمْنَعْ
إِلَّا أَفَائِلَ (٦) أُعْطِيَتْهَا عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الْأَرْبَعِ
وَمَا كَانَ حَصِينٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ شَيْخِي فِي الْمَجْمَعِ (٧)
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِيءَ مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعُ الْيَوْمَ لَا يُزْفَعُ

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله ﷺ : اذهبوا به ، فاقطعوا عني لسانه ، فأعطوه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه الذى أمر به رسول الله ﷺ .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم : أن عباس بن مرداس أتى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : أنت القائل :

« فَأَصْبَحَ نَهْبَى وَنَهْبُ الْعُبَيْدِ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ » ؟

فقال أبو بكر الصديق : بين عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ ؛ فقال رسول الله ﷺ : هما واحد ؛ فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ » .

(١) نهابا : جمع نهب ، وهو ما يهتب ويغنم ؛ يريد الماشية والإبل .

(٢) والأجرع : المكان السهل .

(٣) هجع : نام . وقيل اليوم بالليل خاصة (اللسان ص ٣٦٧ ح ٨) .

(٤) العبيد : اسم فرس عباس بن مرداس .

(٥) ذا تنزراً : ذا دفع عن قومي .

(٦) الأفائل : الصغار من الإبل ، الواحد أفيل . انظر لسان العرب

(٧) شيخى : يعنى أباه مرداسا . ويروى : « شيخى » بتشديد الياء ، يريد أباه وحده . وروى : « يوقان مرداس »

واستشهدوا به على ترك صرف ما ينصرف لصورة الشعر .

توزيع غنائم حنين على المبايعين :

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل العلم في إسناده ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرهم ، فأعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين .

من بنى أمية بن عبد شمس : أبو سفيان بن حرب بن أمية ، وطلح بن سفيان بن أمية ، وخالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية .

ومن بنى عبد الدار بن قصي : شنية بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وأبو السنابل بن بَعَك بن الحارث ابن عُميلة بن السَّبَّاق ابن عبد الدار ، وعكرمة بن عامر بن هشام ابن عبد مناف ابن عبد الدار .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : زهير بن أبي أمية بن المغيرة ، والحارث ابن هشام بن المغيرة ، وخالد بن هشام بن المغيرة ، وهشام بن الوليد ابن المغيرة ، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والسائب ابن أبي السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى عدى بن كعب : مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة ، وأبو جهم بن حنيفة بن غانم .

ومن بنى جمح بن عمرو : صفوان بن أمية بن خلف ، وأحيحة بن أمية ابن خلف ، وعمير بن وهب بن خلف .

ومن بنى سهم : عدى بن قيس بن حذافة .

ومن بنى عامر بن لؤي : حُوَيْطُب بن عبد العزى بن أبي قيس ابن عبد ود هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب .

ومن أفاء القبائل : من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة : نوفل بن معاوية ابن عروة بن صخر بن رزن بن يَعمَر بن ثَفَاة بن عدى بن الدئل .

ومن بنى قَيْس ، ثم من بنى عامر بن صعصعة ، ثم من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة : علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص ابن جعفر بن كلاب ، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب .

ومن بنى عامر بن ربيعة : خالد بن هُوَذَة بن ربيعة بن عمرو بن عامر ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وحرملة بن هُوَذَة بن ربيعة بن عمرو .

ومن بنى نصر بن معاوية : مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع .
ومن بنى سُلَيْم بن منصور : عباس بن مِرْدَاس بن أبى عامر : أخو بنى الحارث بن بُهْثَة بن سُلَيْم .

ومن بنى غطفان ، ثم من بنى فزارة عِيْنَة بن حصن بن حُذَيْفَة بن بدر .
ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة : الأقرع بن حابس بن عقال ، من بنى تميم بن دارم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي : أن قائلًا قال لرسول الله ﷺ من أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت عِيْنَة بن حصن والأقرع بن حابس مئة مئة ، وترك جُعَيْل بن سُراقَة الضمري . فقال رسول الله ﷺ : أما والذي نفس محمد بيده لَجُعَيْل بن سُراقَة خير من طلاع الأرض^(١) ، كُلُّهم مثل عِيْنَة بن حصن والأقرع بن حابس ، ولكني تألفتُهما لئسُما ، ووَكَلْتُ جُعَيْل بن سُراقَة إلى إسلامه .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو عُبَيْدَة بن محمد بن عَمَّار بن ياسر ، عن مقسم أبي القاسم ، مَوْلَى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتَلِيد ابن كلاب اللَّيْثِي ، حتى أَتَيْنَا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت ، معلقا نعلَه بيده ، فقلنا له : هل حَضَرَتْ رسول الله ﷺ حين كلمه التيمي يومَ حُنَيْن ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بنى تميم ، يقال له ذو الخُوَيْصِرَة ، فوقف عليه وهو يعطى الناس ، فقال : يا محمد ، قد رأيتُ

(١) طلاع الأرض : ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل .

ما صنعت في هذا اليوم ؛ فقال رسول الله ﷺ : أجل ، فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت ؛ قال : فغضب النبي ﷺ ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندي ، فعند من يكون ! فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ألا أقتله ؟ فقال لا ، دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين^(١) حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل ، فلا يوجد شيء ، ثم في القذح ، فلا يوجد شيء ، ثم في الفوق ، فلا يوجد شيء ، سبق الفرث والدم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبي عبيدة ، وسماه ذا الخوصرة .

قال ابن هشام : حدثني زياد بن عبد الله ، قال : حدثنا ابن إسحاق : قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا ، في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة^(٢) حتى قال قائلهم : لقد لقي والله رسول الله ﷺ قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ، لما صنعت في هذا الفقيه الذي أصبت ، قسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء . قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي . قال : فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة^(٣) . قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة . قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم . فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار ، فأتاهم رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم

(١) يتعمقون في الدين : يتبعون أفضاه .

(٢) القالة : الكلام الرديء .

(٣) الحظيرة : شبه الدريبة التي تصنع للابل والماتنية لتمنعها ، وتكف عنها العوادي

قال : يا معشر الأنصار : ما قَالَةٌ بلغتني عنكم ، وَجِدَةٌ^(١) وَجَدْتُمُوهَا عَلَى فِي أَنْفُسِكُمْ ؟ أَلَمْ آتِيكُمْ ضُلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ ، وَعَالَةً^(٢) فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ ، وَأَعْدَاءَ فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ! قَالُوا : بلى ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ^(٣) وَأَفْضَلُ . ثُمَّ قَالَ : أَلَا تَجِيبُونَنِي يَا معشر الأنصار ؟ قَالُوا : بِمَاذَا نَجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ الْمَنَ وَالْفَضْلُ . قَالَ ﷺ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقَتِمُ ، فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصَدَقْتُمْ : أَتَيْنَا مُكَذِّبًا فَصَدَّقْنَاكَ ، وَمَخْذُولًا^(٤) فَفَضَرْنَاكَ ، وَطَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ ، وَعَائِلًا فَأَسَيْنَاكَ^(٥) . أَوْجَدْتُمْ يَا معشر الأنصار فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ^(٦) مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا ، وَوَكَلْتُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ ، أَلَا تَرْضَوْنَ يَا معشر الأنصار ، أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ ؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا^(٧) وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا ، لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ . اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ .

قال : فَبَكَى الْقَوْمَ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ^(٨) ، وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قَسْمًا وَحِظًا . ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتَفَرَّقُوا .

-
- (١) كَذَا فِي الْأَصُولِ . قَالَ أَبُو ذَرٍّ : الْمَوْحِدَةُ : الْعَتَابُ ؛ وَيُرْوَى جِدَّةٌ ، وَأَكْثَرُ مَا تَكُونُ الْحَدَّةُ فِي الْمَالِ ، .
 (٢) عَالَةٌ : جَمْعُ عَائِلٍ ، وَهُوَ الْفَقِيرُ . عَالَ الرَّجُلُ يَعُولُ إِذَا افْتَقَرَ . لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٤٨٢ ج ١١ .
 (٣) أَمْنٌ : مِنَ الْعَمَةِ ، وَهِيَ النِّعْمَةُ
 (٤) الْمَخْذُولُ : الْمَتْرُوكُ . انْظُرْ لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٢٠٢ ج ١١ .
 (٥) آسَيْنَاكَ : أَعْطَيْنَاكَ حَتَّى حَقَلْنَاكَ كَأَحَدِنَا .
 (٦) اللَّعَاعَةُ : نَقْلَةُ حَضْرَاءٍ نَاعِمَةٍ ، شَبَّهَ بِهَا رَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَعِيْمَهَا .
 (٧) الشَّعْبُ : الطَّرِيقُ بَيْنَ حَتْلَيْنِ لِسَانُ الْعَرَبِ ج ١ .
 (٨) أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ : نَلَّوْهَا بِالْمَوْعِ ، أَحْضَلُ الثَّوبَ دَمْعَةً : بَلَّه . لِسَانُ الْعَرَبِ ص ٢٠٨ ج ١١ .

عمرة الرسول من الجعرانة واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمرا ، وأمر ببقايا الفء فحُبِسَ بِمَجَنَّةَ ، بناحية مَرَّ الظُّهْرَانِ ، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عُمُرَتِهِ انصرف راجعا إلى المدينة ، واستخلف عَتَّابَ بنَ أُسَيْدٍ على مَكَّةَ (١) وخَلَّفَ معه مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ ، يَفْقَهُ النَّاسَ فِي الدِّينِ ، وَيَعْلَمُهُمُ الْقُرْآنَ ، وَاتَّبَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَقَايَا الْفَاءِ .

قال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبي ﷺ عَتَّابَ بنَ أُسَيْدٍ على مَكَّةَ رَزَقَهُ كُلَّ يَوْمٍ دَرَاهِمًا ، فَقَامَ فخطب الناس ، فقال : أَيُّهَا النَّاسُ ، أَجَاعَ اللَّهُ كَبَدَ مِنْ جَاعٍ عَلَى دَرَاهِمٍ ، فَقَدْ رَزَقَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَرَاهِمًا كُلَّ يَوْمٍ ، فَلَيْسَتْ بِي حَاجَةٌ إِلَى أَحَدٍ .

قال ابن إسحاق : وكانت عُمرة رسول الله ﷺ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فِي بَقِيَّةِ ذِي الْقَعْدَةِ أَوْ فِي ذِي الْحِجَّةِ .

قال ابن هشام : وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ لِسِتِّ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ فِيمَا زَعَمَ أَبُو عَمْرٍو الْمَدَنِي .

قال ابن إسحاق : وَحَجَّ النَّاسُ تِلْكَ السَّنَةَ عَلَى مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَحُجُّ عَلَيْهِ ، وَحَجَّ بِالْمُسْلِمِينَ تِلْكَ السَّنَةَ عَتَّابُ بنُ أُسَيْدٍ ، وَهِيَ سَنَةُ ثَمَانَ ، وَأَقَامَ أَهْلَ الطَّائِفِ عَلَى شِرْكِهِمْ وَامْتِنَاعِهِمْ فِي طَائِفِهِمْ ، مَا بَيْنَ ذِي الْقَعْدَةِ إِذْ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ .

(١) وَكَانَ عَمْرُ عَتَّابٍ إِذْ دَاكَ بَحْوِ عَشْرِينَ سَنَةً . (رَاحِعُ تَرْجِ الْمَوَاهِبِ) .

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله ﷺ من مُنْصَرَفِهِ عن الطائف كتب بُجَيْرُ بْنُ زُهَيْرٍ ابن أبي سُلَيْمٍ إلى أخيه كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ يُخْبِرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَتَلَ رَجُلًا بِمَكَّةَ ، مِمَّنْ كَانَ يَهْجُوهُ وَيُؤْذِيهِ ، وَأَنَّ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ شُعْرَاءِ قُرَيْشٍ ، ابْنُ الزَّبْعَرِيِّ وَهُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ ، قَدْ هَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ ، فَطَرِّضْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَإِنَّهُ لَا يَقْتُلُ أَحَدًا جَاءَهُ تَائِبًا ، وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَانْجُ إِلَى نَجَاتِكَ (١) مِنَ الْأَرْضِ ؛ وَكَانَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ قَدْ قَالَ :

أَلَا أُبْلِغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتَ وَبِحَكَ هَلْ لَكَ؟ (٢)
فَبِنَ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ عَلَى أَى شَيْءٍ غَيْرَ ذَلِكَ ذَلِكَ (٣)
عَلَى خُلُقٍ لَمْ أَلْفِ يَوْمًا أَبَا لَهُ عَلَيْهِ وَمَا تُؤْفَى عَلَيْهِ أَبَا لَكَ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِآسِفٍ وَلَا قَائِلٍ إِمَّا عَتَرْتُ : لَعَالِكَ (٤)
سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ (٥) كَأَسَا رَوِيَّةً فَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ بِهَا وَعَلَا (٦)

قال : وبعث بها إلى بُجَيْرٍ ، فلما أتت بُجَيْرًا كَرِهَ أَنْ يَكْتُمَهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا سَمِعَ « سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ » . صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون . ولما سمع : « عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُؤْفَ » .
أَمَا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ » قال : أجل ، لَمْ يُؤْفَ عَلَيْهِ أَبَاهُ وَلَا أُمُّهُ (٧) .

(١) إلى بحاتك ، أى إلى محل يحبك منه .

(٢) أبلغا : خطاب لاثنتين ، والمراد الواحد ، أو خطاب لواحد مؤكد بنون تأكيد جعيفة ، قلت فى الوصل على بية الوقف .

(٣) هيس لنا : أى اذكر لنا مرادك من نقائك على دينك .

(٤) لعالك : كلمة تقال للعائر ، وهى دعاء له بالاقالة من عشرته .

(٥) قال ابن هشام : ويروى (المأمور) .

(٦) روية (فعيلة بمعنى مفعلة ، بصم العيم وكسر العين) أى مروية . والشرب الأول ، من : الشرب الثانى . والمأمون : يعنى الننى ﷺ ، كانت قريش تسميه به وبالأمين قال الزرقانى : وهى رواية غير ابن إسحاق ، المحمود ، وهو من أسمائه ﷺ .

(٧) راد الزرقانى نقلا عن ابن الأنبارى أن الننى ﷺ قال : من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله

قدوم كعب على الرسول وقصيدته اللامية :

قال ابن إسحاق : فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض . وأشفق على نفسه وأرجف^(١) به من كان في حاضره^(٢) من عدوه ، فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شيء بدا ، قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قَيم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جُهينة ، كما ذكر لي ، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح ، فصلى مع رسول الله ﷺ ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسول الله ، فقم إليه فاستأمنه . فذكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ ، حتى جلس إليه ، فوضع يده في يده ، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ، فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زُهَيْر قد جاء ليستأمن منك تائبا مُسلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتُك به ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم ؛ قال : أنا يا رسول الله كعب بن زُهَيْر .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله ، دعني وعدو الله أُضْرِبُ عنقه ؛ فقال رسول الله ﷺ : دعه عنك ، فإنه قد جاء تائبا ، نازعا (عما كان عليه) . قال فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار ، لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال في قصيدته التي قال حين قَيم على رسول الله ﷺ :

(١) أرجف به : حاص في أمره بما يسوءه ويفرعه . لسان العرب ص ١١٣ ح ٩ .

(٢) حاضره . حيه .

تَسْعَى الْغَوَاةُ^(١) جَنَابِهَا وَقَوْلُهُمْ
وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ أَمْلَهُ^(٢)
فَقُلْتُ خَلُّوا سَبِيلِي^(٣) لَا أَبَا لَكُمْ
كُلُّ ابْنِ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ
تُبْنَتْ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً الـ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ
لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ
لَطَلَّ يَزْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ

إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلَمَى لَمَقْتُولُ
لَا أُلْهِئُكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ
فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
يَوْمًا عَلَى آلَةِ حَذْبَاءِ مَحْمُولُ^(٤)
وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ^(٥)
سَقَرَانُ فِيهَا مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلُ^(٦)
أُذْنِبَ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ^(٧)
أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفِيلُ^(٨)
مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ^(٩)

(١) الغواة : المعسودون ، جمع غاو . جنابها : حوالها ، تثنية جناب (بفتح الحيم) . ومقتول : أى متوعد بالقتل ، لأن
الذى ﷺ كان قد أهدر دمه .

(٢) آمله : أؤمل حيره وأترجى إعاقته فى الملمات . وألْهَيْكَ : أشْغَلْكَ . (لا) فيها : ناهية ، والترديد قليل مع النعى .
والمعنى : لا أشْغَلْكَ عما أنت فيه من الخوف والفرح ، بأن أسهله عليك وأُسْهِلْكَ ، فاعمل لنفسك ، فإبى لا أغشى عك
شينا ، وقد يكون الكلام مقبلاً ، واللام فيه للقسم ، أى والله لأحْصِيكَ مشغولاً عني ، فلا تطلب منى بصرة أو معونة .
(٣) خلوا سبيلي : اتركوه . وقوله . لا أبأ لكم : ذم لهم ، لكونهم لم يعنوا عنه شينا ، أو مدح لهم على سبيل التهكم
والاستهزاء . انظر لسان العرب ص ٢١٤ ح ١١ .

(٤) الآلة الحدباء : العنش الذى يحمل عليه الميت . يقول : كل إنسان صائر إلى الموت طالبت سلامته أو قصرت ،
فلا يشمت بى أحد إذا هلك .

(٥) بنيت : أخبرت . ويروى : « أبنت » . وأوعدنى : تهددنى بالقتل . ومأْمُولُ : مرحو ومطموح فيه .

(٦) هداك : أو هداك الله للصفح والعفو عني ، فيكون على هذا البيت داعياً لنفسه . والنافلة : الزيادة ، وسمى
القرآن نافلة لأنه عطية زائدة على السنوة .

(٧) هذا البيت من تنمة الاستعطاف والتلطف فى القول ، فلا ، وإن كانت ناهية بحسب وضعها ، لكن المراد منها التضرع
والتنذل . والمعنى : لا تستنج دمي بسبب أقوال الوشاة الساعين بيمى وببك بالإفساد والكذب والبهتان .

(٨) لقد أقوم : معناه : والله لقد أقوم مقاماً ، فهو جواب قسم محذوف . ويروى : « إني أقوم مقاماً » والأولى أن أبلغ للقسم .
والمقام (هنا) مجلس السبي . والمراد بالقيام فيه حضوره ، والمعنى على المصطفى أى لقد حصرته مجلساً .

(٩) يردد : تأخذه الرعدة : ويصبح نياؤه للمفعول . والتتويل : التأمين . والمعنى : لصار الغيل يصطرب ويتحرك من
الفرع ، وإما حصه بذلك لأنه أراد التعظيم والتهويل ، والغيل أعظم الدواب حثة وشأناً . إلا أن يكون له من الرسول بإذن
الله تأمين يسكن به روعه ، وتثبت به نفسه . ورواية هذا البيت فى أنظر لسان العرب ص ١٨٠ ج ٣ :

لطل ترعد من وحد بوانده إن لم يكن من رسول الله تنويل

والوحد : شدة الحر . والبواند : اللحم الذى بين العنق والكتف .

حتى وضعت يميني ما أنازعه
فلهم أخوف عندي إذ أكلمه
من ضيغم بضراء الأرض مخذره
يغدو فيلجم صيرغامين عيشهما
إذا يساور قرنا لا يحل له
منه تظل سباع الجوّ نافرة

في كف ذي نجمات قبيله القيل^(١)
وقيل إنك منسوب ومنسؤول^(٢)
في بطن عثر غيل دونه غيل^(٣)
لحم من الناس مغفور خراديل^(٤)
أن يترك القرن إلا وهو مفلول^(٥)
ولا تمشي بواديه الأراجيل^(٦)

(١) حتى وضعت : أى فوضعت . وحسن اليمين لأن الأشياء الشريفة تفعل باليمين . ولا أنازعه : أى حال كوني طامعا له ، راصيا لحكمه ، في غير منازعه له ولا مخالف . والنجمات (بفتح فكسر) جمع نعمة والمراد بصاحب النعمات . النبي ﷺ ، لأنه كان ينتقم من الكفار ، فكان شديد السطوة والإغلاط فيهم . وقيله : قوله . والمراد أن قوله معتد به لكونه نافذا ماصيا . يشير بالنيت إلى حاله مع النبي ﷺ حين قدم عليه وهو في المسجد ، ووضع يده في يده يستأمنه .

(٢) أخوف : أشد إخافة وإرهانا . ومنسوب : أى إلى أمور صدرت منك ، كقولك لأحيك بجبر : سقاك بها المأمون ... الخ . ومنسؤول : أى عن سببها ، أو منشول عن سببك ، فكأنه يقول : على قبيلتك التي تحريك مني ؟ ومن قومك الذين يعصمونك مني ؟ فقد تراءوا منك ، وتحلوا عنك . ويروى : لذلك أهيب ، و : فذاك أهيب ، و : لكان أهيب ، و : فلهوأ حوب ، . ويروى : أرب ، مكان : أهيب ، . انظر لسان العرب ص ٩٩ ج ٩

(٣) صيغم . أسد . وضراء الأرض : الأرض التي فيها شجر . والمحدر : عانة الأسد . وعثر (بفتح العين وتشديد المثلثة) : اسم مكان مشهور بكثرة السباع . والعيل : الشجر الكثير المتنف . وغيل دونه عيل : أى أحمة تقربها أجمة أخرى ، فتكون أسدها أشد ترحشا ، وأقوى ضراوة . يريد أن رسول الله ﷺ أهيب من أسود عثر في أحامها . وفي رواية : من خادر ، . والحادر : الأسد الداهل في خدره ، وهو حينئذ يكون أشد قوة وبأسا .

(٤) يعنو : يجرح في أول النهار يتطلب صيدا لتسليه . وفي رواية : يعنو ، بالذال . أى يطعم . ويلجم : يطعمهما اللحم . والصرعام : الأسد . ويريد بالصراعامين تسليه . ومغفور : ملقى في العفر ، وهو التراب ، ووصفه بذلك لكثرة وعدم إكترائه لتسليه . وخراديل : قطع صغار . يصف هذا الأسد بكثرة الافتراس ، وعظم الاصطياد . انظر لسان العرب ص ١١٨ ج ١٥ .

(٥) يساور : يواط . والقرن (بكسر القاف) : المقاوم في الشجاعة . وفي ذكر القرن إشارة إلى أن هذا الأسد لا يساور صعيقا ولا جبانا ، وإنما يساور مقاومه في الشجاعة ، ومساويه في القوة . والمفلول : المكسور المهورم . انظر لسان العرب ص ٣٨٥ ح ٤ .

(٦) الحو : اسم موضع ، أو هو ما اتسع من الأودية ، أو ما بين السماء والأرض . ونافرة : بعيدة ، ويروى : صامزة ، والضامر : الذي يمسك حركته بغيره ولا يجتر . ويروى : ضامرة ، أى حياعا لعدم قدرتها على الاصطياد . والأراجيل : الجماعات من الرجال ، وهو جمع أرجال ، وأرجال : جمع رجل ، ورجل : اسم جمع لرجل ، يصف هذا الأسد بالقوة ، حتى حافته السباع والناس .

ولا يزَالُ بَوَادِيهِ أَخُو ثَقَّةٍ مُضَرَّجُ الْبَرِّ وَالْدُرْسَانِ مَأْكُولٌ^(١)
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَنْصَأُ بِهِ مُهَنْدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولٌ^(٢)

قال ابن هشام : قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله ﷺ
المدينة . وبَيْتُهُ : « حَرْفَ أَخُوها أَبُوها » وبَيْتُهُ : « يَمْشِي الْقَرَاد » ، وبَيْتُهُ :
« عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ » وبَيْتُهُ : « ثَمَرٌ مِثْلُ عَسِيبِ النَّخْلِ » ، وبَيْتُهُ : « تَقْرَى
الْلَّبَان » ، وبَيْتُهُ : « إِذَا يُسَاوِرُ قِرْنَا » ، وبَيْتُهُ : « وَلَا يَزَالُ بَوَادِيهِ » : عن غير
ابن إسحاق .

استرضاء كعب الأنصار بمدحه إياهم :

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عُمر بن قَتَادَةَ : فلما قَالَ كَعْبٌ : « إِذَا
عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلَ » ، وإنما يريدُنا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، لِمَا كَانَ صَاحِبِنَا صَنَعَ بِهِ
مَا صَنَعَ ، وَخَصَّ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَدْحِهِ ،
غَضِبَتْ عَلَيْهِ الْأَنْصَارُ ؛ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ يَمْدُحُ الْأَنْصَارَ ، وَيَنْكَرُ بِلَاءَهُمْ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَوْضِعُهُمْ مِنَ الْيَمَنِ :

مَنْ سَرَّهُ كَرْمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مِقْنَبِ^(٣) مَنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ
وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ إِنَّ الْخِيَارَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
الْمُكْرَهَيْنِ السَّمْهَرَى بِأَذْرَعِ كَسَوَالِفِ الْهِنْدَى غَيْرِ قِصَارِ^(٤)

(١) أخو ثَقَّة : الشجاع الوثاق بشجاعته . ومضرح : محضب بالدماء . ويروى : « مطرح » ، أى مطروح . والنر :
السلاح والدرسان (بصم الدال) : أخلاق الثياب ، الواحد دريس . ومأْكُول : أى طعام لذلك الأسد . يريد أنه لا يمر بوادى
هذا الأسد شجاع إلا أكله وطرح ثيابه التى مزقها ، فلا يولع إلا بالشحمان ، ولا يلتفت لغيرهم .

(٢) يستصاء به : يهتدى به إلى الحق . ويروى : « لسيف » ، فى مكان « لنور » ، وقد كانت عادة العرب إذا أرادوا استدعاء
من حولهم من القوم أن يشهروا السيف الصقيل ، فيبرق ، فيطهر لمعانه من بعد هياتون إليه ، مهتدين بنوره ، مؤتمنين
بهديه . شبه الرسول بذلك . والمهيد : السيف المطبوع فى الهدى ، وسيوف الهند قديما أحسن السيوف . ومن سيوف الله :
أى من سيوف عظمها الله ببيل الظفر والانتقام . والمسلول : المحرّج من غمده .

(٣) المقنب : الجماعة من الحيل . يريد به القوم على ظهور حيادهم . من الثلاثين إلى الأربعين - لسان العرب ص ٦٩٠
ح ١ .

(٤) السمهرى : الرمح . وسوالف الهندى : يريد حواشى السيوف ؛ وقد يراد به الرماح أيضا ، لأنها قد تنسب إلى الهدى .

وَالنَّاطِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُّحَمَّرَةٍ كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْأَبْصَارِ
وَالْبَائِعِينَ نَفْسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانَقِي وَكِرَارِ
وَالْقَائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَذْيَانِهِمْ بِالْمَشْرِفَىٰ وَبِالْقَنَا الْخَطَّارِ^(١)
يَتَطَهَّرُونَ يَرَوْنَهُ نُسْكَاً لَهُمْ بدماء مَنْ عَلِقُوا مِنْ الْكُفَّارِ
دَرَبُوا كَمَا دَرَبَتْ بَبْطُنَ حَفِيَّةٍ غُلْبَ الرِّقَابِ مِنَ الْأَسْوَدِ ضَوَارِي^(٢)

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشده : « بَأَنْتُ
سُعَادُ فِقْلَبِي الْيَوْمَ مَتْبُول » : لَوْلَا ذَكَرْتَ الْأَنْصَارَ بَخِيرَ ، فَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ أَهْلُ ، فَقَالَ
كَعْبُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ، وَهِيَ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ .

قال ابن هشام : وذكر لي عن علي بن زيد بن جُدعان أنه قال : أنشد
كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ :
« بَأَنْتُ سُعَادُ فِقْلَبِي الْيَوْمَ مَتْبُول »

غزوة تبوك

في رجب سنة تسع

أمر الرسول الناس بالتهيؤ لتبوك :

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبد الله
البكائي ، عن محمد بن إسحاق المطلبی ، قال : ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ
مَا بَيْنَ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى رَجَبٍ ، ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ بِالْتَّهْيُؤِ لَغَزْوِ الرُّومِ . وَقَدْ ذَكَرْنَا لَنَا
الزَّهْرِيُّ وَيَزِيدُ بْنُ رُومَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَعَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ،
وغيرهم من علمائنا ، كُلُّ حَدَّثٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مَا بَلَغَهُ عَنْهَا ، وَبَعْضُ الْقَوْمِ
يَحْدِّثُ مَا لَا يَحْدِّثُ بَعْضُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْتَّهْيُؤِ لَغَزْوِ

(١) المشرفى : السيف . والقنا : الرماح ، جمع قناة . والخطار . المهتر . وهذا البيت ساقط من أ .

(٢) دربوا : تعودوا . وحفية : اسم مأسدة . وغلب الرقاب : علاط الأعناق . وضواري : متعودات الصيد والافتراس

الروم ، وذلك فى زَمان من عُسرة الناس ، وشِدَّة من الحرّ ، وجذبٍ من البلاد .
 وحين طابت الثمار ، والناس يُحبُّون المُقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون
 الشُّحوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ؛ وكان رسول الله ﷺ قَلْما
 يخرج فى غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يَصُمِد
 له (١) ، إلا ما كان من غزوة تَبُوكَ ، فإنه بيَّنّها للناس ، لُبُعد الشُّقَّة (٢) ، وشِدَّة
 الزمان ، وكثرة العدو الذى يَصُمِد له ، ليتأهب الناس لذلك أهْبَتَه ، فأمر الناس
 بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

تخلف الجد وما نزل فيه :

فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجدِّ بن قيس أحد
 بنى سَلِمة : يا جدّ ، هل لك العام فى جِلاد بنى الأصفر (٣) ؟ فقال :
 يا رسول الله ، أو تأذن لى ولا تُفْتِنى ؟ فوالله لقد عَرَفَ قَوْمى أنه ما من رجل
 بأشدَّ عُجْبا بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيتُ نساء بنى الأصفر أن لا أصبر ،
 فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : قد أذنتُ لك . ففى الجدِّ بن قيس نزلت
 هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي ، أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ،
 وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٤) . أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء
 بنى الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة أكبر ، بتخلفه عن رسول
 الله ﷺ ، والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول تعالى : ﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيَسْقَى
 مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴾ (٥) .

ما نزل فى القوم المثبطين :

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تَنْفِرُوا فى الحرّ ، زهادة
 فى الجهاد ، وشكًا فى الحقّ ، وإرجافا برسول الله ﷺ ، فأنزل الله تبارك

(١) يصمد . يقصد ، صمد يصمد صمداً وصمد إليه كلاهما قصده .

(٢) الشُّقَّة : السمر النعيد ، والشُّقَّة : بُعْدُ مسير إلى الأرض النعيّة . انظر لسان العرب ص ١٨٤ ج ١٠ .

(٣) بنى الأصفر : يريد الروم .

(٤) سورة التوبة الآية ٤٩ .

(٥) سورة إبراهيم الآية ١٦ .

وتعالى فيهم : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ، جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١) .

قال ابن هشام : وحدثني الثقة عن حدثه ، عن محمد بن طلحة ابن عبد الرحمن عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : بلغ رسول الله ﷺ ، أن ناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سؤلیم اليهودي ، وكان بيته عند جلسوم (٢) ، يُتَبَطَّونَ النَّاسَ عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فبعث إليهم النبي ﷺ طلحة بن عبید الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سؤلیم ، ففعل طلحة . فافتحم الضحاک بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه ، فأفلتوا .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ جد في سفره ، وأمر الناس بالجهاز والانيكماش ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان (٣) في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا (٤) ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة ، لم ينفق أحد مثلاً .

قال ابن هشام : حدثني من أثق به : أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار ؛ فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارض عن عثمان ، فإني عنه راض .

شأن البكائين :

قال ابن إسحاق : ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ ،

(١) سورة التوبة آية ٨١ ، ٨٢ .

(٢) جلسوم : اسم موضع .

(٣) الحملان . مصدر حمل يحمل ، وقد يراد به : ما يحمل عليه من الدواب . انظر لسان العرب ص ١٧٤ .

(٤) احتسبوا : الحسب والحسب : فنر الشيء ، كقولك الأجر بحسب ما عملت واحتسبوا : أخرجوا ذلك حسنة ،

أى جعلوا أجر ما بنلوا عند الله . انظر لسان العرب ص ٣١١ ح ١ .

وهم البُكَاءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو ابن عوف : سالم بن عمير ، وعُلبنة بن زيد ، أخو بنى حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب ، أخو بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن حُمام ابن الجُموح ، أخو بنى سلمة ، وعبد الله بن المغفل المُرَني - وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المُرَني - وهَرَمي بن عبد الله ، أخو بنى واقف ، وعزْباض بن سارية الفَزاري . فاستحملوا^(١) رسول الله ﷺ ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون .

قال ابن إسحاق : فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب النُصري لقى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مُغفل وهما يبيكان ، فقال : ما بيكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه ؛ فأعطاهما ناضِحاً^(٢) له ، فارتحلاه ، وزودهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله ﷺ .

شأن المعذرين :

قال ابن إسحاق : وجاءه المعذرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذرهم الله تعالى ، وقد نُكر لى أنهم نفر من بنى غفار .

تخلف نفر عن غير شك :

ثم استنَّب^(٣) برسول الله ﷺ سفره ، وأجمع السير ، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ ، حتى تخلفوا عنه ، عن غير شك ولا ارتياب ؛ منهم : كعب بن مالك بن أبي كعب ، أخو بنى سلمة

(١) استحملوه : طلبوا منه ما يحملهم عليه . انظر لسان العرب ص ١٧٥ ح ١١ .

(٢) الناضح : البعير أو الثور أو الحمار الذي يستقى عليه الماء . انظر لسان العرب ص ٦١٩ ح ٢ .

(٣) استنَّب : تنازع واستمر . انظر لسان العرب ص ٢٢٧ ح ١ .

ومرارة بن الربيع ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية ، أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة ، أخو بنى سالم بن عوف . وكانوا نفر صديق ، لا يهتمون فى إسلامهم .

خروج الرسول واستعماله على المدينة :

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع (١) .
قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى .
وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن أبيه : أن رسول الله ﷺ استعمل على المدينة ، مخرجه إلى تبوك ، سباع بن عرفة .

تخلف المنافقين :

قال ابن إسحاق : وضرب عبد الله بن أبي معه على جدة عسكره أسفل منه ، نحو ذباب (٢) ، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين . فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي ، فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب .

شأن على بن أبى طالب :

وخلف رسول الله ﷺ على بن أبى طالب ، رضوان الله عليه ، على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استتقلا له ، وتخففا منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ على بن أبى طالب ، رضوان الله عليه سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف (٣) فقال : يا نبي الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استتقتني وتخففت منى ؛ فقال : كذبوا ، ولكننى خلفتك لما تركت

(١) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة ، يطؤها من يريد مكة .

(٢) ذباب : (نالكسر والضم) : حنل المدينة .

(٣) الجرف : (نالضم ثم السكون) : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

ورأى ، فارجع فاخلُفنى فى أهلى وأهلك ، أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبى بعدى ، فرجع على إلى المدينة ؛ ومضى رسول الله ﷺ على سفره .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعلى هذه المقالة .

شأن أبى خيثمة :

قال ابن إسحاق : ثم رجع على إلى المدينة ، ومضى رسول الله ﷺ على سفره ، ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله فى يوم حارّ ، فوجد امرأتين له فى عريشين^(١) لهما فى حائطه^(٢) ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له فيه ماءً ، وهيات له فيه طعاما . فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأته وما صنعنا له ، فقال : رسول الله ﷺ فى الضح^(٣) والريح والحرّ ، وأبو خيثمة فى ظلّ بارد ، وطعام مهياً ، وامرأة حسناء ، فى ماله مقيم ، ما هذا بالنّصف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ ، فهيا ! لى زادا ، ففعلنا . ثم قدّم ناضحه فارتحله ، ثم خرج فى طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحى فى الطريق ، يطلب رسول الله ﷺ ، فترافقا ، حتى إذا دنوا من تبوك . قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنبا ، فلا عليك أن تخلف عنى حتى آتى رسول الله ﷺ ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مُقبل ؛ فقال رسول الله ﷺ : كن أبا خيثمة ؛

(١) العريش : شبيه بالخيمة ، يظلّ ليكون أبرد الأحياء والبيوت .

(٢) الحائط : البستان من النخيل . انظر لسان العرب ص ٢٨٠ ج ٧ .

(٣) الضح : (بالكسر) : الشمس ، وقيل هو ضوؤها . انظر لسان العرب ص ٥٢٤ ج ٢ .

فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة . فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ ؛ فقال له رسول الله ﷺ : أولى لك^(١) يا أبا خيثمة . ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر ؛ فقال له رسول الله ﷺ خيرا ، ودعا له بخير .

النبي والمسلمون بالجحر :

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ حين مرّ بالجحر نزلها ، واستقى الناس من بئرها . فلما راحوا قال رسول الله ﷺ : لا تشربوا من مائها شيئا ، ولا تتوضئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئا ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ ، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بغير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذى ذهب في طلب بغيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبل طيء . فأخبر بذلك رسول الله ﷺ ، فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه ! ثم دعا رسول الله ﷺ للذى أصيب على مذهبه فشفى ؛ وأما الآخر الذى وقع بجبل طيء ، فإن طيئا أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عباس بن سهل ابن سعد الساعدي ؛ وقد حدثني عبد الله بن أبى بكر أن قد سمي له العباس الرجلين ، ولكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميهما لى .

قال ابن هشام : بلغنى عن الزهرى أنه قال : لما مرّ رسول الله ﷺ بالجحر سجد على وجهه^(٢) ، واستح^(٣) راحلته ، ثم قال : لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم .

(١) أولى لك . كلمة فيها معنى التهديد وهى اسم سمي به الفعل ، ومعناها فيما قال المعسرون . بحوث من الهلكة ،

(٢) سجدى ثوبه على وجهه : غطاه به . انظر ترتيب القاموس المحيط ص ٥٢٦ ج ٢ .

(٣) استح راحلته : استعجلها . الحث : الاستعجال . انظر لسان العرب ص ١٢٩ ج ٢ .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكّوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفي عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضا على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار ، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا ، فأرسل الله السحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ، قالوا : أقبلنا عليه نقول : ويحك ، هل بعد هذا شيء ! قال : سحابة مارة .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه ، يُقال له عُمارة بن حزم ، وكان عَقِيْبًا بَذْرِيًّا ، وهو عم بنى عمرو ابن حزم ، وكان في رَحْله زيد بن اللصيت الفَيْتَقَاعِي ، وكان منافقا .

قال ابن هشام : ويقال : ابن لُصَيْب (بالباء) .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قالوا : فقال زيد بن اللصيت ، وهو في رحل عُمارة وعمارة عند رسول الله ﷺ : أليس محمد يزعم أنه نبي ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده : إن رجلا قال : هذا محمدٌ يخبركم أنه نبي ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ، وإنى والله ما أعلم إلا ما علّمنى الله وقد دلّنى الله عليها ، وهى فى هذا الوادى ، فى شِعب كذا وكذا ، قد حبسها شجرة بزمائها ، فانطلقوا حتى تأتونى بها ، فذهبوا ، فجاءوا بها . فرجع عُمارة بن

حزم إلى رحله ، فقال : والله لعَجَبٌ من شيء حَدَّثَنَا رسولُ الله ﷺ آنفاً ، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، للذي قال زيدُ بنُ لُصَيْتٍ ؛ فقال رجل ممن كان في رحل عُمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ : زيدُ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي . فأقبل عُمارة على زيدٍ يَجَافِي عنقه^(١) ويقول : إني عباد الله ، إن في رحلي لداهيئة وما أشعر ، أخرجُ أيَّ عدوِّ الله من رحلي ، فلا تُصحبني . قال ابن إسحاق : فزعم بعضُ الناس أن زيدا تاب بعد ذلك ؛ وقال بعض الناس لم يزل مُتَّهِماً بِشَرٍّ حتى هلك .

ثم مضى رسولُ الله ﷺ سائرا ، فجعل يتخلف عنه الرجلُ ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يا رسول الله ، قد تخلف أبو ذرٍّ ، وأبطأ به بغيره ؛ فقال : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ وتلوّم^(٢) أبو ذر على بغيره ، فلما أبطأ عليه ، أخذ متاعه فحمّله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثرَ رسول الله ﷺ ماشيا . ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازلهم ، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ؛ فقال رسول الله ﷺ : كُنْ أبا ذر^(٣) . فلما تأمله القومُ قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذر ؛ فقال رسول الله ﷺ : رحم الله أبا ذرٍّ ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبعث وحده .

تخذيّل المنافقين للمسلمين وما نزل فيهم :

قال ابن إسحاق : وقد كان رَهْطٌ من المنافقين ، منهم ودِيعَةُ بنُ ثابت ، أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبني سلمة ، يقال له : مُحَشِّنُ بنِ حُمَيْرٍ - قال ابن هشام : ويقال مُحَشِيٌّ - يُشيرون إلى رسول

(١) يجافى عنقه : يقطعهُ في عنقه . انظر ترتيب القاموس المحيط

(٢) تلوّم : تمكث وتمهل وانتظر . انظر ترتيب القاموس المحيط ص ١٨٦ ح ٤ .

(٣) كُنْ أبا ذر : لعله لعل الأمر ، ومعناه الدعاء ، أي أرحم الله أن تكون أبا ذر .

الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتَحْسِبُونَ جِلاَدَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ! وَاللَّهِ لَكَأَنَّكُمْ بِكُمْ غَدًا مُقَرَّنِينَ فِي الْحَبَالِ ، إِرْجَافًا وَتَرْهِيْبًا لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ مُحَشَّنُ بْنُ حُمَيْرٍ : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَقَاضِي عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ (رَجُلٍ) مِائَةً جَلْدَةً ، وَإِنَّا نَنْفِلُ أَنْ يَنْزَلَ فِيْنَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ .

وقال رسول الله ﷺ - فيما بلغني - لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ أَدْرَكَ الْقَوْمَ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ اخْتَرَفُوا (١) ، فَسَلِّمُوا عَمَّا قَالُوا ، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ : بَلَى ، قُلْتُمْ كَذًا وَكَذَا . فَاَنْطَلِقْ إِلَيْهِمْ عَمَّارٌ ، فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ : فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ عَلَى نَاقَتِهِ ، فَجَعَلَ يَقُولُ وَهُوَ آخِذٌ بِحَقَبِهَا (٢) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ (٣) . وَقَالَ مُحَشَّنُ بْنُ حُمَيْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ بَيَّ اسْمِي وَاسْمَ أَبِي ؛ وَكَأَنَّ الَّذِي عَفَى عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُحَشَّنُ بْنُ حُمَيْرٍ ، فَتَسْمَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَقْتُلَهُ شَهِيدًا لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ ، فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ ، فَلَمْ يَوْجَدْ لَهُ أَثَرٌ .

الصلح بين الرسول ويحنة :

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك ، أتاه يَحْنَةُ بْنُ رُوْبَةَ ، صَاحِبُ أَيْلَةٍ ، فَصَالَحَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ ، وَأَتَاهُ أَهْلُ جَرَبَاءَ وَأَذْرَحَ ، فَأَعْطَوْهُ الْجِزْيَةَ ، فَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ كِتَابًا ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ .

كتاب الرسول ليحنة :

فَكَتَبَ لِيَحْنَةَ بْنِ رُوْبَةَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : هَذِهِ أَمْنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِيَحْنَةَ ابْنِ رُوْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةٍ ، سَفَنَهُمْ وَسَيَّارَتَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ : لَهُمْ نَمَةٌ اللَّهُ ، وَذَمَّةٌ

(١) اخْتَرَفُوا : اخْتَرَقَتْ أَيْ هَلَكَتْ وَالْحَرْقُ الْهَلَاكُ ، اخْتَرَفُوا : أَهْلَكُوا . انظر لسان العرب . ص ٤٢ ج ١٠ .
(٢) الْحَقَفُ : حُلِي يَشْدُوهُ الرَّجُلُ فِي بَطْنِ النَعِيرِ ، أَوْ الْحِزَامُ الَّذِي يَلْبَسُهُ الْخَوَّ النَعِيرِ . انظر لسان العرب ج ١ ص ٣٢٤ .
(٣) سُورَةُ التَّوْبَةِ آيَةُ ٦٥ .

محمد النَّبِيُّ ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حَدَثًا ، فإنه لا يحول ماله دُونَ نفسه ، وإنه طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يُمنَعوا ماء يردونه ، ولا طريقا يُريدونه ، من برّ أو بحر .

حديث أسير أكيدر ثم مصالحته :

ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد ، فبعثه ألى أكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من كُندة كان ملكا عليها ، وكان نصرانيا ؛ فقال رسول الله ﷺ لخالد : إنك ستجده يصيد البقر . فخرج خالد ، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة مُقَمَّرة صائفة ، وهو على سَطْح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تَحْكُ بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قَطْ ؟ قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه ، فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ؛ فيهم أخ يقال له حَسَّان . فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ ، فأخذته ، وقتلوا أخاه ؛ وقد كان عليه قَبَاء من ديباج، مُخَوَّصٌ بالذهب ، فاستلمه خالد ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيت قَبَاء أكيدر حين قدم به على رسول الله ﷺ ، فجعل المسلمون يَلْمِسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله ﷺ : أتعجبون من هذا ؟ فوالذي نفسي بيده لَمَنَاديل سعد بن مُعَاذٍ في الجنة أحسن من هذا .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالدًا قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خَلَّى سبيله ، فرجع إلى قريته ؛ فأقام رسول الله ﷺ بَنُبُوكَ بضع عشرة ليلة ، لم يُجاوزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة .

حديث وادي المشقق ومائه :

وكان في الطريق ماءٌ يخرج من وَشَل^(١) ، ما يُزَوِي الرَّاكِبَ والراكِبِينَ

(١) الوشل : ححر أو حبل يقطر منه الماء قليلا قليلا ؛ وهو أيضا القليل من الماء . انظر لسان العرب ص ٢٢٥

والثلاثة ، بواد يُقال له وادى المُشَقَّق ؛ فقال رسول الله ﷺ : من سَبَقنا إلى ذلك الوادى فلا يَسْتَقِينْ منه شيئا حتى نَأْتِيه . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ؛ فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه ، فلم ير فيه شيئا . فقال : من سَبَقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله ، فلان وفلان ؛ فقال : أو لم أنهم أن يستقوا منه شيئا حتى آتِيه ! ثم لعنهم رسول الله ﷺ ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يَصُب ، ثم نَضَح به ، ومَسَحَ بيده ، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق من الماء - كما يقول من سمعه - ما إن له حسا كحس الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه . فقال رسول الله ﷺ : لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعن بهذا الوادى ، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

وفاة ذى الجادين وقيام الرسول على دفنه :

قال : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي ، أن عبد الله ابن مسعود كان يحدث ، قال : قُمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، قال : فرأيت شُعلة من نار في ناحية العسكر ، قال : فأتبعتها أنظر إليها ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو الجادين المزنّى قد مات ، وإذا هم قد حَفَرُوا له ، ورسول الله ﷺ في حفرة ، وأبو بكر وعمر يُدَلِّيانه إليه ، وهو يقول : أُنْذِيَا إِلَى أَحَاكَمَا ، فَذَلِّيَا إِلَيْهِ ، فلما هَيَأَ لَشَيْقَهُ قال : اللهم إني أُمسيت راضيا عنه ، فارض عنه . قال : يقول عبد الله بن مسعود : يا ليتني كنتُ صاحب الحفرة .

قال ابن هشام : وإنما سُمي ذا الجادين ، لأنه كان يَنازِع إلى الإسلام ، فيمنعه قومه من ذلك ، ويُضيقون عليه ، حتى تركوه في بجاد ليس عليه غيره ، والجاد : الكساء الغليظ الجافى ، فَهَرَبَ منهم إلى رسول الله ﷺ ، فلما كان قريبا منه ، شقَّ بجاده باثنين ، فأنزَر بواحد ، واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله ﷺ ، فقيل له : ذو الجادين لذلك ، والجاد أيضا : المسح .

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري ، عن ابن أكيمة الليثي ، عن ابن أخي أبي رهم الغفاري ، أنه سمع أبا رهم كُثُومَ بن الحُصَيْن ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غَزَوْتُ مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبا من رسول الله ﷺ وألقى الله علينا النعاس فطَفَقْتُ أَسْتَقِظُ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله ﷺ ، فَنَفِزَ عَنِي دَنَوُهَا مِنْهُ ، مخافة أن أصيب رجله في العَرْزِ (١) فطَفَقْتُ أَحْوَزُ (٢) راحلتى عنه ، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق ، ونحن في بعض الليل ، فزاحمت راحلتى راحلة رسول الله ﷺ ورجله في العَرْزِ ، فما استيقظت إلا بقوله : حس (٣) ، فقلت : يا رسول الله ، استغفر لي . فقال : سر ، فجعل رسول الله ﷺ يسألني عَمَّنْ تَخْلَفُ عن بني غفار ، فأخبره به ؛ فقال وهو يسألني : ما فعل النَّفَرُ الحُمْرِ الطُّوَالِ الشُّطَاطِ (٤) . فحدَّثْتُهُ بِتَخْلُفِهِمْ . قال : فما فعل النَّفَرُ السود الجعاد القصار ؟ قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا . قال : بلى ، الذين لهم نَعَمٌ بِشَبَكَةِ شَدَخٍ ؛ فتذكَّرتهم في بني غفار ، ولم أذكرهم حتى نكرت أن لهم رهطاً من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهط من أسلم ، حلفاء فينا ؛ فقال رسول الله ﷺ : ما منع أحد أولئك حين تَخْلَفُ أن يحمل على بعير من إبله امرأً نشيطاً في سبيل الله ؟ إنَّ أَعَزَّ أَهْلِي عَلَى أَنْ يَتَخْلَفَ عَنِي المهاجرون من قُرَيْشِ والأنصارِ وغفارٍ وأسلم .

(١) العَرْزُ : ركاب الرجل وغرر رحله في العرر يغررها عرزا وصعها فيه ليركب والعرر للناقة مثل الحرام للعرس .

انظر لسان العرب ص ٣٨٦ ح ٥ .

(٢) أحور . أبعد . انظر لسان العرب ص ٣٤٠ ح ٥ .

(٣) حس . كلمة معناها أتألم أو وجع يقولها الإنسان إذا أصيب بشيء . انظر لسان العرب ص ٥٠ ح ٦ .

(٤) الشطاط : جمع شط وهو قليل شعر اللحية أو هو خفيف اللحية . انظر لسان العرب ص ٢٦٧ ح ٧ .

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

دعوتهم الرسول للصلاة فيه :

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحابُ مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إننا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشتائية ، وإننا نحب أن تأتينا ، فتصلي لنا فيه ؛ فقال : إني على جناح سفر ، وحال شغل ، أو كما قال ﷺ ، ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

أمر الرسول اثنين بهدمه :

فلما نزل بذي أوان ، أتاه خبرُ المسجد ، فدعا رسول الله ﷺ مالكَ ابن الدُخشم ، أخا بني سالم بن عوف ، ومَعْن بن عدى ، أو أخاه عاصم بن عدى ، أخا بني العجلان ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه ، فاهدماه وحرّماه . فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك ابن الدُخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنارٍ من أهلى . فدخل إلى أهله ، فأخذ سَعفا من النخل ، فأشعل فيه نارا ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرّماه وهدماه ، وتفرّقا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ... إلى آخر القصة .

أسماء بناء مسجد الضرار :

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خِدام بن خالد ، من بني عبيد بن زَيْد ، أحد بني عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة ابن حاطب من بني أمية بن زيد ، ومعتب بن قُسَيْر ، من بني ضبيعة بن زيد ،

(١) سورة التوبة آية ١٠٧ .

وأبو حبيبة بن الأزعر ، من بنى ضبيعة بن زيد ، وعباد بن حنيف ، أخو سهل ابن حنيف ، من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مُجَمَّع ابن جارية ، وزيد بن جارية ، وثبئل بن الحارث ، من بنى ضبيعة ، وبَحْزَج ، من بنى ضبيعة ، وبِجاد بن عثمان ، من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت ، وهو من بنى أمية بن زيد رهط أبي لبابة بن عبد المنذر .

مساجد الرسول فيما بين المدينة إلى تبوك :

وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مسماة : مسجد بتبوك ، ومسجد بئنية مدران ، ومسجد بذات الزراب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الخطمي ، ومسجد بالأاء ، ومسجد بطرف البتراء ، من ذنب كواكب ، ومسجد بالشق ، شق تارا ، ومسجد بذى الجيفة ، ومسجد بصدر حوضي ، ومسجد بالججر ، ومسجد بالصعيد ، ومسجد بالوادى ، اليوم وادى القرى ، ومسجد بالرقة من الشقة ، شقة بنى عذرة ، ومسجد بذى المروة ، ومسجد بالففاء ، ومسجد بذى خشب .

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين فى غزوة تبوك

نهى الرسول عن كلام الثلاثة المخلفين :

وقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب ابن مالك ، ومُرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ؛ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : لا تكلمن أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يخلفون له ويعتذرون ، فصَفَحَ عنهم رسول الله ﷺ ، ولم يعذرهم الله ولا رسوله . واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

حديث كعب عن تخلفه :

قال ابن إسحاق : فذكر الزهرى محمد بن مسلم بن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره ، قال : سمعت أبي كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ما تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط ، غير أنى كنت قد تخلفت عنه في غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحداً تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما خرج يريد عير قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ العقبة ، وحين تواتنا على الإسلام ، وما أحب أن لى بها مشهد بدر ، وإن كانت غزوة بدر هى أنكر فى الناس منها . قال : كان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك أنى لم أكن قط ، أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قط حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة ، وكان رسول الله ﷺ قلماً يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، واستقبل غزو عدو كثير ، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبة وأخبرهم خبره بوجهه الذى يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله ﷺ كثير ، لا يجمعهم كتاب حافظ ، يعنى بذلك الديوان ، يقول : لا يجمعهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك ، ما لم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار وأجبت الظلال ، فالناس إليها صُعُر^(١) ؛ فتجهز رسول الله ﷺ ، وتجهز المسلمون معه ، وجعلت أغدو لأتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى ، أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمر

(١) صغر : جمع أصغر ، وهو المائل ، ومنه قوله تعالى ﴿ ولا تصعر حنك للباس ﴾ أى لا تعرض عنهم ، ولا تمل وجهك إلى جهة أخرى . انظر لسان العرب ص ٤٥٦ ح ٤ .

الناس بالجدِّ ، فأصبح رسول الله ﷺ غاديا ، والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازى شيئا ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئا ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا ، وتفرط^(١) الغزو : فهممت أن أرتحل ، فأدركهم ، وليتنى فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله ﷺ ، فطفتُ فيهم ، يحزننى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصا^(٢) عليه فى النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرنى رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سلمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ، والنظر فى عطفه ؛ فقال له معاذ بن جبل : بئس ما قلت ! والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيرا ؛ فسكت رسول الله ﷺ .

فلما بلغنى أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلا من تبوك ، حضرني بئى^(٣) ، فجلعت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه رسول الله ﷺ غدا وأستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى ؛ فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أطل^(٤) قادم زاح^(٥) عنى الباطل ، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدقه ، وصبح رسول الله ﷺ المدينة ، وكان إذا قديم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك ، جاءه المخلفون ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فيقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وأيمانهم ، ويستغفر لهم ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فسلمت عليه ، فتبسم تبسم المغضب ، ثم قال لى : تعاله ، فجئت أمشى ، حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلفك ؟ ألم تكن

(١) تفرط الغزو : أى فات وسبق . وتقدم . انظر لسان العرب ص ٣٦٨ ج ٧ .

(٢) مغموصا عليه : مطعونا عليه . ورجل مغموص عليه فى حسبه أو دينه أى مطعون عليه . انظر لسان العرب ص ٦١ ج ٧ .

(٣) بئى : حزنى . البئى : الحزن . انظر لسان العرب ص ١١٤ ج ٢ .

(٤) أطل : أشرف وقرب . الإطلال : الدنو والقرب . انظر لسان العرب ص ٤١٨ ج ١١ .

(٥) زاح عنى : ذهب وزال . انظر لسان العرب ص ٤٦٨ ج ٢ .

ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إني يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، لكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثاً كذباً لترضيّن عني ، ولْيُوشِكَنَّ الله أن يُسخطك عليّ ، ولئن حدثتك حديثاً صديقاً تُجد عليّ فيه ، إني لأرجو عُقباى من الله فيه ، ولا والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . فقال رسول الله ﷺ : أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يقضى الله فيك . ففُمت ، وثار معي رجالٌ من بني سلمة ، فاتَّبَعُونِي فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك فوالله ما زالوا بي حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ ، فأكذب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا أحد غيري ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالاً مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ؛ قلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن الرِّبيع العُمري ، من بني عمرو بن عوف ، وهلال بن (أبي) أمية الواقفي ؛ فذكروا لي رجلين صالحين^(١) ، فيهما أسوة ، فصمت حين ذكروهما لي ، ونهى رسولُ الله ﷺ عن كلامنا أيُّها الثلاثة ، من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناسُ ، وتغيروا لنا ، حتى تنكرت لي نفسي والأرضُ ، فما هي بالأرض التي كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا ، وقعدا في بيوتهما ، وأما أنا فكننتُ أشبَّ القوم وأجلدهم ، فكننتُ أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمني أحد ، وآتى رسول الله ﷺ ، فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي ، هل حركَ شَفَتِيهِ برَدَ السلام عليّ أم لا ؟ ثم أصلى قريباً منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظر إليّ ، وإذا التفّتُ نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين ، مشيتُ حتى تسورت^(٢) جدار حائط أبي قتادة . وهو ابن عمي ، وأحبُّ الناس إليّ ، فسلمت عليه ، فوالله ما ردَّ عليّ السلام ، فقلت :

(١) تسورت : علوت . انظر لسان العرب ص ٣٨٥ د ٤ .

يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فعدت فأنشدته ، فسكت عني ، فعدت فأنشدته ، فسكت عني ، فعدت فأنشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، ووثبت فتسورت الحائط ، ثم غدوت إلى السوق ، فبينما أنا أمشى بالسوق ، إذا نبطى^(١) يسأل عني من نبط الشام ، ممن قديم بالطعام^(٢) يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يُشيرون له إلى ، حتى جاءني ، فدفع إلى كتابا من ملك غسان ، وكتب كتابا فى سرقة^(٣) من حرير ، فإذا فيه : « أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة ، فالحق بنا نواسك^(٤) » . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضا ، قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فى رجل من أهل الشرك . قال : فعمدت بها إلى ثور ، فسجرت^(٥) بها . فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله يأتينى ، فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرک أن تعتزل امرأتک ، قال : قلت : أطلقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبى بمثل ذلك ، فقلت لامراتى : ألقى بأهلك ، فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض . قال : وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له ، أفنكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا تقربك ؛ قالت : والله يا رسول الله ما به من حركة إلى ، والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوفت على بصره . قال : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله لامراتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ؛ قال : فقلت : والله لا أستأذنه فيها ، ما أدري مايقول رسول الله ﷺ لى فى ذلك إذا استأذنته

(١) النبطى . واحد النبط ، وهم قوم من الأعاجم . انظر لسان العرب ص ٤١١ د ٧ .

(٢) الطعام (هنا) : القمح .

(٣) السرقة : الشقة من الحرير . انظر لسان العرب ص ١٥٦ د ١٠ .

(٤) إقال ابن الأثير فى النهاية : المواساة : المشاركة والمساهمة فى المعاش والرزق وأصلها الهمة ، فقلت واوا ، تخمينا .

(٥) سجرت : ألهمته . السحر : النار . انظر لسان العرب ص ٣٤٥ د ٤ .

فيها وأنا رجلٌ شاب . قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة ، من حين نَهَى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا ، ثم صَلَّيتُ الصبح ، صبح خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت علينا الأرضُ بما رَحُبَتْ ، وضاقت عليّ نفسي ، وقد كنت ابتليت خِيمةً في ظهر سَلْعٍ ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أو في على ظهر سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء الفَرَج .

توبة الله عليهم :

قال : وآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلى فرسا ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ؛ فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى ، نزع ثوبى ، فكسوتهما إِيَّاه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسول الله ﷺ ، وتلقاني الناس يبشروننى بالتوبة ، يقولون : لِيَهْئِكَ توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسول الله ﷺ جالس جوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله ، فحياني وهنأنى ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال لى ، ووجهه يبرق من السرور أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك ، قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله قال : وكان رسول الله ﷺ إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكنا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتى إلى الله عزّ وجلّ أن أنخلع من مالى ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله ﷺ : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قال : قلت : إني مُمَسِّك سَهْمى الذى بخير . وقلت : يا رسول الله ، إن الله قد نجّانى بالصدق ، وإن من توبتى إلى الله أن

لا أحدث إلا صدقا ما حييت ، والله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرتُ لرسول الله ﷺ ذلك أفضل مما أبلاني الله ، والله ما تعمّدت من كذبة منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى .

وأَنزل الله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ فُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا ... ﴾ إلى قوله : ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هدانى للإسلام كانت أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله ﷺ يومئذ ، أن لا أكون كذبتة ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قاله لأحد ، قال : « سَيَخْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنُغَرِّضُوا عَنْهُمْ ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ، إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ الله لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ » (٢) .

قال : وكنا خُلِفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قَبِل منهم رسول الله ﷺ ، حين خَلَفوا له فعذرهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا ، حتى قَضَى الله فيه ما قضى ، فبذلك قال الله تعالى : « وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا » .

وليس الذى ذكر الله من تخليفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا ، وإرجائه أمرنا عمن حلف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه .

(١) سورة التوبة الآيات ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) سورة التوبة آية ٩٥ - ٩٦ .

أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر رمضان سنة تسع

إسلام عروة بن مسعود ورجوعه إلى قومه :

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان ،
وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عروة
ابن مسعود الثقفي ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن
يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ﷺ ، كما يتحدث قومه : إنهم
قاتلوك ، وعرف رسول الله ﷺ أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم ، فقال
عروة : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبقارهم (١) .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً ، فخرج يدعو قومه إلى
الإسلام رجاء أن لا يخالفوه ، لمنزلته فيهم ؛ فلما أشرف لهم على عليهِ (٢) له ،
وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه
سهم فقتله ، فترغم بنو مالك أنه قتله رجل منهم ، يقال له أوس بن عوف ،
أخو بني سالم بن مالك ، وترغم الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بني عتاب
ابن مالك ، يقال له وهب بن جابر ، ففيل لعروة : ما ترى في دمك ؟ قال :
كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إلي ، فليس في إلا ما في الشهداء
الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم ، فدفنوه
معهم ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه : « إن مثله في قومه لكمثل صاحب
ياسين في قومه » .

(١) أنكارهم : البكر : الفتى من الإبل

(٢) العلية (بكسر العين وصفا) : العرفة . والجمع العلالى أنظر لسان العرب ص ٨٦ ح ١٥

إثتار ثقفف على إرسال نفر للرسول :

ثم أقامت ثقفف بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم اثتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب مَنْ حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن عمرو بن أمية ، أبا بنى علاج ، كان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو ، الذى بينهما شىء^(١) ، وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب ، فمضى إلى عبد ياليل بن عمرو ، حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك : أخرج إلى قال : فقال عبدُ ياليل للرسول : ويلك ! أعمرو أرسلك إلى ؟ قال : نعم ، وهماو ذا واقفاً فى دارك ، فقال : إن هذا الشىء ما كنت أظنه ، لعمرو كان أمنع فى نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رَحِبَ به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، قد أسلمت العربُ كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا فى أمركم . فعند ذلك اثتمرت ثقفف بينها ، وقال بعضهم لبعض :

أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سِرْب^(٢) ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع ، فاثتمروا بينهم ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً ، كما أرسلوا عروة ، فكلّموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، وكان سنّ عروة بن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يصنع به إذا رجع كما صنع بعروة . فقال : لست فاعلاً حتى ترسلوا معى رجلاً ، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بنى مالك ، فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وشر حبيب بن غيلان بن سلمة بن معتب ،

(١) كذا فى الأصل وفى المواهب اللدنية (لشىء كان بينهما)

(٢) السرب : المال الراعى ، وهو أيضاً : الطريق ، والنفس . والمقصود بالمال الإبل . أنظر لسان العرب ص -

ومن بنى مالك عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد دُهمان ، أخوا بني يسار ، وأوس بن عوف ، أخوا بني سالم بن عوف ونُمير بن خَرشة بن ربيعة ، أخوا بني الحارث ، فخرج بهم عبدُ ياليل ، وهو ناب^(١) القوم وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صنع بعُروة بن مسعود ، لكي يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطه .

قدومهم المدينة وسؤالهم الرسول أشياء أبأها عليهم :

فلما دنوا من المدينة ، ونزلوا قناة ، ألقوا بها المغيرة بن شعبه ، يرعى في ثوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ ، وكانت رعينتها ثوبا على أصحابه ﷺ ، فلما رآهم ترك الركاب عند التَّقْفِين ، وضبر^(٢) يشتد ، ليشر رسول الله ﷺ بقدومهم عليه ، فلقه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ ، فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام ، بأن يشترط لهم رسول الله ﷺ شروطا ، ويكتتبوا من رسول الله ﷺ كتابا في قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ ، حتى أكون أنا أحدثه ؛ ففعل المغيرة . فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ . فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه ، فرَوَّحَ الظُّهرَ معهم ، وعلمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية ، ولما قَدِمُوا على رسول الله ﷺ ضرب عليهم قُبَّة في ناحية مسجده ، كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد بن العاص ، هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ ، حتى اكتتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله ﷺ ، حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية ، وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله ﷺ

(١) ناب القوم : سيدهم ، والمدافع عنهم . أنظر لسان العرب ص ٧٧٤ ، ج ١
(٢) صبر : وثب . فصبر العرس يضرب ضبرا وضربا إذا عذا وفي المحكم : جمع قوائمه ووثب أنظر لسان العرب ص ٤٧٩ ح ١

ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ، وبأبى عليهم ، حتى سألوا شهراً واحداً بعد مَقْدَمهم ، فأبى عليهم أن يدْعَها شيئاً مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يُظهرون أن يتَسَلَّموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يُروَعوا قَوْمهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ؛ فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمُغيرة بن شعبه فيهدماها ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسُتْعِفِكُم منه ، وأما الصلاة ، فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يا محمد فسُنُوْتِكِها ، وإن كانت دناءة .

تأمير عثمان بن أبي العاص عليهم :

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابَهم ، أمر عليهم عثمان بن أبي العاص ، وكان من أحدثهم سناً ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلُّم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، إني قد رأيتُ هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام ، وتعلم القرآن .

بلال ووفد ثقيف في رمضان :

قال ابن إسحاق : وحدثني عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي عن بعض وفدهم . قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصُمنّا مع رسول الله ﷺ ما بقي من رمضان ، بفطرتنا^(١) وسَحُورنا من عند رسول الله ﷺ ، فيأتينا بالسُّحُور ، وإنا لنقول : إنا لنرى الفجر قد طلع ، فيقول : قد تركت رسول الله ﷺ يتسحر ، لتأخير السُّحُور : ويأتينا بفطرتنا ، وإنا لنقول : ما نرى الشمس كلها ذهببت بعد . فيقول : ماجئتكُم حتى أكل رسول الله ﷺ ، ثم يضع يده في الجفنة ، فيلتقم منها .

عهد الرسول لابن أبي العاص حين أمره على ثقيف :

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي هند ، عن مُطَرَف بن عبد الله

(١) هي شرح السيرة لأبي ذر : « بطورتنا » . وهي رواية ابن هشام بعد .

ابن الشخير ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : كان من آخر ما عهد إلى رسول الله ﷺ حين بعثني على ثقيف أن قال : يا عثمان ، تجاوز في الصلاة ، واقدر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير ، والصغير ، والضعيف ، وذا الحاجة .

هدم الطاغية :

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله ﷺ معهم أباسفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ، في هدم الطاغية . فخرجا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهذم ؛ فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول ، وقام قومه دونه ، بنو معتب ، خشية أن يرمى أو يُصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حُسرا^(١) يئكين عليها

قال ابن إسحاق : ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهها لك^(٢) آها لك ! فلما هدمها المغيرة ، وأخذ ماله وحليها أرسل إلى أبي سفيان وحليها مجموع وماله من الذهب والجَزَع .

إسلام أبي مليح وقارب :

وقد كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قديما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف ، حين قُتل عروة ، يريدان فراق ثقيف ، وأن لا يجامعاهم على شيء أبدا ، فأسلما ؛ فقال لهما رسول الله ﷺ : توليا من شئتما ، فقالا : نتولى الله ورسوله ، فقال رسول الله ﷺ وخالكما أبا سفيان بن حرب ؛ فقالا : وخالنا أبا سفيان بن حرب .

(١) حُسرا : مكشوفات الرؤس . امرأة حاسر وهي كل مكشوفة الرأس والذراعين . أنظر لسان العرب ص ١٨٨

ح ٤

(٢) واهها لك : كلمة تقال في معنى التأسف والتحرر . وهي اسم فعل

سؤالهما الرسول ﷺ قضاء دين من أموال الطاغية :

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسول الله ﷺ أبو مليح بن عروة أن يقضى عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسول الله ﷺ : نعم ، فقال له قارب ابن الأسود ، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه وعروة والأسود أخوان لأب وأم ؛ فقال رسول الله ﷺ : إن الأسود مات مشركاً . فقال قارب لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، لكن تصل مسلماً ذا قرابة ، يعنى نفسه ، إنما الدين على ، وإنما أنا الذى أطلب به ، فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية ؛ فلما جمع المغيرة مالها قال لأبى سفيان : إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود دينهما ، فقضى عنهما .

كتاب الرسول لتقيف :

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذى كتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى ، رسول الله ، إلى المؤمنين : إن عضاه (١) وجّ وصيده لا يعضد (٢) ، من وجد يفعل شيئاً من ذلك ، فانه يجلد وتُنزَع ثيابه ، فان تعدى ذلك فانه يؤخذ فيبلغ به إلى النبى محمد ، وإن هذا أمر النبى محمد رسول الله :

وكتب خالد بن سعيد : بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعدّه أحد ، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ .

(١) العضاه : تنحر له شوك ، وهو أنواع ، واحدته عضه . العصى : الشجر العليط الذى يبقى فى الأرض . أنظر

لسان العرب ص ١٨٩ ح ٧

(٢) لا يعضد . لا يقطع . أنظر لسان العرب ص ٢٩٣ ح ٣

حج أبي بكر بالناس سنة تسع

اختصاص النبي ﷺ على بن أبي طالب رضوان الله عليه
بتأدية أول براءة عنه ، وذكر براءة والقصص في تفسيرها

تأشير أبي بكر على الحج :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوالاً وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ، ليقيم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم . فخرج أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين .

نزول براءة في نقض ما بين الرسول والمشركون :

ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد ، الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يصد عن البيت أحد جاءه ، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام . وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهد بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من العرب خصائص ، إلى آجال مسماة ، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه فى تبوك ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون ، منهم من سُمى لنا ، ومنهم من لم يسم لنا ، فقال عز وجل : « بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (١) : أى لأهل العهد العام من أهل الشرك .

اختصاص الرسول علياً بتأدية براءة عنه :

قال ابن إسحاق : وحدثني حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حُثَيْف ، عن أبي جعفر محمد بن علي رضوان الله عليه ، أنه قال : لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج ، قيل له : يا رسول الله وبعثت بها إلى أبي بكر ، فقال : لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل

(١) الآية الأولى من سورة التوبة .

بيتي ، ثم دعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال له : أخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى ، أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدّته ، فخرج علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ؛ فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا ، فأقام أبو بكر للناس الحجّ ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحجّ ، التي كانوا عليها في الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فأذن في الناس بالذى أمره به رسول الله ﷺ ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدّته ؛ وأجلّ الناس أربعة أشهر من يوم أن فيهم ، ليرجع كلّ قوم إلى مأمَنهم أو بلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدة ، فهو له إلى مدّته . فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان .

ثم قَدِمَا على رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام ، وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كلّ وجه .

قال ابن هشام : حدثني أبو عُبَيْدة : أن ذلك في سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

انقياد العرب وإسلامهم :

قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب تَرْبُصُ بالإسلام أمرَ هذا الحَيِّ من قُرَيْشٍ وأمر رسول الله ﷺ ، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لا يُنكرون ذلك ، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت له قُريش ، ودَوَّخها الإسلام ، وعرفت العرب أنه لا طاقةَ لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله ، كما قال عزَّ وجلَّ ، أفواجا ، يضربون إليه من كلِّ وجه ، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ، (١) ، أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان توابا .

قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات

فقدمت على رسول الله ﷺ وفُود العرب ، فقدم عليه عطارِد بن حاجب ابن زُرارة بن عُدُس التميمي ، فى أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع بن حابس التميمي ، والزُّبْرَقان بن بدر التميمي ، أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهتم ، والحَبَّاب بن يزيد .

قال ابن هشام : الحتات وهو الذى آخى رسول الله ﷺ بينه وبين معاوية ابن أبى سفيان ، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين ؛ بين أبى بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف ، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وبين أبى ذر الغفارى والمقداد بن عمرو البهرانى ، وبين معاوية بن أبى سفيان والحتات بن يزيد المجاشعى فمات الحتات عند معاوية فى خلافته ، فأخذ معاوية ما ترك وراثته بهذه الأخوة ، فقال الفرزدق لمعاوية :

(١) سورة النصر

أَبُوكَ وَعُمِّي يَا مَعَاوَى أَوْرَثَا
فَمَا بَالُ مِيرَاثِ الْحَتَاتِ أَكَلَتْهُ
تُرَاثَا فَيَحْتَازُ التُّرَاثَ أَقَارِبُهُ
وَمِيرَاثُ حَرْبٍ جَامِدٌ لَكَ ذَائِبُهُ
وهذان البيتان في أبيات له

قال ابن إسحاق : وفي وفد بني تميم نعيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ،
وقيس بن عاصم ، أخو بني سعد ، في وفد عظيم من بني تميم .

قال ابن هشام : وعطار بن حاجب ، أحد بني دارم بن مالك بن حنظلة
ابن مالك بن زيد مائة بن تميم ، والأقرع بن حابس ، أحد بني دارم بن مالك ،
والحات بن يزيد ، أحد بني دارم بن مالك ، والزبرقان بن بدر ، أحد بني بهدلة
ابن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مائة بن تميم ، وعمرو بن الأهتم ، أحد
بني منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مائة بن تميم ،
وقيس بن عاصم ، أحد بني منقر بن عبيد بن الحارث .

قال ابن إسحاق : ومعهم عيينة بن حصي بن حذيفة بن بدر الفزاري ،
وقد كان الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح
مكة وحنينا والطائف .

صياحهم بالرسول وكلمة عطارد :

فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا
رسول الله ﷺ من وراء حُجراته : أن اخرج إلينا يا محمد ، فأذى ذلك رسول
الله ﷺ من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نُفاخرُكَ ، فأذن
لشاعرنا وخطيبنا ؛ قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام عطارد بن حاجب ،
فقال :

الحمد لله الذي له علينا الفضل والمنّ ، وهو أهلُه ، الذي جعلنا مُلوكة ،
ووهب لنا أموالا عظيمة ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق
وأكثره عددا ، وأيسره عدّة ، فمن مثّلنا في الناس ؟ ألسنا بروؤوس الناس وأولى
فضلهم ؟ فمن فاخرنا فليعدّد مثل ما عدّدنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكننا
نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا . ثم جلس .

كلمة ثابت في الرد على عطار :

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشّماس ، أخى بنى الحارث بن الخزرج : قم ، فأجب الرجل فى خطبته . فقام ثابت ، فقال :

الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شىء قطّ إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقه حديثا ، وأفضله حسبا ، فأنزل عليه كتابه وأتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه ونوى رحمه ، أكرم الناس حسبا ، وأحسن الناس وجوها ، وخير الناس فعالا . ثم كان أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا ، وكان قتله علينا يسير . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

فقام الزبيرقان بن بدر ، فقال : شعرا :

نحنُ الكرامُ فلا حَى يُعادلُنَا مِنَّا المُلوكُ وفينا تُنصَبُ البِيعُ (١)
وكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الأَحْيَاءِ كُلَّهُم عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ العَرِّ يُتَّبَعُ
ونحنُ يُطْعِمُ عِنْدَ القَحْطِ مُطْعِمِنَا مِن الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ القَرْعُ (٢)

(١) البيع : البيعة : كنيسة النصارى وقيل كنيسة اليهود والجمع بيع وهو البيع مواضع الصلوات والعبادات .

انظر لسان العرب ص ٢٦ ج ٨

(٢) القَرْعُ : قطع من السحاب رقيقة كأنها ظل أو السحاب المتعرق أنظر لسان العرب ص ٢٧١ ج ٨

بما تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سُرَاتِهِمْ
فننحر الكُومَ عُبْطًا فِي أُرُومَتِنَا
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَيِّ نُفَاجِرُهُمْ
فَمَنْ يُفَاجِرُنَا فِي ذَاكَ نَعْرِفْهُ
إِنَّا أَبْيَا وَلَا يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ
مَنْ كَلَّ أَرْضٍ هَوِيًّا ثُمَّ تَصْطَنِعُ^(١)
لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنْزِلُوا شَبَعُوا^(٢)
إِلَّا اسْتَفَادُوا فَكَانُوا الرَّأْسَ يُقْطَعُ
فَيَرْجِعُ الْقَوْمُ وَالْأَخْبَارُ تُسْتَمْعُ
إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ

فلما فرغ الزبرقان ، قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت : قم يا حسان ،
فأجب الرجل فيما قال . فقام حسان ، قال :

إِنَّ الدَّوَانِبَ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ
يَرْضَى بِهِمْ كُلٌّ مِنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ
سَجِيَّةَ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمْ
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ
أَعْقَةُ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَقَّتَهُمْ
لَا يَنْخَلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ
إِذَا نَصَبْنَا^(٧) لِحَيٍّ لَمْ نَدِبْ لَهُمْ
قَدْ بَيَّنَّا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ^(٣)
تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلَّ الْخَيْرِ يَصْطَنِعُ
أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ تَفَعُّوا
إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا الْبِدْعُ
فَكَلَّ سَبَقَ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ
عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالْهِنِ مَتَعُوا^(٤)
لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُزِدِيهِمْ طَمَعُ^(٥)
وَلَا يَمْسُهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ^(٦)
كَمَا يَدْبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الدَّرْعُ^(٨)

قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن

(١) هُوبًا : سراعًا أنظر ترتيب القاموس المحيط ص ٥٤٨ ح ٤

(٢) الكوم : جمع كوماً وهي الناقة القطيعة السام . انظر ترتيب القاموس المحيط ص ١٠٢ ح ٤

(٣) الدوانب : السادة وأصله من دوانب المرأة وهي عذارها التي تعلق الرأس

(٤) متعوا : متسع النهار . ارتفعت شمسها أي طال وأمتد أنظر لسان العرب ص ٣٣٠ ج ٨

(٥) لا يطبعون : الطبع بالتحريك الدنس ، وأصله من الوسخ أنظر لسان العرب ص ٢٣٣ ج ٨

(٦) الطبع : الدنس أنظر لسان العرب ص ٢٣٣ ج ٨

(٧) نصبنا : نصب فلان لفلان نصبا إذا قصد له وعاداه ، نصبنا ففصنا وأظهرنا العداوة أنظر لسان العرب ص

٧٦١ ح ١١

(٨) الدرع : ولد البقرة الوحشية وقيل إما يكون درعا إذا قوى على المشي

أنظر لسان العرب ص ٩٦ ح ٨

حابس : وأبى ، إن هذا الرجل لمؤتى له^(١) ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله ﷺ ، فأحسن جوائزهم .

وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم في ظهرهم^(٢) ، وكان أصغرهم سناً ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يُبغض عمرو بن الأهتم : يا رسول الله ، إنه قد كان رجل منا في رحالنا ، وهو غلام حدث ، وأزرى به ، فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيساً قال ذلك يهجوه :

ظَلَلْتُ مَفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتُمْنِي عِنْدَ الرَّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصَبِّحِ^(٣)
سُدْنَاكُمْ سُودَّادًا رَهَوًا وَسُودِدْكُمْ^(٤) بَادٍ نَوَاجِدُهُ مُقْعٌ عَلَى الذَّنْبِ
قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : « إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ »^(٥) .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

في الوفاة عن بني عامر

وقدِم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر ، فيهم عامر بن الطفيل وأربد ابن قيس بن جَزء^(٦) بن خالد بن جعفر ، وجَبَّار بن سلمى بن مالك بن جعفر ،

(١) لمؤتى له : لموفق له .

(٢) في ظهرهم : في إيلهم . أبطر لسان العرب

(٣) الهلباء : يريد بها دبره ، من الهلب ، وهو الحشيش من الشعر . الهلب : الشعر كله وقيل هو ما علط من الشعر . لسان العرب ص ٧٨٦ ح ١

(٤) الرهو : المتسع . والواحد : الأساس . ومقع على الذنب : جالس على إلبتيه ، صام ساقيه يمد دنبه حلقه .

(٥) سورة الحجرات آية ٤

(٦) كذا في الأصول . وقال أبو ذر : « وأربد بن قيس بن حزى ، كذا وقع هنا في الأصل ، وذكره أبو عبيد عن

ابن الكلبي فقال : أس حرة . »

وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

تدبير عامر للغدر بالرسول :

تقدم عامرُ بن الطفيلُ عدوُّ الله ، على رسول الله ﷺ ، وهو يريد الغدرَ به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنتُ آليتُ أن لا أنتهيَ حتى تتبِعَ العربُ عقبي ، أفأنا أتُبِعُ عَقِبَ هذا الفتى من قُرَيْش ! ثم قال لأربد : إذا قَدِمْنَا على الرجل ، فإنني سأشغلُ عنك وجهه ، فإذا فعلتُ ذلك فأعْله^(١) بالسيف ؛ فلما قَدِمُوا على رسول الله ﷺ ، قال عامر بن الطفيل : يا محمد ، خالني^(٢) ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده . قال : يا محمد خالني . وجعل يكلمه وينتظر من أريد ما كان أمره به ، فجعل أريد لايحيرُ شيئا ؛ قال : فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالني قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له ، فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله لأملأُنها عليك خَيْلاً ورجالا ؛ فلما ولى قال رسول الله ﷺ : اللهم اكفني عامرَ بن الطفيل . فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ ، قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك . وإيمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبدا . قال : لا أبالك ! لا تَعْجَلْ عَلَيَّ ، والله ما هَمَمْتُ بالذى أمرتني به من أمره إلا نَحَلْتُ بيني وبين الرجل ، حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه :

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه ، فقتله الله في بيت امرأة من بني

(١) أعله بالسيف : أقتله به .

(٢) خالني (يتخيف اللام) : تفرد لى حاليا حتى أتحدث معك و (بتشديد اللام) : اتخذني حليلا وصاحبا ؛ من المحالة ، وهي الصداقة

سَلُول ، فجعل يقول : يا بنى عامر ، أَعْدَةُ (١) كَعْدَةُ الْبَكْرِ (٢) فى بيت امرأة من بنى سَلُول ! قال ابن هشام : ويقال أَعْدَةُ كَعْدَةُ الْإِبِل ، وموتا فى بيت سَلُولِيَّة .
موت أربد بصاعقة وما نزل فيه وفى عامر :

قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين واروه ، حين قَدِمُوا أَرْضَ بَنِي عامر شاتين ؛ فلما قَدِمُوا أَتَاهُمْ قَوْمُهُمْ فَقَالُوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شئ والله ، لقد دعانا إلى عبادة شئ لو دِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآن ، فَأَرْمِيهِ بِالنَّبْلِ حَتَّى أَقْتُلَهُ ، فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جملة صاعقة ، فَأَحْرَقَتْهُمَا . وكان أربد بن قيس أخوا لبيد بن ربيعة لأُمِّهِ .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ، قال : وأنزل الله عزَّ وجلَّ فى عامر وأربد : ﴿ اللَّهُ يَغْلِبُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ ... إلى قوله ﴿ وَمَالَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ (٣) قال : الْمُعَقَّبَاتُ : هى من أمر الله يحفظون محمداً . ثم ذكر أربد وما قتله الله به ، فقال : ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ إلى قوله : ﴿ شَدِيدُ الْمَجَالِ ﴾ (٤) .

(شعر لبيد فى بكاء أربد) :

قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكى أربد :
مَا إِنْ تُعْدَى الْمَنُونُ مِنْ أَحَدٍ لَا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ (٥)
أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ الْحُتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ نَوَى السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ
فَعَيْنَ هَلَّا بِكِيتَ أَرْبَدَ إِذْ قُمْنا وَقَامَ النِّسَاءُ فِى كَبَدٍ (٦)

(١) الغدة : داء يصيب البعير فيموت منه . وهو شبيه بالدحة التى تصيب الإنسان .

(٢) الذكر . العنق من الإبل . وإنما تأسف عامر أن لم يموت مقتولا ، كما يتأسف الشجعان ، وتأسف أيضا على موته فى بيت امرأة من سلول ، لأن بنى سلول قليل موصوف عددهم باللؤم ، وليس ذلك للؤم أصولهم ، لأن مكانهم من قومهم مشهور ، وإنما هو الشئ غلب عليهم كما غلب على محارب وباهلة .

(٣) الآيات من ١١٠٨ من سورة الرعد

(٤) الآية ١٣ من سورة الرعد

(٥) تعدى إترك

(٦) كند : حزن ومشقة

قدوم ضمام بن ثعلبة وافدا عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلا منهم ، يقال له ضمام بن ثعلبة .

سؤاله للرسول أسئلة ثم إسلامه :

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن الوليد بن ثوبان عن كريب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله ﷺ ، فقدم عليه ، وأناخ بغيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه ؛ وكان ضمام رجلاً جَلَدًا أشعرَ ذا غديرَين^(١) ، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه ، فقال أيكم ابن عبد المطلب ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطلب . قال : أمحمد ؟ قال : نعم ؛ قال : يا ابن عبد المطلب ، إني سائلك ومُغَلِّظٌ عليك في المسألة ، فلا تَجِدَنَّ^(٢) ، في نفسك ، قال : لا أجد في نفسي ، فسَلَّ عما بدا لك . قال أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرك أن تأمرنا أن نعبد وحده لأنشرك به شيئا ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرك أن نصلِّي هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة . الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، يَنْشُدُهُ عند كل فريضة منها كما يَنْشُدُهُ في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ؛ وسأودى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتني عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى

(١) العذيرة : الزمانة من الشعر

(٢) فلا تحدث في نفسك : فلا تحدث بها على

بعيره راجعا . قال : فقال رسول الله ﷺ : إن صدق ذو العقِصتين^(١) دخل الجنة .

دعوته قومه للإسلام :

قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : بثست اللات والعزى ! قالوا : مه يا ضمام ! اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا استنقذكُم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وقد جئكم من عنده بما أمركم به ، وما نهاكم عنه ، قال فوالله ما أمسى من ذلك اليوم فى حاضره^(٢) رجل ولا امرأة إلا مسلما .

قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوفاد قومٍ كان أفضل من ضمام من قبله .

قدوم الجارود فى وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو حلش أخو عبد القيس .

قال ابن هشام : الجارود بن بشر بن المعلّى فى وفد عبد القيس وكان نصرانيا .

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه ، فعَرَض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ، إنى قد كنت على دين ، وإنى تارك دينى لدينك ، أفنضمن لى دينى ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ نعم ، أنا ضامن إن قد هداك

(١) العقِصتان : الضفیرتان من الشعر

(٢) الحاضر : الحى

الله إلى ما هو خير منه . قال : فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسول الله ﷺ الحُمَلاَن (١) ، فقال والله ما عندي ما أحملكم عليه . قال : يا رسول الله ، فإن بيننا وبين بلادنا ضَوَالٌ من ضوَالِ الناس : أفنتبَلِّغُ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا ، إياك وإياها ، فإنما تلك حَرَقُ النار .

فخرج من عنده الجارود راجعا إلى قومه ، وكان حسن الإسلام ، صُلْبًا (٢) على دينه حتى هَلَكَ وقد أدرك الرِّدَّةَ ، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع العَرُور (٣) بن المنذر بن النُّعْمان بن المنذر ، قام الجارود فتكلَّم ، فتشَّهَّد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام فقال : أيها الناس ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأكفر من لم يشهد .

قال ابن هشام : ويروى : وأكفى من لم يشهد .

إسلام ابن ساوى :

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله ﷺ بعثَ العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العَبْدِي ، فأسلم فحسُن إسلامه ، ثم هَلَكَ بعد رسول الله ﷺ قبل رَدَّة أهل البَحْرَيْن ، والعلاء عنده أميرًا لرسول الله ﷺ على البَحْرَيْن .

قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقدَّم على رسول الله ﷺ وفد بنى حنيفة ، فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفي الكذاب .

قال ابن هشام : مسيلمة بن ثمامة ، ويكنى أبا ثمامة .

(١) الحُمَلاَن : ما يركبون عليه من دواب .

(٢) صُلْبًا : صليبا .

(٣) العَرُور : اسمه المنذر ، سمي كذلك لأنه عر قومه يوم حرب الردة (السهيلي) .

ما كان من الرسول لمسيمة .

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ، ثم من بني النجار ، فحدثني بعضُ علمائنا من أهل المدينة : أن بني حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب ، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه . معه عسيب^(١) من سَعَف النخل ، في رأسه خوصات ؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، وهم يسترونه بالثياب ، كلمه وسأله ، فقال له رسول الله ﷺ : لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا . زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ ، وخلفوا مسيمة في رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يارسول الله ، إنا قد خلفنا صاحبنا لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم ؛ وقال : أما إنه ليس بشركم مكانا ؛ أي لحفظه ضيعة أصحابه ، وذلك الذي يريد رسول الله ﷺ .

ارتداده وتنبؤه :

قال : ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ : وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عدوّ الله وتنبأ وتكذّب لهم ، وقال : إني قد أشركت في الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتُموني له : أما إنه ليس بشركم مكانا ؛ ماذا كان يعلم أني قد أشركت في الأمر معه ؛ ثم جعل يسجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة^(٢) للقرآن : « لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعي ، من بين صفاق^(٣) وحشى » . وأحلّ لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد

(١) العسيب : حريد النخل . أنظر لسان العرب ص ٥٩٩ ج ٢

(٢) مضاهاة : متناهية . وصاهاه . شاكله ، وضيئك ، شديك . أنظر ترتيب القاموس ص ٤٣ ج ٣

(٣) الصفاق : مارق من البطن . ما بين الجلد والمصران ، ومراق البطن . أنظر لسان العرب ص ٢٠٣ ج ١٠

لرسول الله ﷺ بأنه نبي ، فأصْفَقَتْ (١) معه حنيفة على ذلك ، فإله أعلم أى ذلك كان .

قدوم زيد الخيل فى وفد طييء

إسلامه وموته :

قال ابن إسحاق : وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وفد طييء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ؛ فلما انتهوا إليه كلّموه ، وعرض عليهم رسول الله ﷺ ، الاسلام ، فأسلموا ، فحسن إسلامهم ، وقال رسول الله ﷺ : كما حدثنى من لا أتهم من رجال طييء ؛ ما ذُكر لى رجلٌ من العرب بفضل ، ثم جاءنى ، إلا رأيته دون ما يُقال فيه ، إلا زيد الخيل : فإنه لم يبلغ كلّ ما كان فيه ، ثم سمّاه رسول الله ﷺ زيدَ الخير ، وقطع له فَيْدًا (٢) وأَرْضَيْنَ معه ؛ وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعا إلى قومه ؛ فقال رسول الله ﷺ : إن ينج زيد من حُمَى المدينة فإنه قال : قد سمّاها رسول الله ﷺ باسم غير الحمى ، وغير أمّ مَلْدَم (٣) فلم يثبتته . فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فَرْدَة ، أصابته الحُمَى بها فمات ، ولما أحسّ زيد بالموتِ قال : أُمَرْتُ لِقَوْمِ المِشَارِقِ غُدُوَّةً وَأُتْرِكُ فِى بَيْتِ بَفَرْدَة مُنْجَد (٤) أَلَا رَبِّ يَوْمَ لَوْ مَرِضْتُ لَعَانَنِي عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يُبَيِّرْ مِنْهُمْ يَجْهَد (٥) فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كُتُبِهِ ، التى قطع له رسول الله ﷺ ، فحرقتها بالنار .

(١) أصفّقوا على ذلك : أجمعوا عليه . الصفقة الاجتماع على الشيء أنظر لسان العرب ص ٢٠١ ح ١٠
(٢) فَيْد : اسم مكان بشرقى سلمى أحد جبل طييء . وهو الذى يسبب إليه خمى فَيْد . (النكرى) .
(٣) قال السهيلي فى (الروض ٢ : ٣٤٢) الاسم الذى ذهب عن الراوى من أسماء الحمى هو : أم كلبة (بضم الكلف) ذكر لى أن أبا عبيدة ذكره فى مقاتل الفرسان ، ولم أره
(٤) منجد : أى سجد .
(٥) يبرى (بالناء للمجهول) أى يدرىه السعر ويضعفه .

أمر عدى بن حاتم

هربه إلى الشام فرارا من الرسول وأسر ابنه حاتم :

وأما عدى بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغنى : ما من رجل من العرب كان أشدّ كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرأ شريفا ، وكنت نصرانيا ، وكنت أسير في قومي بالمرباع^(١) ، فكنت في نفسي على دين ، وكنت ملكا في قومي ، لما كان يُصنع بى . فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربى ، وكان راعيا لإبلى : لا أبا لك ، أعدد لى من إبلى أجمالا دُللا^(٢) سمانا ، فاحتبسها قريبا منى ، فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فاذنى ؛ ففعل ؛ ثم إنه أتانى ذات غداة ، فقال : يا عدى ، ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن ، فانى قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرب إلى أجمالى ، فقربها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام فسلكت الحوشية ، ويقال : الجوشية^(٣) فيما قال ابن هشام - وخلفت بنتا لحاتم فى الحاضر^(٤) ؛ فلما قُدمت الشام أقمت بها .

وتُخالفنى خيل لرسول الله ﷺ ، فنُصيب ابنة حاتم ، فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله ﷺ فى سبايا من طييء ، وقد بلغ رسول الله ﷺ هربى إلى الشام ، قال : فجعلت بنت حاتم فى حظيرة^(٥) بباب المسجد ، كانت السبايا يُحبس فيها ، فمر بها رسول الله ﷺ ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جزلة ، فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد^(٦) فأمنن على من

(١) أسير بالمرباع : أى أحد الربع من العائى ، لأى سيدهم .

(٢) دُل : جمع دلول ، وهو الحمل السهل الذى قد ريص .

(٣) الحوشية : حبل للضباب قرب ضربة من أرض نحد .

(٤) بنت حاتم هذه : هى سنانة كما رجحه السهيلي ، إذ لا يعرف له بنت غيرها . والحاضر : الحى .

(٥) الحظيرة : شبهة بالزرب الذى يصنع للإبل والعنم ليكفها . الموضع الذى يحاط عليها لتأوى إليه العنم والإبل .

أنظر لسان العرب ص ٢٠٤ ح ٤ .

(٦) الوافد : وفد : رار الوافد : الزائر . أنظر لسان العرب ص ٤٦٥ ح ٣

الله عليك . قال : وَمَنْ وافدك ؟ قالت : عَدَى بن حاتم . قال الفارّ من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني ، حتى إذا كان من الغد مرّبي ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لي مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مرّبي وقد يُست منه ، فأشار إليّ رجل من خلفه أن قومي فكلّميه ؛ قالت : فقمّت إليه ، فقلت : يا رسول الله هَلْكَ الوالد ، وغاب الوافد ، فأمننّ علىّ من الله عليك ؛ فقال ﷺ : قد فعلتُ ، فلا تعجّلي بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذنيني . فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن أكلمه ، فقيل : علىّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأقمّت حتى قدم ركب من بلّى أو قُضاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتي أخى بالشام . قالت : فجئت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، قد قَدِمَ رَهْط من قومي ، لي فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكسانى رسول الله ﷺ ، وحملنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قَدِمَت الشام .

إشارة ابنة حاتم على عدى بالإسلام :

قال عدى : فوالله إنى لقاعد فى أهلى ، إذ نظرت إلى طعينة^(١) تصوب إلى^(٢) تؤمنا ، قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هى هى ، فلما وقفت على انسحلت تقول : القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بقيّة والدك عورتك قال : قلت : أى أحيّة ، لا تقولى إلا خيرا ، فوالله مالى من عُذر ، لقد صنعتُ ما ذكرت . قال : ثم نزلت فأقامت عندى ، فقلت لها : وكانت امرأة حازمة ، ماذا تَرين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تُلحق به سريعا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن مليكا فلن تَنزِلَ فى عزّ اليمن ، وأنت أنت . قال : قلت : والله إن هذا الرأى .

(١) الطعينة . المرأة فى مودعها ، وقد تسمى طعينة وإن لم تكن فيه . أنظر لسان العرب ص ٢٧١ ح ١٣

(٢) تصوب إلى : تقصد وتؤم . أنظر لسان العرب ص ٥٣٦ ج ١

(٣) انسحلت : أهدت فى اللوم ومصّت فيه محدة . أنظر لسان العرب ص ٣٣٠ ج ١١

قدوم عدى على الرسول وإسلامه :

قال : فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه ، وهو في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : مَنْ الرجل ؟ فقلت : عدى بن حاتم ؛ فقام رسول الله ﷺ ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بى إليه ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بملك ؛ قال : ثم مضى بى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بى بيته ، تناول وسادة من آدم مخشوة ليفا ، فقفذها إلي ؛ فقال : اجلس على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها ، فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدى بن حاتم أنك ركوسيا (١) ؟ قال : قلت : بلى . (قال) : أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع ؟ قال : قلت : بلى ، قال : فان ذلك لم يكن يحل لك فى دينك ؛ أجل والله ، وقال : وعرفت أنه نبي مرسل ، يعلم ما جهل ؛ ثم قال : لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكنَّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكنَّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها (حتى) تزور هذا البيت ، لا تخاف ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم ، وأيم الله ليوشكنَّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم ؛ قال : فأسلمت .

وقوع ما وعد به الرسول عديا :

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت ، وأيم الله لتكونن الثالثة ، لَيَفِضَنَّ المال حتى لا يوجد من يأخذه .

(١) الركوسى : من الركوسية ، وهم قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين . أنظر لسان العرب ص ١٠١ ح ٦

قدوم فروة بن مسيك المردى

قال ابن إسحاق : وقَدَمَ فُروَةَ بن مُسَيِّك المُرَادَى على رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كندة . ومباعدًا لهم ، إلى رسول الله ﷺ .

وقد كان قُبَيْل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة ، أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا ، حتى أئخنوهم^(١) فى يوم كان يقال له : يوم الرِّدْم ، فكان الذى قاد همدان إلى مراد الأجدعُ بن مالك فى ذلك اليوم .

قال ابن هشام : الذى قاد همدان فى ذلك اليوم مالك بن حريم الهمدانى .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، قال له رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى : يا فروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرِّدْم ؟ قال : يا رسول الله ، مَنْ ذا يصيب قومَه مثل ما أصاب قومى يوم الرِّدْم لا يسوءه ذلك ! فقال رسول الله ﷺ له : أما إن ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيرا .

واستمعه النبى ﷺ على مراد وزبيد ومَنْجَج كلها ، وبعث معه خالد ابن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله ﷺ .

قدوم عمرو بن معديكرب فى أناس من بنى زبيد

وقَدِمَ على رسول الله ﷺ عمرو بن معديكرب فى أناس من بنى زبيد ، فأسلم ؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المردى ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ : يا قيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذُكر لنا أن رجلاً من قریش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول إنه نبى ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبياً كما يقول ، فإنه لن يخفى عليك ، وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك ، وسفّه رأيه ، فركب عمرو

(١) أئخنوهم : أكثروا القتل فيهم والجرح وفي التنزيل العزيز : « حتى إذا أئخنتموهم فقتلوا الوثاق » ، قال أبو العباس : معناه عذبتوهم وكثر فيهم الحرح أظفر لسان العرب ج ١٣ ص ٧٦

ابن مَعْدٍ يَكْرِبَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَسْلَمَ ، وَصَدَّقَهُ وَأَمَنَ بِهِ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قَيْسُ بْنُ مَكْشُوحٍ أَوْعَدَ عَمْرًا ، وَتَحَطَّمَ عَلَيْهِ^(١) ، وَقَالَ : خَالَفَنِي وَتَرَكَ رَأْيِي ؛ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ فِي ذَلِكَ :

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صَنْعَاءَ أَمْرًا بَادِيًا رَشْدُهُ^(٢)
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَالْمَعْرُوفِ تَنْتَعِدُهُ

ارْتَدَّادَهُ وَشَعْرَهُ فِي ذَلِكَ :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَأَقَامَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي زَيْدٍ وَعَلَيْهِمْ قُرُوءَةٌ مِنْ مُسِيكِ . فَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْتَدَّ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ .

قُدُومُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ فِي وَفْدِ كِنْدَةَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ ، فِي وَفْدِ كِنْدَةَ ، فَحَدَّثَنِي الزَّهْرِيُّ بْنُ شِهَابٍ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ثَمَانِينَ رَاكِبًا مِنْ كِنْدَةَ ، فَدَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَسْجِدَهُ ، وَقَدْ رَجَلُوا^(٣) جَمْعُهُمْ^(٤) وَتَكَحَّلُوا ، وَعَلَيْهِمْ جُبُّ الْحَبْرَةِ ، وَقَدْ كَفَّفُوها^(٥) بِالْحَرِيرِ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : أَلَمْ تُسَلِّمُوا ؟ قَالُوا : بَلَى ؛ قَالَ : فَمَا بَالُ هَذَا الْحَرِيرِ فِي أَعْنَاقِكُمْ ؛ قَالَ : فَشَفَّوْهُ مِنْهَا ، فَأَلْقَوْهُ .

ثُمَّ قَالَ لَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : نَحْنُ بَنُو آكِلِ الْمُرَارِ ، وَأَنْتَ ابْنُ آكِلِ الْمُرَارِ ؛ قَالَ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ : نَاسَبُوا بِهَذَا النَّسَبِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ وَرَبِيعَةُ رَجُلَيْنِ

(١) تَحَطَّمَ عَلَيْهِ : ائْتَدَّ عَلَيْهِ . أَنْظِرْ تَرْتِيبَ الْقَامُوسِ ص ٦٦٦ ح ١

(٢) ذِي صَنْعَاءَ . مَوْصِعٌ .

(٣) رَجَلُوا : التَّرَحَّلَ وَالتَّرَحِيلَ تَسْرِيجَ الشَّعْرِ وَتَنْظِيفَهُ وَتَحْسِينَهُ أَنْظِرْ لِسَانَ الْعَرَبِ ص ٢٧٠ ح ١١

(٤) جَمْعُهُمْ : مَجْتَمَعُ شَعْرِ الرَّأْسِ أَنْظِرْ تَرْتِيبَ الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ ص ٥٣٢ ح ١

(٥) كَفَّفُوها بِالْحَرِيرِ : جَمَعُوا حَوْلَهَا الْحَرِيرَ أَنْظِرْ لِسَانَ الْعَرَبِ ص ٣٠١ ح ٩

تاجرین وکانا إذا شاعا فی بعض العرب ، فسُئلا ممن هما ؟ قالا : نحن بنو
آكل المُرار ، يتعزّزان بذلك ، وذلك أن كِنْدَةَ كانوا ملوكا . ثم قال لهم : لا ،
بل نحن بنو النَّضْر ابن كنانة ، لا نَقْفُوا^(١) أُمَّنَا ، ولا ننتفى من أبينا ، فقال
الأشعث بن قيس : هل فرغتم يا معشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلا يقولها
إلا ضربته ثمانين .

قال ابن هشام : الأشعث بن قيس من ولد آكل المُرار من قبَل النساء ،
وآكل المُرار : الحارث بن عمرو بن حَجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث
ابن معاوية بن ثور بن مُرْتَع بن معاوية بن كندى ؛ ويقال كندة ، وإنما سُمي
آكل المُرار ، لأن عمرو بن الهَبُولَةَ الغَسَّانِي أغار عليهم ، وكان الحارث غائبا ،
فغنم وسبى ، وكان فيمن سبى أم أناس بنت عوف بن محَلَم . الشَّيْبَانِي ، امرأة
الحارث بن عمرو ، فقالت لعمرو في مسيرة : لكأنى برجل أذلّم^(٢) أسود ،
كأن مشافره مشافر بعير آكل مُرار^(٣) قد أخذ برقبتك ، تعنى الحارث ، فسمى
آكل المُرار ، والمُرار : شجر . ثم تبعه الحارث في بنى بكر ابن وائل ،
فلحقه ، فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب .

قدوم صرد بن عبد الله الأزدي

قال ابن إسحاق : وقَدِمَ على رسول الله ﷺ صُرْدُ بن عبد الله الأزدي ،
فأسلم ، وحسُن إسلامه ، في وفد من الأزدي ، فأمره رسول الله ﷺ على من
أسلم من قومه . وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ،
من قبَل اليمن .

(١) لا نقفوا أُمَّنَا : لا نتبع سبب أُمَّنَا أنظر لسان العرب ص ١٩٦ ج ١٥ وقد كان من حداث الرسول ﷺ من هي
من ذلك القبيل ، منهن دعد بنت سريز بن ثعلبة بن الحارث الكندي المذكور ، وهي أم كلاب بن مرة ، وقيل : بل
هي حدة كلاب ، أم أمه هند ، وقد ذكر ابن إسحاق هذا ، وذكر أنها ولدت كلابا (عن السهيلي) .
(٢) الأذلّم : المسترخى التفتيح . وهو شديد السواد ترتب القاموس ص ٢٠٦ ج ٢
(٣) المُرار (بضم الميم) : نبت إذا أكلته الإبل تقتصت مشافرها ، لمرارته . أنظر لسان العرب ص ١٦٧ ج ٥

قتاله أهل جرش :

فخرج صُرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ ، حتى نزل بجرش^(١) ، وهى يومئذ مدينة معلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضُوت^(٢) إليهم خَنَعَم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر ، ظن أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزما ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عطف عليهم ، فقتلهم قتلا شديدا .

أخبار الرسول وافدى جرش بما حدث لقومها

وقد كان أهل جُرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران ؛ فبيناهما عند رسول الله ﷺ عشيّة بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله ﷺ : بأى بلاد الله شكر ؟ فقام إليه الجرشيان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كَشَر ؛ وكذلك يسميه أهل جُرش ، فقال : إنه ليس بكَشَر ، ولكنه شكر ؛ قالوا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : إن بُدُن الله لتُنحر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما^(٣) فقوموا إلى رسول الله ﷺ ، فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما ، فقاما إليه ، فأسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجوا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صُرد بن عبد الله ، فى اليوم الذى قال فيه رسول الله ﷺ ما قال ، وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر .

(١) حُرَش . محلاف من مخاليف اليمن أنظر لسان العرب ص ٢٧٢ ح ٦

(٢) صوت إليهم : ضوى يضوى ضياء وضوياً انضم ولما أنظر ترتيب القاموس المحيط ص ٤٦ ح ٣

(٣) نعى : نعى الميت يبعاه نعيًا إذا أذاع موته وأحبره أنظر لسان العرب ص ٣٢٤ ح ١٥

إسلام أهل جرش :

وخرج وفد جُرش حتى قَدِموا على رسول الله ﷺ فأسلموا ، وَحَمَى لَهُمْ
حَمَى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة وللمثيرة ، بقرة
الحرث ، فمن رعاه من الناس فما لهم سُحَّتْ . فقال في تلك الغزوة رجل من
الأزد : وكانت خَنَعَم تُصِيب من الأزد في الجاهلية ، وكانوا يَغْدُونَ^(١) في
الشهر الحرام :

يا غَزَوَةً ما غَزَوْنَا غيرَ خَائِيَةٍ فِيهَا الْبِغَالُ وفيها الْخَيْلُ وَالْحُمُرُ
حتى أَتَيْنَا حُمَيْرًا في مَصَانِعِهَا وَجَمْعُ خَنَعَمَ قَدْ شَاعَتْ لَهَا النُّذُرُ^(٢)
إذا وَضَعْتُ غَلِيلًا كُنْتُ أَحْمِلُهُ فَمَا أَبَالِي أَدَانُوا بَعْدَ أم كَفَرُوا^(٣)

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

وَقَدِمَ على رسول الله ﷺ كِتَابُ مُلُوكِ حَمِيرٍ ، مَقْدَمَةٌ من تَبُوكَ ،
ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كُلال ، ونعيم بن عبد كُلال ،
والتُّعْمَانُ قِيلُ^(٤) ذِي رُعَيْنِ وَمَعَاظِرَ وَهَمْدَانِ ؛ وَبَعَثَ إِلَيْهِ رُزْعَةُ ذُو يَزْنٍ مَالِكُ
ابن مَرَّةٍ الرَّهَاطِيُّ بِإِسْلَامِهِمْ ، وَمَفَارِقَتِهِمُ الشَّرْكَ وَأَهْلَهُ .
فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ رِسُولُ اللَّهِ ﷺ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : من محمد رسول الله النبي ، إلى الحارث بن
عبد كُلال ، وإلى نعيم بن عبد كُلال ، وإلى التُّعْمَانِ ، (قِيلَ ذِي رُعَيْنِ وَمَعَاظِرَ
وَهَمْدَانِ) أما بعد ذلكم ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أما بعد ،
فإنه قد وقع بنا رسولكم مُنْقَلَبًا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم

(١) يعدون . يعتدون ويتحاورون أنظر لسان العرب ص ٣٣ ج ١٥

(٢) حمير : تصغير ترخيم لحمير ، شاعت : ذاعت أنظر لسان العرب ص ١٩١ ح ٨ ، والمصانع : الأبنية الضخمة
وقال الأصمعي : العرب تسمى القرى مصانع ، والمصانع : الحصون لسان العرب ٢١١ / ج ٨

(٣) الغليل : حر الجوف من عطش أو نحوه أنظر لسان العرب ص ٤٩٩ ح ١١

(٤) القيل : الملك من ملوك يتقبل من قبله من ملوكهم يشبهه وقال تعلق : الأفيال الملوك من غير أن يحص بها ملوك
حمير أنظر لسان العرب ص ٥٨٠ ح ١١

به ، وخبرنا ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهُداة ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغنم خمس الله ، وسهم الرسول وصفيه (١) ، وما كُتِبَ على المؤمنين من الصدقة من العقار (٢) ، عشر ما سَقَت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب (٣) نصف العشر ؛ وإن في الإبل الأربعين ابنة لبون ، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر وفي كل خمس من الإبل شاة ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ؛ وفي كل ثلاثين من البقر تبيع ، جَذَع أو جَذَعَة ؛ وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، وإنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه ، وظاهر (٤) المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ؛ ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها ، وعليه الجزية ، على كل حال ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واف ، من قيمة المعافر (٥) أو عوضه ثيابا ، فمن أدى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله . أما بعد ، فإن رسول الله محمد النبى : أرسل إلى زُرعة ذى يزن أن إذا أتاكم رُسلى فأوصيكم بهم خيرا : معاذ بن جبل ، وعبدُ الله بن زيد ، ومالكُ بن عبادة ، وعقبة بن نمر ، ومالك بن مُرة ، وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم ، وأبلغوها رُسلى ، وإن أميرهم معاذ بن جبل ، فلا يَنْقَلِبَنَّ إلّا راضيا . أما بعد . فإن محمد يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مُرة الرَّهاوى قد حدّثنى أنك أسلمت من أول حمير ، وقتلت

(١) الصغى : واصفاه : أخذ الرئيس صغيه من المعنم نفسه ما اصطفاه منه أساس البلاغة ص ٣٥٧
(٢) العقار : المبرل والصيغة يقال : ماله دار ولا عقار وفي الحديث من ناع داراً أو عقاراً قال العقار : الصيغة والنحل والأرض ونحو ذلك أنظر لسان العرب ص ٥٩٧ ج ٤
(٣) الغرب : دلو عظيم من مسك (حلد) الثور والجمع غُرُوب أنظر لسان العرب ص ٦٤٢ ج ١
(٤) طاهر : قوى وعارس : واستطهر به : استعان به وتطاهروا . تعاوبوا أنظر لسان العرب ص ٥٢٥ ح ٤
(٥) المعافر : ثياب من ثياب اليمى تسب إلى رحل من اليمى اسمه معافر بن مرة أنظر لسان العرب ص ٥٩٠ ح ٤

المشركين ، فأبشّر بخير وآمرك بحمير خيرا ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإنّ رسول الله هو وليّ غنيّكم وفقيركم ، وأن الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هي زكاة يُزكّي بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وأن مالكا قد بلغ الخبر ، وحفظ الغيب ، وآمركم به خيرا ، وإنّي قد أرسلتُ إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وآمركم بهم خيرا ، فإنهم منظور إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصية الرسول معاذًا حين بعثه إلى اليمن

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدّث : أن رسول الله ﷺ حين بعث معاذًا ، أوصاه وعهّد إليه ، ثم قال له : يسّر ولا تعسر ، وبشّر ولا تنفّر ، وإنك ستقدّم على قوم من أهل الكتاب ، يسئلونك ما مفتاح الجنة ؛ فقل : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ قال فخرج معاذ ، حتى إذا قدّم اليمن قام بما أمره به رسول الله ﷺ ، فأنته امرأة من أهل اليمن ، فقالت يا صاحب رسول الله ، ما حقّ زوج المرأة عليها ؟ قال : ويحك ! إن المرأة لا تقدر على أن تؤدّي حقّ زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت ، قالت والله لئن كنت صاحب رسول الله ﷺ إنك لتعلم ما حقّ الزوج على المرأة قال : ويحك ! لو رجعت إليه فوجدته تنّعب (١) منخراه قيحا ودما ، فمصّصت ذلك حتى تُذهبيه ما أدبت حقه .

إسلام فروة بن عمرو الجذامى

قال ابن إسحاق : وبعث فروة بن عمرو النافرة الجذامى ، ثم الثفانى ، إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه ، وأهدى له بغلةً بيضاء ، وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام .

(١) تنّعب . ثعب الدم والماء يتعبه : فحره كما ينثعب الدم من الأنف ومنه حديث عمر رضى الله عنه : صلى وجرحه ينثعب دماً أى سال . أنظر لسان العرب ص ٢٣٦ ح ١

فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه ، طَلَبُوهُ حَتَّى أَخَذُوهُ ، فَحَبَسُوهُ عِنْدَهُمْ
فَزَعَمَ الزَّهْرِيُّ بْنُ شَهَابٍ ، أَنَّهُمْ لَمَّا قَدَّمُوهُ لِيَقْتُلُوهُ قَالَ :

بَلَّغْ سَرَاةَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْنَى سَلَّمَ لِرَبِّي أَعْظَمَى وَمَقَامِي
ثُمَّ ضَرَبُوا عُنُقَهُ ، وَصَلَبُوهُ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ ، يَرْحِمُهُ اللَّهُ تَعَالَى .

إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد لما سار إليهم :

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، فى شهر ربيع
الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره
أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن
لم يفعلوا فقاتلهم . فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الرُكبان يَضْرِبُونَ فى
كُلِّ وَجْهٍ ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس ، أسلموا تسلموا ،
فأسلم الناسُ ، ودخلوا فيما دُعُوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب
الله وسنة نبيه ﷺ ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

كتاب خالد إلى الرسول يسأله رأيه فى البقاء أو المجيء :

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ : من خالد بن الوليد ، السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله
إلا هو ، أما بعد ، يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث
ابن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ،
فإن أسلموا أقمت فيهم ، وقبلت منهم ، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة
نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنى قدِمْتُ عليهم فدعوئهم إلى الإسلام ثلاثة
أيام ، كما أمرنى رسول الله ﷺ ، وبعثت فيهم رُكباناً ، قالوا : يا بنى
الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مُقيم بين أظهرهم ، أمرهم
بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة
النبي ﷺ حتى يكتب إلى رسول الله ﷺ ، والسلام عليك يا رسول الله
ورحمة الله وبركاته .

كتاب الرسول إلى خالد يأمره بالمجىء :

فكتب إليه رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد : سلام عليك ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك تُخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشّرهم وأنذرهم ، وأقبل ولتقبل معك وفدّهم : والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ ، وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب ، منهم قيس بن الحصين ذى العُصّة (١) ويزيد بن عبد المَدان ، ويزيد بن المحجل ، وعبد الله بن فُراد الزَّيَّادى ؛ وشَدَّاد بن عبد الله القناني ، وعمرو بن عبد الله الضَّبَّابى (٢) .

حديث وفدهم مع الرسول :

فلما قَدِمُوا على رسول الله ﷺ فرآهم ، قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ، قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب ؛ فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلّموا عليه ، وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ؛ قال رسول الله ﷺ : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله ﷺ : أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا ، فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية . فلم يراجعهم منهم أحد ثم أعادها الثالثة فلم يراجعهم منهم أحد ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المَدان : نعم ، يا رسول الله ، نحن الذين إذا زُجروا استقدموا ، قالها أربع مرار ؛ فقال رسول

(١) سُمى ذا العُصّة ، لأنه كان إذا تكلم أصابه كالعصص . وهو لقب رجل من فرسان العرب انظر لسان العرب ص ٦٢ ح ٧

(٢) ضباب (بكسر الصاد) فى بنى الحارث بن كعب ، وفى قريش ، وفى بنى عامر بن صعصعة هـ (بالفتح) فى سبب الناحية الديباني . و (بالصم) فى بنى بكر (انظر السهيلي) .

الله ﷺ : لو أن خالدًا لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تُقاتلوا ، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم ؛ فقال يزيد بن عبد المَدان : أما والله ما حَمَدناك ولا حمدنا خالدًا ، قال : فمن حَمَدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عزَّ وجلَّ الذي هدانا بك يا رسول الله ؛ قال : صدقتم . ثم قال رسولُ الله ﷺ : بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : لم تكن نغلب أحدًا ؛ قال بلى ، قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم ؛ قالوا : كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله إنا كنا نَجتمع ولا نَفترق ، ولا نبدأ أحدًا بظلم ؛ قال : صدقتم وأمر رسول الله ﷺ على بنى الحارث بن كعب قيسَ بن الحُصَيْن .

فرجع وفدُ بنى الحارث إلى قومهم في بَقِيَّة من شَوَّال ، أو في صدر ذى القعدة ، فلم يَمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى تُوفى رسول الله ﷺ ، ورحم وبارك ، ورضى وأنعم .

بعث الرسول عمرو بن حزم بعهدة إليهم :

وقد كان رسولُ الله ﷺ بعث إليهم بعد أن ولى وفَدهم عمرو بن حزم ، ليفقَّههم في الدين ، ويعلمهم السُّنَّة ومَعَالِمَ الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتابا عهد إليه فيه عَهده ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا بيان من الله ورسوله ، يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النَّبِىِّ رسول الله لعمر بن حَزْم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتَقْوَى الله في أمره كُلِّه ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحقِّ كما أمره الله ، وأن يبشِّرَ الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقَّههم فيه ، وينهى الناس ، فلا يمسَّ القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ، والذى عليهم ، ويلين للنَّاس فى الحقِّ ، ويشدَّ عليهم فى الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : « أَلَا لَعْنَةُ الله على الظَّالِمِينَ » (١) ويبشِّرُ الناس بالجنة ويعملها ، ويُنذِرُ الناس النارَ وعملها ،

(١) سورة هود الآية ١٨

ويستألف الناس حتى يُفَقَّهُوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحجّ وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحجّ الأكبر : الحجّ الأكبر ، والحجّ الأصغر : هو العمرة ؛ وينتهي الناس أن يصلّي أحدّ في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه ؛ وينهى الناس أن يحتبّي أحد في ثوب واحد يُفضّى بفرجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص^(١) أحد شعر رأسه في قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هَيْج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عزّ وجلّ وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فَلْيَقُطُّوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوهم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ، ويُغَسّ بالصباح ، ويَهْجُر بالهجرة حين تميل بالشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدْبِرَة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا يؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل ؛ وأمر بالسّعي إلى الجمعة إذا نودى لها ، والغَيْل عند الرّواح إليها ؛ وأمره أن يأخذ من المغنم خُمس الله ؛ وما كُتِبَ على المؤمنين في الصّدقة من العقار عَشْرُ مَسَقَّتِ العين وسقت السماء ، وعلى ما سَقَى الغَرْبُ نصف العُشر ؛ وفي كلّ عشر من الإبل شاتان ، وفي كلّ عشرين أربع شياه ، وفي كلّ أربعين من البقر بقرة ، وفي كلّ ثلاثين من البقر تبيع ، جَذَع أو جَذَعَة ، وفي كلّ أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له ؛ وأنه من أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ إسلاما خالصا من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فانه من المؤمنين ، له مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يُرَدُّ عنها ، وعلى كلّ حال : ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ، دينار أو وافٍ أو عوضه ثيابا .

(١) يعقص : من العقص وهو أن تلعى الحصلة من الشعر ثم تعقدها ثم ترسلها وفي حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من لبد أو عقص فعليه الحلق يعنى المحرمين بالحج أو العمرة وإنما جعل عليه الحلق لأن هذه الأشياء تقى الشعر من الشمس وتصبوه ، ألزمه حلقه بالكلية منالعة في عقوبته لسان العرب ص ٥٦ ج ٧

فمن أدّى ذلك ، فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومن منع ذلك ، فانه
عدوّ الله ولرسوله وللمؤمنين جميعا ؛ صلوات الله على محمد ، والسلام عليه
ورحمة الله وبركاته .

قدوم رفاعة بن زيد الجذامي

إسلامه وحمله كتاب الرسول إلى قومه :

وقدّم على رسول الله ﷺ في هُدنة الحُدَيْبِيَّة ، قبل خيبر ، رفاعة بن
زيد الجذامي ثم الضَبْيِيُّ ، فأهدى لرسول الله ﷺ غلاما ، وأسلم ، فحسن
إسلامه ، وكتب له رسول الله ﷺ كتابا إلى قومه . وفي كتابه : بسم الله
الرحمن الرحيم ؛ هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد . إني بعثته
إلى قومه عامّة ، ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل
منهم ففي حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين .
فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرّة : حرّة
الرّجلاء ، ونزلوها .

قدوم وفد همدان

أسماءهم وكلمة ابن نمط بين يدي الرسول :

قال ابن هشام : وقدّم وفد همدان على رسول الله ﷺ ، فيما حدثني من
أثق به ، عن عمرو بن عبد الله بن أذينة العبدى ، عن أبى إسحاق السّبيعى ،
قال : قدّم وفد همدان على رسول الله ﷺ ، منهم مالك بن نمط ، وأبو ثور ،
وهو ذو المشعار ، ومالك بن أئفّع وضيم بن مالك السّلماني وعميرة بن مالك
الخارفي ، فلقوا رسول الله ﷺ مرّجعه من تبوك وعليهم مقطّعات
الجبرّات^(١) ، والعمائم العدنية ، برحال الميس^(٢) على المهرية^(٣) والأرْحَبِيَّة^(٤)

(١) المقطّعات : المقطع من الثياب كل ما يفصل ويخاط من قميص وحلّاب وسراويل وغيرها لسان العرب ص ٢٨٣

ج ٨ ، الحبرات جمع حنّره وهو صرب من صروب اليمن لسان العرب ص ١٥٩ ح ٤

(٢) الميس : شجر تعمل منه الرّحال التي تكور على ظهور الإبل لسان العرب ص ٢٢٥ ج ٦

(٣) المهرية : الإبل النحية تنسب إلى مهرة قبيلة داليس لسان العرب ص ١٨٦ ج ٥

(٤) الأرْحَبِيَّة : إبل تنسب إلى أرْحَب من قبائل همدان لسان العرب ص ٤١٦ ح ١

ومالك بن نَمَطَ ورجل آخر .

فقام مالك بن نَمَطَ بين يديه ، فقال : يا رسول الله ، نَصِيَّةُ (١) من هَمْدان ، من كلِّ حاضر وباد ، أَتَوَكُّ على قُلُصْ نَوَاج (٢) ، مُتَّصِلَةٌ بحبائل الإسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من مخلاف (٣) خارف وياهم وشاكر (٤) أهل السود والقود (٥) ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا الإلهات (٦) الأنصاب (٧) ، عهدهم لا يُنْقَضُ ما أقامت لَعْلَع (٨) ، وما جرى اليعفور (٩) بصَلَع (١٠) .

كتاب الرسول بالنهي :

فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من رسول الله محمد ، لمخلاف خارف وأهل جناب الهَضْب وحقاف (١١) الرمل ، مع وافدها ذى المشعار مالك ابن نَمَطَ ، ومن أسلم من قومه ، على أن لهم فِراعها (١٢) ووهاطها (١٣) ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، يأكلون عِلَافها (١٤) وَيَرْعُونَ عَافِيَهَا (١٥) ، لهم بذلك عهدُ الله ونِمام رسوله ، وشاهدُهم المهاجرون والأنصار .

(١) النصية . حيار الغوم لسان العرب ص ٣٢٨ ج ١٥

(٢) القلص : الإبل الغنية لسان العرب ص ٨١ ج ٧

(٣) ، (٤) المخلاف : خارج المدينة وأطرافها ومنها حديث ذى المشعار من مخلاف خارف وياهم وشاكر قبائل اليمن . أنظر لسان العرب ٩٦ ج ٩

(٥) السود : الإبل ، والقود : الحيل يقال مريسا قود . لسان العرب ٣٧٠ ج ٣

(٦) الإلهات . جمع إلهة

(٧) الأنصاب : حجارة كانوا ينحون لها لسان العرب ٧٥٩ ج ١

(٨) لعلع : حبل كانت بها وقعة وقيل هو ماء بالنادية . لسان العرب ٣٢٠ ج ٨

(٩) اليعفور : ولد الطني . لسان العرب ٥٩٠ ج ٤

(١٠) وصلع : اسم موضع معجم البلدان

(١١) الحقاف : جمع حقف وهو ما اعوج من الرمل واستطال لسان العرب ٥٢ ج ٩

(١٢) الفراع : ما علا من الأرض وارتفع لسان العرب ٢٤٦ ج ٨

(١٣) الوهاط . المطمئن من الأرض المستوى ينبت فيه العيشاء والمر والطلح لسان العرب ٤٣٤ ج ٧

(١٤) العلاف : ثمر الطلح لسان العرب ٢٥٦ ج ٩

(١٥) عافيتها . عفا النبات والشجر وعيره يعفو فهو عاف . كثر وطال . لسان العرب ٧٥ ج ١٥

ذكر الكذابين مسيلمة الحنفى والأسود العنسى

قال ابن إسحاق : وقد كان تكلم فى عهد رسول الله ﷺ الكذابان مُسَيْلِمة ابن حَبِيب باليمامة فى بنى حنيفة ، والأسود بن كعب العنسى بصنعاء .

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسيط ، عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبى سعيد الخُدْرى ، قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره ، وهو يقول : أيُّها الناس ، إنى قد رأيت ليلة القدر ، ثم أنسيتها ، ورأيت فى ذراعى سوارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين : صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا كلهم يدعى النبوة .

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات ، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان ؛ فبعث المهاجر بن أبى أمية ، ابن المغيرة إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسى وهو بها ، وبعث زياد بن لبيد ، أخا بنى بياضة الأنصارى ، إلى حضر موت وعلى صدقاتها ؛ وبعث عدى بن حاتم على طيبء وصدقاتها ، وعلى بنى أسد ؛ وبعث مالك بن نويرة - قال ابن هشام : اليربوعى - على صدقات بنى حنظلة ، وفرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم ، فبعث الزُّبرقان بن بدر على ناحية منها ، وقيس بن عاصم على ناحية ، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمى على البحرين ، وبعث على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران ، ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيّتهم .

كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مُسَيْلِمة بن حَبِيب ، قد كتب إلى رسول الله ﷺ : من مُسَيْلِمة

رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ؛ أما بعد ، فإنني قد أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقریش نصف الأرض ، ولكن قریشا قوم يعتدون .

فقدّم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثني شيخ من أشجع ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي عن أبيه نعيم ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال فقال : أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما .

ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى مسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .
وذلك في آخر سنة عشر .

حجة الوداع

قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة ، جهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبي ﷺ ، قالت : خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة .

وقال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي ، ويقال : سباع بن عُرْفُطَةَ الْغِفَارِيِّ .

ما أمر به الرسول عائشة في حيضها :

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : لا يذكر ولا يذكر الناس إلا الحج ، حتى إذا كان

بَسَرَفٍ وَقَدْ سَاقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ الْهَدْيَ وَأَشْرَافَ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ ، أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يُحْلُوا بِعُمْرَةٍ ، إِلَّا مَنْ سَاقَ الْهَدْيَ ؛ قَالَتْ : وَجِضْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ وَأَنَا أَبْكِي ؛ فَقَالَ : مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ ؟ لَعَلَّكَ نُفِست ؟ قَالَتْ : قُلْتُ : نَعَمْ ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَخْرَجْ مَعَكُمْ عَامِي فِي هَذَا السَّفَرِ ؛ فَقَالَ : لَا تَقُولِينَ ذَلِكَ ، فَإِنَّكَ تَقْضِينَ كُلَّ مَا يَقْضِي الْحَاجُّ إِلَّا أَنْكَ لَا تَطُوفِينَ بِالْبَيْتِ . قَالَتْ : وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ ، فَحَلَّ كُلِّ مَنْ كَانَ لَا هَدْيَ مَعَهُ ، وَحَلَّ نِسَاءَهُ بِعُمْرَةٍ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ النَّحْرِ أُتِيَ بِلَحْمِ بَقَرٍ كَثِيرٍ ، فَطُرِحَ فِي بَيْتِي ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : ذَبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ نِسَائِهِ الْبَقَرِ ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ الْحَصْبَةِ ، بَعَثَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَخِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَأَعْمَرَنِي مِنَ النَّعِيمِ ، مَكَانَ عُمَرَتِي الَّتِي فَاتَتْنِي .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي نَافِعٌ ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ حَفْصَةَ ابْنَةِ عُمَرَ ، قَالَتْ : لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ أَنْ يَحْلُلْنَ بِعُمْرَةٍ ، قُلْتُ : فَمَا يَمْنَعُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تُحْلَ مَعَنَا ؟ فَقَالَ : إِنِّي أَهْدَيْتُ وَلَبَّدْتُ^(١) ، فَلَا أَحِلَّ حَتَّى أَنْحِرَ هَدْيِي .

مَوَافَاةُ عَلِيٍّ فِي قَفْوَلِهِ مِنَ الْيَمَنِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَجِّ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بَعَثَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى نَجْرَانَ ، فَلَقِيَهُ بِمَكَّةَ وَقَدْ أَحْرَمَ ، فَدَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَوَجَدَهَا قَدْ حَلَّتْ وَتَهَيَّأَتْ ، فَقَالَ : مَا لَكَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَتْ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْلَّ بِعُمْرَةٍ فَحَلَلْنَا . ثُمَّ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ سَفَرِهِ ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : انْطَلِقْ فَطُفْ بِالْبَيْتِ ، وَحَلَّ كَمَا حَلَّ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي

(١) لَبَّدْتُ : أَيْ وَصَعْتُ فِي شَعْرِي شَيْئًا مِنْ صَمْعٍ عِنْدَ الْإِحْرَامِ لئَلَّا يَشَعْتُ وَيَقِلَّ ، وَإِنَّمَا يَلِدُ مِنْ طَوْلِ مَكَّتِهِ فِي الْإِحْرَامِ
انظر لسان العرب ص ٣٨٦ ح ٣

أَهْلَكْتُ كَمَا أَهْلَكْتَ ؛ فَقَالَ : ارْجِعْ فَاحْلِلْ كَمَا حَلَّ أَصْحَابُكَ ؛ قَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قُلْتُ حِينَ أَحْرَمْتُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَهْلٌ بِمَا أَهَّلَ بِهِ نَبِيُّكَ وَعَبْدُكَ
وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ ﷺ ؛ قَالَ : فَهَلْ مَعَكَ مِنْ هَذِي ؟ قَالَ : لَا . فَأَشْرَكَهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذِيهِ ، وَثَبَّتَ عَلَى إِحْرَامِهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حَتَّى فَرَغَا
مِنَ الْحَجِّ ، وَنَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْهَدْيَ عَنْهُمَا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي
عَمْرٍه ، عَنْ زَيْدِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ رُكَّانَةَ ، قَالَ : لَمَّا أُقْبِلَ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ مِنَ الْيَمَنِ لِيَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ، تَعَجَّلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَخْلَفْتُ
عَلَى جُنْدِهِ الَّذِينَ مَعَهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَعَمِدَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَكَسَا كُلَّ رَجُلٍ مِنَ
الْقَوْمِ حُلَّةً مِنَ الْبَرِّ (١) الَّذِي كَانَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَلَمَّا دَنَا جَيْشُهُ خَرَجَ
لِيَلْقَاهُمْ ، فَإِذَا عَلَيْهِمُ الْحُلُّ ؛ قَالَ : وَيْلَكَ ! مَا هَذَا ؟ قَالَ : كَسَوْتُ الْقَوْمَ لِيَتَجَمَّلُوا
بِهِ إِذَا قَدَمُوا فِي النَّاسِ ؛ قَالَ : وَيْلَكَ ! إِنزِعْ قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ . قَالَ : فَانْتَزَعَ الْحُلَّ مِنَ النَّاسِ ، فَرَدَّهَا فِي الْبَرِّ ، قَالَ : وَأَظْهَرَ الْجَيْشَ
شُكُوهًا لَمَّا صُنِعَ بِهِمْ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْمَرِ بْنِ حَزْمٍ ،
عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عُجْرَةَ عَنْ عَمَّتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ كَعْبٍ ، وَكَانَتْ
عِنْدَ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ : اشْتَكَى النَّاسُ عَلِيًّا
رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِينَا خَطِيبًا ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : أَيُّهَا
النَّاسُ ، لَا تَشْكُوا عَلِيًّا ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَخْشَنُ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، أَوْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مِنْ
أَنْ يَشْكَى .

خطبة الرسول في حجة الوداع :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَجِّهِ ، فَأَرَى النَّاسَ
مُنَاسِكِهِمْ ، وَأَعْلَمَهُمْ سُنَنَ حَجِّهِمْ ، وَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَتَهُ الَّتِي بَيَّنَّ فِيهَا مَا بَيَّنَّ ،

(١) الْبَرُّ : صَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ . لِسَانُ الْعَرَبِ ٣١١ ح ٥

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولي ، فإنني لا أرى لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً ؛ أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون . قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دمايكم أضاع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعاً في بني ليث ، فقتلته هذيل ، فهو أول ما أبداً به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يطمع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : « إنما النسيء زيادة في الكفر ، يضلل به الدين كَفَرُوا ، يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً ، لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ(١) » وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عِدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر(٢) الذي بين جمادى وشعبان . أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقاً ، ولهن عليكم حقاً ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح(٣) فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً ، فانهن عندكم عوان(٤) لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي ، فاني

(١) القوة الآية ٣٧

(٢) ورجب مصر : إما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم رمضان ، وتسميه رحنا ، حين عليه الصلاة والسلام أنه رحب مصر لا رجب ربيعة ، وأنه الذي بين جمادى وشعبان .

(٣) غير مدرج . غير تنديد لسان العرب ٤١١ ح ٢

(٤) عوان . جمع عابيه : وهي الأسيرة . لسان العرب ١٠٢ ح ١٥

قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ؛ اللهم هل بلغت ؟

فذكر لى أن الناس قالوا : اللهم نعم ؛ فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كان الرجل الذى يصرخ فى الناس يقول رسول الله ﷺ وهو يعرفه ، ربيعة بن أمية بن خلف . قال : يقول له رسول الله ﷺ : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ يقول : هاتدرون أى شهر هذا ؟ فيقول لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ؛ فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا ؛ ثم يقول : قل : يا أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرون أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ؛ قال : فيقولون البلد الحرام ؛ قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا ؛ قال : ثم يقول : قل : يا أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرون أى يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم فيقولون . يوم الحج الأكبر ؛ قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا .

رواية ابن خازجة عما سمعه من الرسول فى حجة الوداع :

قال ابن إسحاق : حدثني ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب الأشعري ، عن عمرو بن خازجة قال : بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ فى حاجة ، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله ﷺ ، وإن لغامها (١) ليقع على رأسى ، فسمعتة هو يقول : أيها الناس ، إن الله قد أدى إلى كل ذى حقّ حقه ، وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير

(١) اللغام . الرعوة التى تحرح على فم البعير . ترتيب القاموس مادة لعم ص ١٥٤ ج ٤

مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً .

بعض تعليم الرسول في الحج :

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح : أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجبل الذي هو عليه ، وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قُرح (١) صبيحة المزدلفة . هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر اليمنى قال : هذا المنحر ، وكل منى منحر ، ففضى رسول الله ﷺ الحجّ وقد أراهم مناسكهم . وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم : من الموقف ، ورمى الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أحلّ لهم من حجهم ، وما حرّم عليهم ، فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحجّ بعدها .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق : ثم قفل رسول الله ﷺ ، فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاة ؛ وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهّز الناس ، وأوعب (٢) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون .

خروج رسول الله إلى الملوك

قال ابن هشام : وقد كان رسول الله ﷺ بعث إلى الملوك رسلاً من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثني من أثق به عن أبي بكر الهذلي قال : بلغني أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم

(١) قرح (بصم ففتح) حبل بالمزدلفة

(٢) أوعب المهاجرون . جمعوا ما استطاعوا من جمع . لسان العرب ٧٩٩ ج ١

الحُدَيْبِيَّة ، فقال : أيها الناس ، إن الله قد بعثنى رحمة وكأفة ، فلا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم فقال أصحابه وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مَبْعُثًا قَرِيبًا فَرَضَى وَسَلِّمَ ، وأما من بعثه مَبْعُثًا بَعِيدًا فَكَرِهَ وَجْهَهُ وَتَثَاقَلَ ، فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأُمَّة التي بُعِثَ إليها .

أَسْمَاءُ الرِّسَالِ وَمَنْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ (١) :

فبعث رسولُ الله ﷺ رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، ملك الروم ؛ وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ، ملك فارس ؛ وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المُقَوْقِس ، ملك الإسكندرية ؛ وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعياد ابني الجلندي الأزديين ، ملكي عُمان ؛ وبعث سَلِيط بن عمرو ، أحد بني عامر بن لؤي ، إلى ثُمَامَةَ بن أثال ، وهُوَذَةَ بن علي الحنفيين ، ملكي اليمامة ؛ وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المُنْذِر بن ساوى العبدي ، ملك البحرين ؛ وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، ملك تخوم الشام .

قال ابن هشام : بعث شجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغساني ، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الجميري ، ملك اليمن .

قال ابن هشام : أنا نسيت سَلِيطاً وَثُمَامَةَ وَهُوَذَةَ وَالْمُنْذِر .

(١) لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام . اتحد حائماً من قصة ، نقشه : محمد رسول الله ، لحتم الرسائل ، واختار من أصحابه رسلاً لهم معرفة وخبرة بالبلاد التي يذهبون إليها . وبهذه الرسائل إلى الملوك . أبلغ النبي ﷺ دعوته إلى أكثر ملوك الأرض سلطاناً فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، وأصبح الإسلام الشعل الشاعل لتفكير هؤلاء الكفار في المعمور من الكون .

رواية ابن حبيب عن بعث الرسول رسله :

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري : أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم . قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه ؛ وفيه : أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثني رحمةً وكافةً ، فأدوا عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم ؛ قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأما من قَرَّب به فأحبَّ وسلم ؛ وأما من بعد به فكره وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكلَّ رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وُجِّه إليهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر جملة الغزوات

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبى : وكان جميع ماغزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعا وعشرين غزوة ، منها غزوة ودَّان ، وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط ، من ناحية رَضَوَى ، ثم غزوة العُشَيْرَة ، من بطن يَنْبُع ، ثم غزوة بدر الأولى ، يطلب كرز بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التى قتل الله فيها صناديد قُرَيْش ، ثم غزوة بنى سُلَيْم ، حتى بلغ الكُدْر ، ثم غزوة السَّوِيق ، يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غَطَفَان ، وهى غزوة ذى أمر ، ثم غزوة بَحْران ، معدن بالحجاز ، ثم غزوة أُحُد ، ثم غزوة حَمراء الأسد ، ثم غزوة بنى النضير ، ثم غزوة ذات الرِّقَاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دُومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قُرَيْظَة ، ثم غزوة بنى لحيان ، من هُدَيْل ، ثم غزوة ذى قَرَد ، ثم غزوة بنى المصطلق من خُرَاعَة ، ثم غزوة الحُدَيْبِيَّة ، لا يريد قتالا ، فصدَّه المشركون ، ثم غزوة خَيْبَر ، ثم عُمرة القضاء ، ثم غزوة الفَتْح ، ثم غزوة حُنَيْن ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك .

قاتل منها فى تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وفُرَيْطَة ، والمُصْطَلَق ،
وخَيْبَر ، والفتح ، وحُنَيْن ، والطائف .

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه ﷺ وسراياه ثمانيا وثلاثين ، من بين بَعْثٍ وَسَرِيَّةٍ : غزوةُ
عُبَيْدَةَ بن الحارث أسفل من ثنية ذى المروة ، ثم غزوة حَمْزَة بن عبد المطلب
ساحل البحر ، من ناحية العيص ؛ وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة
عُبَيْدَةَ ؛ وغزوة سعد بن أبى وقاص الخَرَّار ، وغزوة عبد الله بن جَحْشٍ نخلة
وغزوة زيد بن حارثة القردة وغزوة محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف ،
وغزوة مرثد بن أبى مرثد الغنوى الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر
معونة ، وغزوة أبى عُبَيْدَةَ بن الجراح ذا القصة ، من طريق العراق ، وغزوة
عمر بن الخطاب ثربة من أرض بنى عامر ، وغزوة على بن أبى طالب اليمَن ،
وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي ، كَلْبِ لَيْث ، الكدِيد ، فأصاب بنى الملوَح .

خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوَح

شأن ابن البرصاء :

وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثنى
عن مسلم بن عبد الله بن خُبَيْب الجُهَنى ، عن المنذر ، عن جُنْدَب بن مَكِيث
الجُهَنى ، قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي ، كَلْبِ بن عوف
ابن لَيْث ، فى سرية كنت فيها ، وأمره أن يَشُنَّ الغارة على بنى الملوَح ، وهم
بالكدِيد ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بِقُدَيْدٍ لَقِينَا الحارث بن مالك ، وهو ابن البرصاء
الليثى ، فأخذناه ، فقال : إني جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى
رسول الله ﷺ ؛ فقلنا له : إن تك مسلما فلن يَضِيرَكَ رِباطُ ليلة ، وإن تك على
غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ، فشددناه رِباطا ، ثم خَلَّفْنَا عليه رجلا من أصحابنا
أسود ، وقلنا له : إن عازَّكَ (١) فاحتز رأسه .

(١) عازك : غالك . لسان العرب ٣٧٥ ح ٥

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس ، فكنا في ناحية الوادى ، وبعثنى أصحابى ربيثة^(١) لهم ، فخرجت حتى أتى تلاً مشرفاً على الحاضر^(٢) ، فأسندت فيه^(٣) ، فعلوْتُ على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إنى لمنبطح على التل ، إذ خرج رجل منهم من خبائه ، فقال لامرأته : إنى لأرى على التل سواداً ما رأيته فى أول يومى ، فانظرى إلى أوعيتك هل تَفْقِدِينَ منها شيئاً ، لا تكون الكلاب جرَّت بعضها ؛ قال : فنظرت ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئاً ؛ قال : فناولينى قوسى وسهمين ، فناولته ، قال : فأرسل سهماً ، فوالله ما أخطأ جنبى ، فأنزعه فأضعه ، وثبت مكانى ، قال : ثم أرسل الآخر فوضعه فى منكبى فأنزعه فأضعه وثبت مكانى فقال لامرأته : لو كان ربيثة^(٤) لقوم لقد تحرك ، لقد خالطه سهمائى لا أباً لك ، إذا أصبحت فابتغيهما ، فخذيهما ، لا يَمْضُغُهُمَا عَلَى الكلاب . قال : ثم دخل .

قال : وأمهلناهم ، حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان فى وجه السحر ، شَنَنَّا^(٥) عليهم الغارة ، قال : فقتلنا ، واستقنا النعم ، وخرج صريخ^(٦) القوم ، فجاءنا دهم^(٧) لا قِبَلَ لنا به ، ومضينا بالنعم ، ومَرَرْنَا بَابِن الْبِرْصَاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا ؛ قال : وأدركنا القوم حتى قربوا منا ، قال : فما بيننا وبينهم إلا وادى قديد ، فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى ، من غير سحابة نراها ، ولا مطر ، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ، ولا يقدر على أن يُجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإننا لنسوقُ نَعْمَهُمْ ، ما يستطيع منهم رجل أن يُجيز^(٨) إلينا ، ونحن نُحْدُوها^(٩) سراعاً ، حتى قُتْنَاهم ، فلم يَقْدِرُوا على طلبنا .

(١) الربيثة : الطليعة . ترتيب القاموس ٢٨٢ ج ٢

(٢) الحاضر : الجماعة المازلون على الماء . لسان العرب ١٩٨ ج ٤

(٣) أسندت : ارتفعت . وارتفعت لسان العرب ٢٢١ ج ٤

(٤) يروى : رائلة ؛ أى لو كان ممن يروى .

(٥) شَنَنَّا عليهم الغارة : فرقنا عليهم الحيل المعيرة . انظر لسان العرب ٢٤٢ ج ١٣

(٦) صريخ القوم : مستغيثهم لسان العرب ٣٣ ج ٣

(٧) الدهم : الجماعة الكثيرة ترتيب القاموس ٢٢٥ ج ٢

(٨) فى أ : «يجوز» .

(٩) حدوها : سوقها ونرحها . ترتيب القاموس ٦٠٥ ج ١

شعار المسلمين في هذه الغزوة :

قال : فقدمنا بها على رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من أسلم ، عن رجل منهم : أن
شِعَار^(١) أصحاب رسول الله ﷺ كان تلك الليلة : أُمْتُ أُمْتُ .

قال ابن هشام :

تمّ خبر الغزاة ، وعُدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبُعوث .

تعريف بعدة غزوات :

قال ابن إسحاق : وغزوة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بنى عبد الله
ابن سعد من أهل فَذَك ؛ وغزوة أبي العوّاء السُلَميّ أرض بنى سُليم ، أصيب
بها هو وأصحابه جميعا ؛ وغزوة عكاشة بن محصن الغميرة ؛ وغزوة أبي سلمة
ابن عبد الأسد قَطَنًا ، ماء من مياه بنى أسد ، من ناحية نَجْد ، قُتِل بها مسعود
ابن عُرْوَة ؛ وغزوة محمد بن مسلمة ، أخى بنى حارثة « القُرطاء من هَوَازن ؛
وغزوة بشير بن سعد بنى مُرّة بفَذَك ؛ وغزوة بشير بن سعد ناحية خيبر ،
وغزوة زيد بن حارثة الجموم من أرض بنى سُليم ، وغزوة زيد بن حارثة
جُذَام ، من أرض حُسَيْن .

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام

سببها :

قال ابن إسحاق : وكان من حديثها كما حدثني من لا أتهم ، عن رجال
من جذام كانوا علماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجُدَاميّ ، لما قِيم على قومه من
عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن
قِيم يحيى بن خليفة الكلبي من عند قَيْصَر صاحب الروم ، حين بعثه رسول
الله ﷺ إليه ومعه تجارة ، له حتى إذا كانوا بواوٍ من أوديتهم يقال له شَنَار ،

(١) الشعار : العلامة التي يعرف بها بعضهم بعضا في الحرب لسان العرب ٤١٣ ، ح ٤

أغار على دحية بن خليفة الهنيد بن عوص ، وابنه عوص بن الهنيد الضليان .
والضليان : بطن من جذام ، فأصابا كل شيء كان معه ، فبلغ ذلك قوما من
الضبيب ، رهط رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهنيد
وابنه ، فيهم من بنى الضبيب النعمان بن أبي جعال ، حتى لقوهم ، فاقتتلوا ،
وانتفى يومئذ قرة بن أشقر الضفاوى ثم الضلعي ، فقال : أنا ابن لبني ، ورمى
النعمان بن أبي جعال بسهم ، فأصاب ركبته ؛ فقال حين أصابه : خذها وأنا
ابن لبني ، وكانت له أم تدعى لبني ، وقد كان حسان بن ملة الضبيبي قد صحب
دحية بن خليفة قبل ذلك ، فعلمه أم الكتاب .

قال ابن هشام : ويقال : قرة بن أشقر الضفاوي ، وحيان بن ملة .

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن رجال من جذام ، قال :
فاستنقذوا ما كان في الهنيد وابنه ، فردوه على دحية ، فخرج دحية ، حتى قدم
على رسول الله ﷺ ، فأخبره خبره ، واستسقاء دم الهنيد وابنه ، فبعث رسول
الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذي هاج غزوة زيد جذام ، وبعث معه
جيشا ، وقد وجهت غطفان من جذام ووائل ومن كان من سلامان وسعد بن
هذيم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله ﷺ ، حتى نزلوا
الحرّة ؛ حرة الرّجلاء ، ورفاعة بن زيد بكراع ربة ، لم يعلم ، ومعه ناس من
بنى الضبيب ، وسائر بنى الضبيب بوادي مدان ، من ناحية الحرّة ، مما يسيل
مشرقا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ، فأغار بالماقص من
قبيل الحرّة ، فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس ، وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين
من بنى الأجنف .

قال ابن هشام : من بنى الأحنف

قال ابن إسحاق في حديثه : ورجلا من بنى الخصيب . فلما سمعت بذلك
بنو الضبيب والجيش بفياء مدان ركب نفر منهم ، وكان فيمن ركب معهم حسان

ابن مَلَّة ، على فرس لسويد بن زيد ، يُقال لها العجاجة ، وأنيف بن مَلَّة على فرس لَمَلَّة يقال لها : رِغال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال لها عمر . فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد وحسان لأنيف بن مَلَّة كَفَّ عَنَّا وانصرف ، فَإِنَّا نَخْشَى لسانك ، فوقف عنهما ، فلم يَنْعُذَا منه حتى جعلت فَرَسُهُ تَبْحَثُ بِيَدَيْهَا وَتَوَقَّبُ ، فقال : لأنا أضمن بالرجلين منك بالفرسين ، فأرخی لها ، حتى أدركهما ، فقالا له : أما إذا فَعَلْتَ ما فَعَلْتَ فَكُفَّ عَنَّا لسانك ، ولا تشأمننا اليوم ، فتواصوا أن لا يتكلم منهم إلا حسان بن مَلَّة ، وكانت بينهم كَلِمَةٌ فى الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض ، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال : بُورى أو ثورى ؛ فلما برزوا على الجيش ، أقبل القوم يتدرونهم ، فقال لهم حسان : إِنَّا قَوْمٌ مُسْلِمُونَ ، وكان أول من لقيهم رجل على فرس أدهم ، فأقبل يسوقهم ، فقال أنيف : بُورى ، فقال حسان : مَهْلًا ؛ فلما وقفوا على زيد ابن حارثة قال حسان : إِنَّا قَوْمٌ مُسْلِمُونَ ، فقال له زيد : فاقْرءُوا أُمَّ الْكِتَابِ ، فقرأها حسان ، فقال زيد بن حارثة : نادوا فى الجَيْشِ إِنْ الله قد حَرَّمَ علينا ثُغْرَةَ^(١) القوم التى جاءوا منها إلا من خَتَرَ^(٢) .

قال ابن إسحاق : وإذا أخت حسان بن مَلَّة ، وهى امرأة أبى وَبَر بن عَدَى ابن أُمَيَّة بن الضُّبَيْب فى الأسارى ، فقال له زيد : خُذْهَا ، وَأَخَذَتْ بِحَقْوِيهِ^(٣) فقالت أُمُ الْفَزْرِ الضُّلْعِيَّة : أَتَنْطَلِقُونَ ببناتكم وتَذَرُونَ أُمَّهَاتِكُمْ ؟ فقال أحد بنى الخَصِيب : إنها بنو الضُّبَيْبِ وسُحُرُ أَلْسِنَتِهِمْ سَائِرُ الْيَوْمِ ، فسَمِعَهَا بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حسان ، فَفَكَّتْ يَدَاهَا مِنْ حَقْوِيهِ ، وقال لها : اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيك حُكْمَهُ ، فَرَجَعُوا ، ونهى الجيش أن يَهْبِطُوا إِلَى وادِيهِم الذى جاءوا منه ، فأَمْسُوا فى

(١) ثغرة القوم : ناحيتهم التى يحمونها . لسان العرب ١٠٣ ح ٤

(٢) ختر : نقص العهد . والخبيرة لسان العرب ٢٢٩ ج ٤

(٣) حقويه : بخصريه . ومعقد الإزار لسان العرب ١٨٩ ح ١٤

أَهْلِيهِمْ ، وَاسْتَعْتَمُوا ذَوْدًا^(١) لِسُوَيْدِ بْنِ زَيْدٍ ، فَلَمَّا شَرَبُوا عَتَمَتْهُمْ ، رَكَبُوا إِلَى رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَكَانَ مِمَّنْ رَكَبَ إِلَى رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، أَبُو زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو ، وَأَبُو شَمَّاسِ بْنِ عَمْرٍو ، وَسُوَيْدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَبِعَجَّةُ بْنُ زَيْدٍ ، وَبِرْدُذُّ بْنُ زَيْدٍ ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ زَيْدٍ وَمُخْرِبَةُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَأُنَيْفُ بْنُ مَلَّةَ ، وَحَسَّانُ بْنُ مَلَّةَ ، حَتَّى صَبَا رِفَاعَةَ بْنُ زَيْدٍ بِكُرَاعِ رَبَّةَ ، بَظَهَرَ الْحَرَّةَ ، عَلَى بَثْرِ هُنَالِكَ مِنْ حَرَّةٍ لَيْلِيٍّ ؛ فَقَالَ لَهُ حَسَّانُ بْنُ مَلَّةَ : إِنَّكَ لَجَالِسٌ تَحْلُبُ الْمُعْزَى وَنِسَاءَ جُذَامٍ أُسَارَى قَدْ غَرَّهَا كِتَابُكَ الَّذِي جِئْتَ بِهِ ، فَدَعَا رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ بِجَمَلٍ لَهُ ، فَجَعَلَ يَشْدُو عَلَيْهِ رَحْلَهُ وَهُوَ يَقُولُ : هَلْ أَنتَ حَيٌّ أَوْ تُنَادِي حَيًّا

ثُمَّ غَدَا وَهَمَّ مَعَهُ بِأُمِّيَّةَ بْنِ ضَفَّارٍ أَخِي الْخَصِيِّ الْمَقْتُولِ ، مُبَكِّرِينَ مِنْ ظَهْرِ الْحَرَّةِ ، فَسَارُوا إِلَى جَوْفِ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ؛ فَلَمَّا دَخَلُوا الْمَدِينَةَ ، وَانْتَهَوْا إِلَى الْمَسْجِدِ ، نَظَرَ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَ لَا تُنِيخُوا إِلَيْكُمْ ، فَفَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ ، فَزَلُّوا عَنْهُمْ وَهَنَ قِيَامٌ ؛ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَأَاهُمْ أَلَا^(٢) إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ : أَنْ تَعَالَوْا مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ ؛ فَلَمَّا اسْتَفْتَحَ رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ الْمَنْطِقَ ، قَامَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ سَحَرَةٌ ، فَرَدَّدَهُمَا مَرَّتَيْنِ ، فَقَالَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ : رَحِمَ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَحْذُنَا فِي يَوْمِهِ هَذَا إِلَّا خَيْرًا . ثُمَّ دَفَعَ رِفَاعَةَ بْنَ زَيْدٍ كِتَابَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي كَانَ كَتَبَهُ لَهُ . فَقَالَ : دُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدِيمَا كِتَابُهُ ، حَدِيثًا غَدْرَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اقْرَأْهُ يَا غَلَامُ ، وَأَعْلُنْ ؛ فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ اسْتَخْبِرَهُ ، فَأَخْبَرُوهُمُ الْخَبْرَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْقَتْلَى ؟ (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) فَقَالَ رِفَاعَةُ : أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْلَمُ ، لَا نَحْرَمُ عَلَيْكَ حَلَالًا ، وَلَا نَحْلُلُ لَكَ حَرَامًا ، فَقَالَ أَبُو زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو : أَطْلُقْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ كَانَ حَيًّا ، وَمَنْ قُتِلَ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي هَذِهِ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : صَدَقَ أَبُو زَيْدٍ ، ارْكَبْ مَعَهُمْ يَا عَلِيٌّ . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ زَيْدًا لَنْ يُطِيعَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَخَذَ سِيفِي هَذَا

(١) الذود : لَا يَكُونُ أَقْلٌ مِنْ اثْنَيْنِ وَهُوَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى الْعَشْرِ مِنَ الْإِثْلِ لِسَانُ الْعَرَبِ ١٦٨ ح ٣ ، وَاسْتَعْتَمُوا : ابْتَدَعُوا

إِلَى عَتَمَةِ اللَّيْلِ . تَرْتِيبُ الْقَامُوسِ ١٥١ ج ٣

(٢) أَلَا^(٢) : أَشَارَ . ٥٨٦ ج ٢ لِسَانُ الْعَرَبِ

فأعطاه سيفه فقال على ليس لى يارسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير
لثعلبة بن عمرو ، يقال له مِكْحَال ، فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على
ناقة من إبل أبي وُبر ، يُقال لها : الشَّيْر ، فأنزلوه عنها ، فقال : يا علي ،
ما شأنى فقال : ما لهم ، عَرَفُوهُ فَأَخَذُوهُ ، ثم ساروا فلقوا الجَيْشَ بفياء الفحلّتين
فأخذوا ما فى أيديهم ، حتى كانوا ينزعون لُبَيْدَ المرأة من تحت الرجل .

غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة ومصاب أم قرفة

وغزوة زيد بن حارثة أيضا وادى القرى ، لَقِيَ به بنى فَرَارَةَ ، فَأَصِيبَ
بها ناس من أصحابه ، وارْتُثَ (١) زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب وَرْد بن
عَمْرُو بن مَدَاش ، وكان أَحَدَ بنى سعد بن هُذَيْل ، أصابه أحد بنى بدر .

قال ابن هشام : سعد بن هُذَيْم

قال ابن إسحاق : فلما قَدِمَ زيد بن حارثة آلى أن لا يمسّ رأسه غسل
من جنابة حتى يغزو بنى فَرَارَةَ ؛ فلما استنبل من جراحته بعثه رسول الله ﷺ
إلى بنى فزارة فى جيش ، فقتلهم بوادى القرى ، وأصاب فيهم ، وقتل قَيْس
ابن السحر اليعمرى مَسْعُودَةَ بن حَكَمَةَ بن مالك بن حُذَيْفَةَ بن بدر ، وأسيرت أم
قِرْفَةَ فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حُذَيْفَةَ بن
بدر ، وبنّت لها ، وعبد الله بن مسعدة ، فأمر زيد بن حارثة قَيْسَ بن المسحر
أن يَقْتُلَ أم قِرْفَةَ ، فقتلها قتلا عنيفا ؛ ثم قَدِمُوا على رسول الله ﷺ بابنة أم
قِرْفَةَ ، وبابن مسعدة .

وكانت بنت أم قِرْفَةَ لسَلَمَةَ بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ،

(١) ارتث (بالناء للمجهول) حمل من المعركة رثيّا ، أى جريحا وبه رمق . ترتيب القاموس ح ٢

وكانت فى بيت شرف من قومها ؛ كانت العرب تقول : (لو كنت أعز من أم
قرفة مازدت) : فسألها رسول الله ﷺ سلمة ، فوهبها له : فأهداها لخاله حزن
ابن أبى وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام

وغزوة عبد الله بن رواحة خير مرتين : إحداها التى أصاب فيها
اليسير بن رزام : قال ابن هشام : ويقال ابن رازم
مقتل اليسير :

وكان من حديث اليسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو
رسول الله ﷺ ، فبعث إليه رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة فى نفر من
أصحابه ، منهم عبد الله بن أنيس ، حليف بنى سلمة ، فلما قدموا عليه كلموه ،
وقربوا له ، وقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك ،
فلم يزلوا به ، حتى خرج معهم فى نفر من يهود ، فحملة عبد الله بن أنيس
على بعيره ، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر ، على ستة أميال ، ندم اليسير
ابن رزام على مسيره إلى رسول الله ﷺ ، ففطن له عبد الله بن أنيس ، وهو
يريد السيف ، فاقنحم به ، ثم ضربه بالسيف ، فقطع رجله ، وضربه اليسير
بمخروش^(١) فى يده من شوخط^(٢) ، فأمه^(٣) ومال كل رجل من أصحاب
رسول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلا واحدا أفلت على
رجليه ، فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله ﷺ نفل^(٤) على شجته ،
فلم تقح ولم تؤذ .

(١) « محرش » والمحرش والمحرش : المحن ، وهو عصا معقوفة يحدب بها النعير ويحده . انظر لسان العرب
٢٩٣ / ج ٦

(٢) الشوخط : شجر من النع . لسان العرب ٣٢٨ / ج ٧

(٣) أمه : جرحه فى رأسه . ترتيب القاموس ١٧٩ / ج ١

(٤) نفل : نطق بصاقا خفيا . لسان العرب ٧٧ / ج ١١

غزوة ابن عتيك خيبر :

وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر ، فأصاب بها أبا رافع بن أبي الحقيق .

غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي

وغزوة عبد الله بن أنيس خالد بن سفيان بن نبيح ، بعثه رسول الله ﷺ إليه وهو بنخلة أو بعرة ، يجمع لرسول الله ﷺ الناس ليغزوه ، فقتله .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قال : عبد الله بن أنيس : دعاني رسول الله ﷺ ، فقال : إنه قد بلغني أن ابن سفيان ابن نبيح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني ، وهو بنخلة أو بعرة ، فأتته فقتله . قلت : يا رسول الله ، انعتني لي حتى أعرفه . قال : إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قسعريرة^(١) . قال : فخرجت متوشحاً سيفي ، حتى دُفعت إليه وهو في طعن^(٢) يرتاد لهن منزلاً^(٣) ، وحيث كان وقت العصر ؛ فلما رأيته وجدت ما قال لي رسول الله ﷺ من القسعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بيني وبينه مجاورة تشغلني عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه ، أومئ برأسي ، فلما انتهيت إليه ، قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك ويجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك .

قال : أجل ، إنني لفي ذلك ، قال : فمَشَيْت معه شيئاً ، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت طعائنه مُنْكَبَّات عليه ؛ فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني ، قال : أفلح الوجه ؛ قلت : قد قتلته يا رسول الله . قال صدقت .

(١) قسعريرة : رعدة . لسان العرب ٩٥ / ح ٥

(٢) الطعن (ككتف) : الساء في الهودج : جمع طعينة . لسان العرب ٢٧١ / ج ١٣

(٣) يرتاد لهن منزلاً : يطلب لهن منزلاً لسان العرب ١٨٧ / ج ٣

إهداء الرسول عصا لابن أنيس :

ثم قام بى ، فأدخلنى بيته ، فأعطانى عصاً ، فقال : أُمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله ﷺ ، وأمرنى أن أُمسكها عندي . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فَنَسْأَلُهُ لم ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتنى هذه العصا ؟ قال : آيةٌ بينى وبينك يوم القيامة ، إن أقل الناس المتُخصرون^(١) يومئذ ، قال : ففَرَنها عبد الله بن أنيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فُضمت فى كفنه ، ثم دُفنا جميعا .

غزوات أخر :

قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله ابن رواحة مؤتة من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعا ، وغزوة كعب بن عمير الغضرى ذات أطلاح ، من أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا . وغزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بنى العنبر من بنى تميم .

غزوة عيينة بن حصن بنى العنبر من بنى تميم

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ بعثه إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناسا ، وسبى منهم أناسا .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، إن على رَقَبَةٍ من ولد إسماعيل . قال : هذا سبى بنى العنبر يقدم الآن ، فنعطيك منهم إنسانا فتعتقينه .

قال ابن إسحاق : فلما قدم بسببيهم على رسول الله ﷺ ، ركب فيهم وفد من بنى تميم ، حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، منهم ربيعة بن ربيع ، وسبرة ابن عمرو ، والقعقاع بن معبد ، ووردان بن مُحَرِّز ، وقيس بن عاصم ، ومالك

(١) المتُخصرون : المتكئون على المحاصر وهى العصا ، واحدها محصرة .

ابن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وفراس بن حابس ؛ فكلّموا رسول الله ﷺ فيهم فأعتق بعضا ، وأقْدَى بعضا ، وكان ممن قُتِلَ يومئذ من بنى العنبر : عبد الله وأخوان له ، بنو وهب ، وشداد بن فراس ، وحَنْظَلَةُ بن دارم ، وكان ممن سُبِيَ من نسائهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكاس بنت أري ، ونجوة بنت نهد ، وجميعه بنت قيس ، وعَمْرَة بنت مطر .

غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة

مقتل مرداس :

قال ابن إسحاق : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي - كَلَبَ ليث - أرض بنى مرة ، فأصاب بها مرداس بن نهيك ، حليفا لهم من الحرقة ، من جُهينة ، قتله أسامة بن زيد ، ورجل من الأنصار .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شَهِرْنَا عليه السلاح ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله . قال : فلم ننزع عنه حتى قتلناه ؛ فلما قَدَمْنَا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبره ؛ فقال يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، إنه إنما قالها تعودا بها من القتل . قال : فمن لك بها يا أسامة ؟ قال : فو الذى بعثه بالحق ما زال يرددها على حتى لوددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ؛ قال : قلت : أنظرني يا رسول الله ، انى أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا ، قال : تقول بعدى يا أسامة ؛ قال : قُلت بعدك .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بنى عذرة . وكان من حديثه أن رسول الله ﷺ بعثه يستنفر العرب إلى الشام . وذلك أن أم العاص ابن وائل كانت امرأة من بَلَى ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام ، يُقال له السَّلسل ، وبذلك سميت تلك الغزوة ،

غزوة ذات السلاسل ؛ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده ، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ؛ وقال لأبي عبيدة حين وجهه : لا تختلفا ؛ فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو : إنما جئت مدداً لى ؛ قال أبو عبيدة : لا ، ولكنى على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلاً لينا سهلاً ، هينا عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لى ؛ فقال أبو عبيدة : يا عمرو ، وإن رسول الله ﷺ قال لى : لا تختلفا ، وإنك إن عصيتنى أطعته ؛ قال : فأنى الأمير عليك ، وأنت مدد لى ، قال : فدونك فصلّى عمرو بالناس .

وصية أبى بكر رافع بن رافع :

قال : وكان من الحديث فى هذه الغزاة ، أن رافع بن أبى رافع الطائى ، وهو رافع بن عميرة ، كان يحدث فيما بلغنى عن نفسه ، قال : كنت امرأ نصرانياً ، وسميت سرجس ، فكنت أدل الناس وأهداهم بهذا الرمل ، كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أغير على إيل الناس ، فإذا أدخلتها الرمل غلبت عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمر بذلك الماء الذى خبأت فى بيض النعام فأستخرجه ، فأشرب منه ؛ فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ؛ قال : فقلت : والله لأختارن نفسى صاحباً ؛ قال : فصحبت أبا بكر ، قال : فكنت معه فى رحله ، قال : وكانت عليه عباءة له فدككية^(١) ، فكان إذا نزلنا بسطها وإذا ركبنا لبسها ، ثم شكها عليه^(٢) بخلال له ، قال : وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا : نحن نبايع ذا العباءة ! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال قلت : يا أبا بكر ، إنما صحبتك لينفعنى الله بك ، فانصحنى وعلمنى ، قال : لو لم تسألنى ذلك لفعلت ، قال : آمرك أن توحّد الله ولا تشرك

(١) العباءة : الكساء الملبط ويقال فيها عباءة نالياه لسان العرب ١١٨ / ج ١ ، الفدكية . المسبوبة إلى فذك وهى بلدة

لسان العرب ٤٧٣ / ج ١

(٢) شكها عليه : أنفذا بالخلال الذى كان يحللها به . لسان العرب ٤٥٢ / ج ١٠

به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تتأمر على رجل من المسلمين أبدا . قال : قلت : يا أبا بكر ، أما والله فاني أرجو أن لا أشرك بالله أحدا أبدا ؛ وأما الصلاة فلن أتركها إن شاء الله ؛ وأما الزكاة فان يك لي مال أودها إن شاء الله ؛ وأما رمضان فلن أتركه إن شاء الله ؛ وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله وأما الإمارة فاني رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله ﷺ وعند الناس إلا بها ، فلم تنهاني عنها ؟ قال : إنك إنما استجهدتني لأجهد لك ، وسأخبرك عن ذلك : إن الله عز وجل بعث محمدا ﷺ بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها ، فلما دخلوا فيه كانوا عواذ الله وجيرانه ، وفي ذمته ، فاياك لاتخفر الله^(١) في جيرانه ، فيتبعك الله في خفرته ، فان أحدكم يخفر في جاره ؛ فيظل نائنا عضله^(٢) ، غضبا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير فالله أشد غضبا لجاره . قال ففارقته على ذلك قال : فلما قبض رسول الله ﷺ ، وأمر أبو بكر على الناس ، قال : قدمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تك نهيتني عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ؛ قال : فقلت له : فما حملك على أن تلي أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بدا ، خشيت على أمة محمد ﷺ الفرقة .

تقسيم عوف الأشجعي الجزور بين قوم :

قال ابن إسحاق : أخبرني يزيد بن أبي حبيب أنه حدث عن عوف بن مالك الأشجعي ، قال : كنت في الغزاة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو ابن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فصحبت أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم على جزور لهم قد نحروها ، وهم لا يقدرين على أن يعضوها^(٣) ، قال :

(١) لا تخفر الله . لا تنقض عهده . لسان العرب ٢٥٣ / ح ٤

(٢) النائي . المرتفع المنفوخ ، لسان العرب ١٦٤ / ج ٢١ العضل جمع عضلة وهي العطة الشديدة من اللحم لسان العرب ٤٥٠ ح ١١

(٣) يعضوها . يقسموها لسان العرب ٦٨ / ح ١٥ .

وكننت امرأً لبقاً جازراً^(١) ، قال : فقلت : أتعطونني منها عَشيراً^(٢) على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشفرتين ، فجزأتها مكاني ، وأخذت منها جزءاً ، فحملته إلى أصحابي ، فاطبخناه فأكلناه . فقال لي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : أنى لك هذا اللحم يا عوف ؟ قال : فأخبرتتهما خبره ؛ فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتفقآن ما في بطونهما من ذلك ؛ قال : فلما قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ ، قال : فجئته وهو يصلي في بيته ؛ قال : فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ؛ قال : أعوف بن مالك ؟ قال : قلت : نعم ، بأبي أنت وأمي ؛ قال : أصحاب الجزور ؟ ولم يزدني رسول الله ﷺ على ذلك شيئاً .

غزوة ابن أبي حردد بطن إضم ، وقتل عامر ابن الأضبط الأشجعي وكانت قبل الفتح

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القَعْقَاع بن عبد الله بن أبي حردد ، عن أبيه عبد الله بن أبي حردد ، قال : بَعَثَنَا رسولُ الله ﷺ إلى إضم في نفر من المسلمين ، فيهم أبو قتادة الحارث بن رِبْعِي ، ومحلم بن جثامة بن قَيْس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم ، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي ، على قَعود^(٣) له ، ومعه مَتِيع^(٤) له ، ووطب^(٥) من لبن . قال : فلما مرر بنا سلم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلم بن جثامة ، فقتله لشيء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره ، وأخذ متيعه .

(١) اللبق : الحائق الرفيع في العمل ، لسان العرب ٣٢٦ / ح ١٠ ، الجار : الذي يندح الجرور وهي الناقة والغنم لسان العرب ١٣٤ / ح ٤ .

(٢) العشير : النسيب لأن الجزور كانت تقسم على عشرة أجزاء فكل جزء منها عشير لسان العرب ٥٧٣ / ح ٤

(٣) القعود : النعير يقتعده الراعي في كل حاجة [لسان العرب ٣٦٠ / ح ٣]

(٤) المتيع : تصغير متاع [لسان العرب ٣٣٣ / ح ٨]

(٥) الوطب : وعاء اللبن [لسان العرب ٧٩٧ / ح ١]

قال : فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر ، نزل فينا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ، تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) ... إلى آخر الآية

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد ابن ضُميرة بن سعد السلمى يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه ، عن جده ، وكانا شهدا حينما مع رسول الله ﷺ ، قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر ، ثم عمد إلى ظل شجرة ، فجلس تحتها ، وهو بحنين ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، يختصمان في عامر بن أضيظ الأشجعي : عيينة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غطفان ، والأقرع بن حابس يدفع عن محمّل بن جثامة ، لمكانه من خندف ، فتداولوا الخصومة عند رسول الله ﷺ ، ونحن نسمع ، فسمعنا عُيينة بن حصن وهو يقول : والله يا رسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحُرقة مثل ما أذاق نسائي ، ورسول الله ﷺ يقول : بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا ، وهو يأبى عليه ، إذ قام رجلٌ من بني ليث ، يقال له : مكثير ، قصير مَجْموع - قال ابن هشام : مُكَيْتِل - فقال : والله يا رسول الله ما وجدت لهذا القَتِيل شَبْها في غُرّة الإسلام (٢) إلا كَغَنَمٍ وردت فَرُمِيَتْ أُولَاهَا ، فنفرت أخراها ، اسنن (٣) اليوم ، وغير (٤) غدا . قال : فرفع رسول الله ﷺ يده . فقال : بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا . قال : فقبلوا الدية . قال : ثم قالوا : أين صاحبكم هذا ، يستغفر له رسول الله ﷺ . قال : فقام رجل آدم ضَرْب (٥) طويل ، عليه حُلَّةٌ له ، قد كان تهيأ للقتل فيها . حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا محمّل بن

(١) سورة النساء آية (٩٤)

(٢) عرة الاسلام : أوله [لسان العرب ١٥ / ج ٥]

(٣) اسنن اليوم : احكم لنا اليوم بالدم في امرنا هذا واحكم غدا بالدية لمن شئت [لسان العرب ص ٢٢٥ / ج ١٣]

(٤) غير : من العيرة ، وهى الدية (هنا) [لسان العرب ٤١ / ج ٥]

(٥) ضرب : خفيف اللحم [لسان العرب] ج ١

جَنَامة ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يده ، ثم قال : اللهم لا تغفر لمحلّم بن جَنَامة ثلاثا . قال : فقام وهو يتلقى دمه بفضل ردائه ، قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا : إنا لنرجو أن يكون رسول الله ﷺ قد استغفر له ، وأما ما ظهر من رسول الله ﷺ فهذا .

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حَدَّث : أن عُبَيْنة بن حصن وقيسا حين قال الأقرع بن حابس وخلصهم ، يامعشر قَيْس ، مَنَعْتُم رسول الله ﷺ قَتِيلًا يستصلح به الناس ، أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله ﷺ ، فيلعنكم الله بلعنته ، أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضبه ؟ والله الذي نفس الأقرع بيده لتُسَلِّمَنَّهُ إلى رسول الله ﷺ فليصنعن فيه ما أراد ، أو لآتين بخمسين رجلا من بني تميم يشهدون بالله كلهم لقتل صاحبكم كافرا ، ماضلي قط ، فلاطُلن^(١) دمه ؛ فلما سمعوا ذلك ، قبلوا الدية .

غزوة ابن أبي حدرد لقتل رفاعه بن قيس الجشمي

سببها:

قال ابن إسحاق : وغزوة بن أبي حدرد الأسلمي الغابة : وكان من حديثها فيما بلغني ، عمن لا أتهم ، عن ابن أبي حدرد ، قال : تزوّجت امرأة من قومي ، وأصدققتها مئتي درهم ، قال : فجئت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي ؛ فقال : وكم أصدققت ؟ فقلت : مئتي درهم يا رسول الله ، قال : سبحان الله ، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم ، والله ما عندي ما أعينك به . قال : فلبثت أياما ، وأقبل رجل من بني جشم بن معاوية يقال له : رفاعه بن قيس أو قيس بن رفاعه في بطن^(٢) عظيم من بني جشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله ﷺ ، وكان ذا اسم في جشم وشرف . قال : فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين معي

(١) فلاطُلن دمه : فلا يؤخذ نتأره لسان العرب ٤٠٥ / ح ١١

(٢) البطن : أصغر من القبيلة لسان العرب ٥٤ / ح ١٣

من المسلمين ، فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارفا عجفاء^(١) ، فحمل عليها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفا حتى دَعَمَهَا^(٢) الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت^(٣) وما كادت ثم قال : تَبَلَّغُوا عليها وَاعْتَقَبُوهَا^(٤) .

انتصار المسلمين ونصيب ابن أبي حذرٍد من فيء استعان به على الزواج :

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبْلِ والسيوف ، حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر عُسَيْشِيَّة^(٥) مع غروب الشمس . قال : كَمَنْتُ في ناحية ، وأمرت صاحبي ، فكنما في ناحية أخرى من حاضر القوم ؛ وقلت لهما : إذا سمعتماني قد كَبُرْتُ وشددتُ في ناحية العسكر فكَبِّرَا وشُدَّا معي . قال : فوالله إننا لكذلك ننتظر غِرَّة^(٦) القوم ، أو أن نُصِيب منهم شيئا . قال : وقد غشنا اللَّيْل حتى ذهبت فَحْمَةٌ^(٧) العِشاء ، وقد كان لهم راع قد سَرَّح في ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى تَخَوَّفُوا عليه . قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعَةُ بن قيس ، فأخذ سيفه ، فجعله في عنقه ، ثم قال : والله لَأَتَّبِعَنَّ أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شرٌّ ؛ فقال له نفر مَنّ معه : والله لاتذهب ، نحن نُكْفِيكَ ؛ قال : والله لا يذهب إلا أنا ؛ قالوا : فنحن معك ؛ قال : والله لا يتبعني أحد منكم . قال : وخرج حتى يمرَّ بى . قال : فلما أمكنني نفحتَه^(٨) بسهمي ، فوضعتَه في فؤاده . قال : فوالله ما تكلم ، ووُثِبَت إليه ، فاحتزرت رأسه . قال : وشددت في ناحية العسكر ، وكَبُرْتُ ، وشَدَّ صاحباي وكَبِّرَا . قال : فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه ،

(١) التشارف : الناقة المسنة لسان العرب ١٧٣ / ج ٩ ، العجفاء المهزولة من الغنم وغيرها لسان العرب ٢٣٤ / ج ٩

(٢) دعمها الرجال : قووها بأيديهم .

(٣) استقلت : بهضت . وارتفعت لسان العرب ٥٦٦ / ج ١١

(٤) اعتقبوها . اركبوا معاقبة ، أى واحداً بعد الآخر لسان العرب ٦١٨ / ج ١

(٥) عُسَيْشِيَّة : تصغير عَشِيَّة على غير قياس .

(٦) الغرة . العلة لسان العرب ١٦ / ج ٥

(٧) فحمة العشاء : أول ظلام الليل .

(٨) نفحته بسهمي . رميته به . لسان العرب ٦٢٢ / ج ٢

عندك ، عندك^(١) ، بكلّ ماقدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وما خَفَ معهم من أموالهم . قال : واستقنّا إبلا عظيمة ، وغنما كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ . قال : وجئت برأسه أحمله معي . قال : فأعانني رسول الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا في صدّاقى ، فجمعتُ إلى أهلى .

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

شئ من وعظ الرسول لقومه :

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجده : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة بن اليمان ، وأبوسعيد الخدرى ، وأنا مع رسول الله ﷺ ، إذ أقبل فتى من الأنصار ، فسلم على رسول الله ﷺ ، ثم جلس ، فقال ، يا رسول الله ، صلى الله عليك ، أى المؤمنين أفضل ؟ فقال : أحسنهم خلقا ؛ قال : فأى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم ذكرا للموت ، وأحسنهم استعدادا له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس ، ثم سكت الفتى وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : « يا معشر المهاجرين ، خمس خصال إذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن : إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها^(٢) ، إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع ، التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ؛ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين^(٣) وشدة المؤنة وجور السلطان ؛ ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، فلولا

(١) عندك عندك . كلمتان بمعنى الإعراء .

(٢) يعلنوا بها . يظاهرونها لسان العرب ٢٨٨ / ج ١٣

(٣) بالسنين . الجذب لسان العرب ٤٠٥ / ح ١٤

البهائم ما مطروا ؛ وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدو من غيرهم ، فأخذ بعض ما كان في أيديهم ؛ وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا^(١) فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

ثم أمرَ عبدَ الرحمن بن عوف أن يتجهزَ لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد اعتمَ بعمامة من كرايبس سوداء^(٢) ، فأدناه رسول الله ﷺ منه ، ثم نقضها ، ثم عممه بها ، وأرسل من خلفه أربعَ أصابع أو نحوها من ذلك ، ثم قال : هكذا يا ابن عوف فاعتم ، فإنه أحسن وأعرف ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء . فدفعه إليه ، فحمد الله تعالى ، وصلى على نفسه ، ثم قال : خذه يا ابن عوف ، اغزوا جميعا في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لا تَغْلُوا^(٣) ، ولا تغدروا ، ولا تُمَثِّلُوا ، ولا تُقَتِّلُوا وليدا ، فهذا عهدُ الله وسيرة نبيه فيكم . فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء .

قال ابن هشام : فخرج إلى دومة الجندل .

غزوة أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر

نفاد الطعام وخبر دابة البحر :

قال ابن إسحاق : وحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه ، عن جده عبادة بن الصامت ، قال : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى سيف البحر^(٤) ، عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، وزودهم جرابا من تمر ، فجعل يقيتوهم إياه ، حتى صار إلى أن يعدّه عليهم عددا ، قال : ثم نفذ التمر ، حتى كان يعطى كلّ رجل منهم كلّ يوم تمرّة . قال : فقسمها يوماً بيننا . قال : فنقصت تمرّة عن رجل ، فوجدنا فقدّها ذلك اليوم . قال : فلما جهدنا الجوع

(١) تحيروا : تعاطموا وتكبروا على أن يحكموا بما أنزل الله ، لسان العرب ١١٣ / ج ٤

(٢) الكرايبس : جمع كرايس ، وهو القطب . لسان العرب ١٩٥ / ح ٦

(٣) لا تغلوا : لا تحيروا في المعام ، لسان العرب ٤٩٩ / ح ١١

(٤) سيف البحر : حاسه وساحله . لسان العرب ١٦٧ / ح ٩ .

أخرج الله لنا دابة من البحر ، فأصَبْنَا من لحمها وودَكها^(١) ، وأقمنا عليها عشرين ليلة ، حتى سمنا وابتللنا^(٢) ، وأخذ أميرنا ضيلعا من أضلاعها ، فوضعها على طريقه ، ثم أمر بأجسم بعير معنا ، فحمل عليه أجسم رجل منا . قال : فجلس عليه ، قال : فخرج من تحتها وما مست رأسه . قال : فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صنَعنا في ذلك من أكلنا إياه ، فقال : رزق رزقكموه الله .

بعث عمرو بن أمية الضمري لقتال أبي سفيان بن حرب وما صنع في طريقه

قدومه مكة وتعرف القوم عليه :

قال ابن هشام : ومما لم يذكره ابن إسحاق من بُعوث رسول الله ﷺ وسلم وسراياه^(٣) بعث عمرو بن أمية الضمري ، بعثه رسول الله ﷺ ، فيما حدثني من أثق به من أهل العلم ، بعد مقتل خُبَيْب بن عدى وأصحابه إلى مكة ، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب ، وبعث معه جبار بن صخر الأنصاري فخرجا حتى قدما مكة ، وحبسا جليلهما بشعب^(٤) من شعاب يأجج^(٥) ، ثم دخلا مكة ليلا ؛ فقال جبار لعمرو : لو أنا طُفْنَا بالبيت وصلينا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفئيتهم ؛ فقال : كلا ، إن شاء الله ؛ فقال

(١) الودك : السحيم . وقيل دسم اللحم لسان العرب ٥٠٩ / ح ١٠

(٢) ابتلنا : أقمنا من ألم الحوق الذي كان بنا ، من قولك : بل فلان من مرصه ، وأبل ، واستدل : إذا أخذ في الراحة . لسان العرب ٦٥ / ج ١١

(٣) ذكر السهيلي هنا حديثا يخطيء فيه ابن هشام فيما ادعاه على ابن إسحاق من أفعاله بعض البعوت ، قال : هو غلط منه ، قد ذكره ابن إسحاق ، عن جعفر بن عمرو بن أمية بن عمرو بن أمية فيما حدث أنه عن يحيى بن زكريا ، عن ابن إسحاق ، (انظر الروض الأنف ج ٢ ص ٢٦٣) .

(٤) الشعب (بتسديد الشين المكسورة) : الطريق الحفي بين جبلين . لسان العرب ٥٠١ / ح ١

(٥) يأجج : اسم موضع بمكة ، ذكره القاموس في أجح ويحج . وصنطه كيسم ويصير ويضرب لسان العرب

عمرو : فطُفنا بالبيت ، وصَلَّينا ، ثم خرجنا نريد أبا سفيان ، فو الله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إليّ رجل من أهل مكة فعرفني ، فقال عمرو بن أمية : والله إن قدمها إلا لشراً ؛ فقلت لصاحبي : النَّجاء ، فخرجنا نشتدّ ، حتى أضعدنا في جبل ، وخرجوا في طلبنا ، حتى إذا عَلَوْنَا الجبل يؤسوا منا ، فرجعنا ، فدخلنا كهفا في الجبل ، فبتنا فيه ، وقد أخذنا حجارة فرَضَمناها^(١) دوننا ؛ فلما أصبحنا غدا رجل من قُرَيْش يقود فرسا له ، ويُخلى عليها^(٢) ، فغَشِينَا ونحن في الغار ، فقلت : إن رأنا صاح بنا ، فأخذنا فقتلنا .

قتله أبا سفيان وهربه :

قال : ومعى خنجر قد أعددت له لأبى سفيان ، فأخرج إليه ، فأضربه على ثديه ضربة ، وصاح صيحةً أسمع أهل مكة ، وأرجع فأدخل مكانى ، وجاءه الناس يشتدون وهو بأخر رَمَق ، فقالوا : من ضربك ؟ فقال : عمرو بن أمية ، وغلبه الموت ، فمات مكانه ، ولم يدلّ على مكاننا ، فاحتملوه . فقلت لصاحبي ، لما أَمْسَيْنَا : النَّجاء ؛ فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة ، فمَرَرْنَا بالحرس وهم يحرسون جيفة حُبَيْب بن عدى ؛ فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية ؛ قال : فلما حاذى الخشب شَدَّ عليها ، فأخذها فاحتملها ، وخرجنا شدا ، وخرجوا وراءه ، حتى أتى جُرُفا بمهبط مَسِيلٍ يأجج ، فرمى بالخشب في الجرف ، فغيبه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبي : النَّجاء النَّجاء ، حتى تأتى بعيرك فنقعد عليه ، فانى سَأشغل عنك القوم ، وكان الأنصارى لأرجلة له^(٣) .

(١) رَضَمناها دوسا . جعلنا بعض الحجارة فوق بعض ، لتكون حاجرا بيننا وبين من يطلنا نرتب القاموس ٢٤٩ / ج ٢

(٢) يحلى عليها : يجمع لها الحلى ، وهو الربيع ، ويسمى حلى ، لأنه يخلّى ، أى يقطع لسان العرب ٣٤٢ / ح ١٤

(٣) لا رحلة له : ليس له قوة بالمتى على رجله ، يقال فلان ذو رحلة ، إذا كان يقوى على المشى لسان العرب

٢٦٨ / ح ١١

قتله بكريا فى غار :

قال : ومضيتُ حتى أخرج على صَجْنان^(١) ثم أَوَيْتُ إلى جَبَل ، فأدخل كهفا ، فبينما أنا فيه ، إذ دخل على شيخ من بنى الدَّيْل أعور ، فى غَنِيمة له ؛ فقال : مَنِ الرجل ؟ فقلت : من بنى بكر ، فمن أنت ؟ قال : من بنى بكر ، فقلت : مَرَحبا ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال : ولستُ بمسلم ما دُمْتُ حياً ولا دان لدينِ المُسلمينا

فقلت فى نفسى : ستعلم ، فأمهله ، حتى إذا نام أخذتُ قوسى ، فجعلت سببتها^(٢) فى عينه الصَّحِيحة ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت النَّجاء ، حتى جئت العَرَج^(٣) ، ثم سلكت رَكُوبَةَ^(٤) ، حتى إذا هبَّطت النَّقِيع^(٥) إذا رجلان من قُرَيْش من المشركين ، كانت قریش بعثتهما عينا إلى المدينة ينظران ويتحسَّسان ، فقلت استأسرا ، فأبيا ، فأرمى أحدهما بسهم فأقتله ، واستأسر الآخر ، فأوثقه رباطا ، وقَدِّمت به المدينة .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين

قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مدين . ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن ، عن أمه فاطمة ابنة الحسين بن على عليهم رضوان الله ، أن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضُميرة مولى على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سَبِيا من أهل ميناء ، وهى السواحل ، وفيها جُماع^(٦) من الناس ، فبيعوا ، فُفرق بينهم ، فخرج

(١) صحاح : اسم جبل قرب مكة بين مكة والمدينة لسان العرب ٢٥٤ / ح ١٣

(٢) سنة القوس : طرفها لسان العرب ٤١٧ / ج ١٤

(٣) العرج : اسم منى بطريق مكة ، أوواد بالحجاز لسان العرب ٣٢٣ / ج ٢

(٤) ركوبة : ثنية بين الحرمين مكة والمدينة لسان العرب ٤٣٤ / ح ١

(٥) النقيع : موضع بلاد مريئة على لبنتين من المدينة لسان العرب ٣٦٣ / ج ٨

(٦) الجماع : من الأصداد ، يكون قارة المحتممين ، وتارة المعترفين ، وأراد به هنا جماعات من الناس محتطين لسان العرب ٥٦ / ح ٨

رسول الله ﷺ وهم يبيكون ، فقال : ما لهم ؟ فقيل : يا رسول الله ، فرق بينهم ، فقال رسول الله ﷺ : لا تتبعوهم إلا جميعا .

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد

سرية سالم بن عمير لقتل أبي عَفَك

سبب نفاق أبي عَفَك :

قال ابن إسحاق : وغزوة سالم بن عمير لقتل أبي عَفَك ، أحد بنى عمرو ابن عوف تم من بنى عبيدة ، وكان قد نجم^(١) نفاقه ، حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن سويد بن صامت ، فقال :

لقد عشتُ دهرًا وما إن أرى من الناس دارا ولا مَجْمعا
أبرَّ عُهودًا وأوفى لمن يعاقد فيهم إذا ما دعا
من أولاد قيلة في جمعهم يهدُ الجبال ولم يخضع^(٢)
فصدعهم ركب جاءهم حلال حرامٍ ليشئ^(٣) معا
فلو أن بالعز صدقتم أو المُلْك تابعتُم تبعا^(٤)

فقال رسول الله ﷺ : من لى بهذا الخبيث ، فخرج سالم بن عمير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهو أحد البكائين ، فقتله ؟ فقالت أُمَامَةُ الْمُزَيَّرِيَّة في ذلك :

تُكذِّبُ دينَ الله والمرءَ أحمداً لعمرُ الذي أَمَنَّاك أنْ بيئسَ ما يُمنى^(٥)
حباكَ حَنِيفٌ آخرَ اللَّيْلِ طعنةً أبا عَفَكٍ خذُها على كَبَرِ السِّنِّ^(٦)

(١) نجم طهر .

(٢) قيلة : اسم امرأة نسب إليها الأوس والخررج لسان العرب ٥٨٠ / ح ١١ أنصار النوى . ولم يخصها : أراد يخصص بالنوى الحقيقة ، فلما وقف عليها أبدل منها ألفا .

(٣) صدعهم : فرقهم لسان العرب ١٩٤ / ح ٨

(٤) تبع : أحد ملوك اليمس لسان العرب ٣١ / ح ٨

(٥) أَمَنَّاك : أنساك .

(٦) حنيف : مسلم لسان العرب ٥٧ / ج ٩

غزوة عمير بن عدى الخطمي لقتل عصماء بنت مروان

وغزوة عمير بن عدى الخطمي عصماء بنت مروان ، وهي من بنى أمية بن زيد ، فلما قُتل أبو عَفَك نافقت ، فذكر عبدُ الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بنى خَطْمة ، ويقال له يزيد بن يزيد فقالت (شعرا) تعيب الإسلام وأهله

خروج الخطمي لقتلها :

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك ، ألا أخذلى من ابنة مروان ؟ فسَمِعَ ذلك من قول رسول الله ﷺ عميرُ بن عدى الخطمي ، وهو عنده ؛ فلما أمسى من تلك الليلة سَرى عليها فى بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إنى قد قتلها . فقال نصرت الله ورسوله يا عمير ، فقال : هل على شىء من شأنها يا رسول الله ؟ فقال : لا يَنْتَطِح فيها عَنزان (١) .

فرجع عمير إلى قومه ، وبنو خَطْمة يومئذ كثير موجهم (٢) فى شأن بنت مروان . ولها يومئذ بنون خمسة رجال ، فلما جاءهم عمير بن عدى من عند رسول الله ﷺ ؛ قال : يا بنى خَطْمة ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدونى جميعا ثم لا تُنْطَرون . فذلك اليوم أول ما عَزَّ الإسلام فى دار بنى خَطْمة ، وكان يستخفى باسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أول من أسلم من بنى خَطْمة عمير بن عدى ، وهو الذى يدعى القارىء ، وعبد الله بن أوس ، وخزيمة بن ثابت ، وأسلم ، يوم قتلت ابنة مروان ، رجال من بنى خَطْمة ، لما رأوا من عَزَّ الإسلام .

(١) لا ينتطح فيها عيران : أى أن شأنها هين ، لا يكون فيه طلب ثأر ولا اختلاف لسان العرب ٦٢١ / ح ٢

(٢) موجهم . احتلاط كلامهم لسان العرب ٣٧٠ / ح ٢

أسر ثمامة بن أثال الحنفى وإسلامه والسرية التى أسرت ثمامة بن أثال الحنفى

بلغنى عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه قال : خرجت خيل
لرسول الله ﷺ ، فأخذت رجلا من بنى حنيفة ، لا يشعرون من هو ، حتى أتوا
به رسول الله ﷺ ؛ فقال : أتدرون من أخذتم ؛ هذا ثمامة بن أثال الحنفى ، أحسنوا
إساره . ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله ؛ فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ،
فابعثوا به إليه ، وأمر بلقحته^(١) أن بغدى عليه بها ويروح فجعل لايقع من ثمامة
موقعا ويأتيه رسول الله ﷺ فيقول أسلم يا ثمامة ، فيقول : إياها^(٢) يا محمد ، إن
تقتل تقتل ذا دم وإن ترد الفداء فسل ما شئت ، فمكت ما شاء الله أن يمكت ، ثم قال
النبي ﷺ يوما : أطلقوا ثمامة ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع ، فتطهر فأحسن
طهوره ، ثم أقبل فبايع النبي ﷺ ؛ فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام ،
فلم ينل منه إلا قليلا ، وباللقحة فلم يُصب من حلابها إلا يسيرا فعجب المسلمون من
ذلك فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك : ممّ تعجبون ؟ أمن رجل أكل أول النهار
فى معى كافر ، وأكل آخر النهار فى معى مسلم ! إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ،
وإن المسلم يأكل فى معى واحد .

قال ابن هشام : فبلغنى أنه خرج معتمرا ، حتى إذا كان ببطن مكة لبى ، فكان
أول من دخل مكة يلبي ، فأخذته قريش ، فقالوا : لقد اخترت علينا ، فلما قدموه
ليضربوا عنقه ؛ قال قائل منهم : دعوه فانكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم ، فخلّوه ،
فقال الحنفى فى ذلك :

وَمِنَّا الذِي لَبَّى بِمَكَّةَ مَعْلَنَا بَرَّغَمَ أَبِي سَفْيَانَ فِي الْأَشْهَرِ الْحُرْمِ
وَحُدِّثَتْ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، حِينَ أَسْلَمَ ، لَقَدْ كَانَ وَجْهَكَ أَبْغَضَ الْوُجُوهِ
إِلَى ، وَلَقَدْ أَصْبَحَ وَهُوَ أَحَبُّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ . وَقَالَ فِي الدِّينِ وَالْبِلَادِ مِثْلَ ذَلِكَ .

(١) اللقحة . واحدة اللعاح من الإبل ، وهى الناقة التى لها لس . لسان العرب ٥٨٢ / ح ٢

(٢) إياها . حسبك . لسان العرب ٤٧ / ح ١٣

ثم خرج معتمرا ، فلما قدم مكة ، قالوا : أَصَبَّوْتُ يَا ثَمَام ؟ فقال : لا ، ولكنى اتَّبعْتُ خير الدين ، دين محمد ، ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ . ثم خرج إلى اليمامة ، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا ، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ : إنك تأمر بصلة الرحم ، وإنك قطعت أرحامنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ، فكتب رسول الله ﷺ إليه أن يخلي بينهم وبين الحمل .

سرية علقمة بن مجرّز وبعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجرّز .

لما قتل وقاص بن مجرّز المُدْلَجِي يوم ذِي قَرْد ، سأل علقمة بن مجرّز رسول الله ﷺ أن يبعثه في آثار الفوم ، ليدرك ثأره فيهم .

فذكر عبدُ العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجرّز . قال أبو سعيد الخدري : وأنا فيهم - حتى إذا بلغنا رأس غراتنا أو كُنَّا ببعض الطريق ، أذن لطائفة من الجيش ، واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكانت فيه دُعابة (١) ، فلما كان ببعض الطريق أوقد نارا ، ثم قال للقوم : أليس لي عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ؛ قال : أفما أنا أمركم بشيء إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فاني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا توثبتم في هذه النار ؛ قال : فقام بعض القوم يحتجز (٢) حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : اجلسوا ، فانما كنت أضحك معكم ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قدموا عليه ، فقال رسول الله ﷺ : من أمركم بمَعْصِيَةٍ منهم فلا تُطِيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مجرّز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيذا .

(١) الدعابة المراح . لسان العرب ٣٧٦ / ح ١

(٢) يحتجز : يتد توبه على حصره بمنزلة الحرام . لسان العرب ٣٣٢ / ح ٥

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسارا

شأن يسار :

حدثني بعض أهل العلم ، عمن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان ابن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسول الله ﷺ في غزوة محارب وبنى ثعلبة عبدا يقال له يسار ، فجعله رسول الله ﷺ في لقاح له كانت ترعى في ناحية الجماء^(١) ، فقدم على رسول الله ﷺ نفر من قيس كُبَّة^(٢) من بجيلة ، فاستوبئوا^(٣) ، وطَحَلوا^(٤) ، فقال لهم رسول الله ﷺ : لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

فلما صحَّوا وانطوت بطونهم^(٥) ، عدوا على راعي رسول الله ﷺ يسار ، فذبحوه وعرزوا الشوك في عينيه ، واستاقوا اللقاح . فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كُرْز بن جابر ، فلحقهم ، فأتى بهم رسول الله ﷺ مرجعه من غزوة ذي قرد ، فقطع أيديهم وأرحلهم ، وسَمَل أعينهم^(٦) .

غزوة على بن أبي طالب إلى اليمن

وغزوة على بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى اليمن ، غزاها مرتين .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المديني : بعث رسول الله ﷺ على بن أبي طالب إلى اليمن ، وبعث خالد بن الوليد في جُند آخر ، وقال : إن التقيتما فالأمير على بن أبي طالب .

وقد ذكر ابن إسحاق بَعَث خالد بن الوليد في حديثه ، ولم يذكره في عدة البعوث والسرايا ، فينبغي أن تكون العدة في قوله تسعة وثلاثين .

(١) الجماء . موضع .

(٢) كبة : قبيلة من بجيلة . لسان العرب ٦٩٨ / ج ١

(٣) فاستوبئوا . من الوباء ، وهو كثرة الأمراض وعمومها لسان العرب ١٨٤ / ح ١

(٤) طَحَلوا . أصابهم وجع الطحال وعظمه . لسان العرب ٣٩٩ / ح ١١

(٥) انطوت بطونهم ، صارت فيها طرائق التحم وعكسه . لسان العرب ١٩ / ح ١٥ .

(٦) سَمَل أعينهم . فقأها . لسان العرب ٣٤٧ / ج ١١

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

وهو آخر البعث

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطىء الخيل تُخوم البلقاء والداروم ، من أرض فلسطين فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ .

ابتداء شكوى رسول الله ﷺ

بدء الشكوى :

قال ابن إسحاق : فبينما الناس على ذلك ابتدىء رسول الله ﷺ بشكوه الذى قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، فى ليال بقين من صفر ، أو فى أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتدىء به من ذلك ، فيما ذكر لى ، أنه خرج إلى بقيع الغرقد ، من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدىء بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن عمر ، عن عبيد بن جبير ، مولى الحكم بن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مويهبة ، مولى رسول الله ﷺ ، قال : بعثنى رسول الله ﷺ من جوف الليل ، فقال : يا أبا مويهبة ، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهنئ لكم ما أصبحت فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شرّ من الأولى ؛ ثم أقبل على ، فقال : يا أبا مويهبة ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة قال : فقلت بأبى أنت وأمى فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ؛ قال : لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربى

والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله ﷺ وجَّعه الذى قبضه الله فيه .

تمريضه فى بيت عائشة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : رجع رسول الله ﷺ من البقيع ، فوجدنى وأن أجد صداعا فى رأسى ، وأنا أقول : وا رأساه ، فقال : بل أنا والله يا عائشة وا رأساه . قالت : ثم قال : وما ضرَّكِ لو مُتُّ قبلى ، فقمْتُ عليك وكفنتك ، وصليتُ عليك ودفنتك ؟ قالت : قلت : والله لكأنى بك ، لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعتُ إلى بيتى ، فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت : فتبسم رسول الله ﷺ ، وتتام به وجَّعه ، وهو يدور على نسائه ، حتى استعز به ، وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه ، فاستأذنهنَّ فى أن يُمرَّض فى بيتى ، فأذنَّ له .

ذكر أزواجه ﷺ

أمهات المؤمنين

أسماءهن :

قال ابن هشام : وكنَّ تسعا : عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ابن الخطاب ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وأم سلمة بنت أبى أمية ابن المغيرة ، وسودة بنت زمعة بن قيس ، وزينب بنت جحش بن رثاب ، وميمونة بنت الحارث بن حزن ، وجويرة بنت الحارث بن أبى ضرار ، وصفية بنت حيى بن أخطب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم .

زواجه بخديجة :

وكان جميع من تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة ، خديجة بنت خويلد ، وهى أول من تزوج ، زوجه إياها أبوها خويلد بن أسد ، ويقال أخوها

عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، حليف بنى عبد الدار ، فولدت له هند بن أبي هالة ، وزينب بنت أبي هالة ، وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله ، وجارية .

قال ابن هشام : جارية من الجوارى ، تزوجها صيفى بن أبي رفاعة .

زواجه بعائشة :

وتزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة ، وهى بنت سبع سنين ، وبنى بها بالمدينة ، وهى بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكرا غيرها ، زوجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم .

زواجه بسودة :

وتزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، زوجه إياها سليط بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم .

قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سليطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة فى هذا الوقت .

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل .

زواجه بزینب بنت جحش :

وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية . زوجه

إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله ﷺ ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا ﴾ (١).

زواجه بأم سلمة :

وتزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية ، واسمها هند ؛ زوجه إياها سلمة بن أبي سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله ﷺ فرائثا حشوه ليف ، وقدحا ، وصحفة ، ومجشئة (١) ؛ وكانت قبله عند أبي سلمة ابن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية .

زواجه بحفصة :

وتزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب ، زوجه إياها أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمي .

زواجه بحبيبة :

وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة ، واسمها رمة بنت أبي سفيان بن حرب ، زوجه إياها خالد بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربع مائة دينار ، وهو الذي كان خطبها على رسول الله ﷺ ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدي .

زواجه بجويرية :

وتزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية ، كانت في سبايا بنى المصطلق من خزاعة ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس ابن الشماس الأنصاري ، فكتبها على نفسها ، فأنت رسول الله ﷺ تستعينه

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٧

(١) المجتة . الرحي ، يقال : حششت الطعام في الرحي إذا طحنته طحنا عليطا . لسان العرب ٢٧٤ / ح ٦

في كتابتها . فقال لها : هل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال :
أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوجها .

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد
ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بني
المصطلق ، ومعه جويرية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى
رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله ﷺ
المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر
إلى الإبل التي جاء بها للفداء ، فرغب في بيعين منها ، فغيبهما في شعب من
شعاب العقيق ، ثم أتى النبي ﷺ ، فقال : يا محمد ، أصبتم ابنتي ، وهذا
فدأؤها ، فقال رسول الله ﷺ : فأين البعيران اللذان غيبت بالعقيق في شعب
كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، صلى الله
عليك ، فو الله ما اطلع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه
ابنان له وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى
النبي ﷺ ، ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحسن إسلامها ،
وخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربع مئة درهم ،
وكانت قبل رسول الله ﷺ عند ابن عم لها يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسول الله ﷺ من ثابت بن قيس ،
فأعتقها وتزوجها ، وأصدقها أربع مئة درهم .

زواجه بصفية :

وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيى بن أخطب ، سبأها من خيبر ،
فاصطفاها لنفسه ، وأولم رسول الله ﷺ وليمة ، ما فيها شحم ولا لحم ، كان
سويقاً وتمراً ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق .

زواجه بميمونة:

وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هزم ابن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زوجه إياها العباس ابن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله ﷺ أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ؛ ويقال : إنها التى وهبت نفسها للنبي ﷺ ، وذلك أن خطبة النبي ﷺ انتهت إليها وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله ؛ فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ﴾ (١) .

ويقال : إن التى وهبت نفسها للنبي ﷺ زينب بنت جحش ، ويقال أم شريك ، غزية بنت جابر بن وهب من بنى منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر ابن لؤى ، ويقال : بل هى امرأة من بنى سامة بن لؤى ، فأرجأها (٢) رسول الله ﷺ .

زواجه زينب بنت خزيمة :

وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تسمى أم المساكين ، لرحمتها إياهم ، ورقتها عليهم ، زوجه إياها قبصة بن عمرو الهلالى ، وأصدقها رسول الله ﷺ أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند عبدة ابن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عبدة عند جهم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمها .

عدتهن وشأن الرسول معهن :

فهؤلاء اللاتى بنى بهن رسول الله ﷺ إحدى عشرة ، فمات قبله منهن ثنتان : خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة . وتوفى عن تسع قد ذكرناهن

(١) الأحزاب الآية : ٥٠

(٢) أرجأها : أمر أمرها . لسان العرب ٣١١ / ح ١٤

فى أول هذا الحديث ؛ وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوجها فوجد بها بياضا^(١) ، فمَنَعَهَا^(٢) وردّها إلى أهلها ، وعَمَرَة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثة عهد بكفر ؛ فلما قدمت على رسول الله ﷺ ، استعازت من رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : منيعٌ عائدُ الله ، فردّها إلى أهلها ، ويقال : إن التى استعازت من رسول الله ﷺ بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسول الله ﷺ دعاها ، فقالت : إنا قوم نُؤْتى ولا نأتى ؛ فردّها رسول الله ﷺ إلى أهلها .

تسمية القرشيات منهن :

القرشيات من أزواج النبى ﷺ ست : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وعائشة بنت أبى بكر بن أبى قُحافة بن عامر بن عمرو بن كُعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ؛ وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ابن عبد الله بن قُروط بن رباح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ؛ وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وسودة بنت زمعة ابن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى .

تسمية العربيات وغيرهن :

والعربيات وغيرهن سبع : زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه ؛ وميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة

(١) البياض : الدرس . تكنى عنه العرب بالنياض ، لكراهيتها إياه . لسان العرب ٥ / ح ٧

(٢) مَنَعَهَا : وصلها شئء تتمتع به . بعد الطلاق . لسان العرب ٣٣٠ / ح ٨

ابن قيس بن عيلان ؛ وزينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو
ابن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ؛ وجُويرية بنت
الحارث بن أبي ضرار الخزاعية ، ثم المصطلقية ؛ وأسماء بنت النعمان
الكندية ؛ وعمرة بنت يزيد الكلابية .

غير العربيات :

ومن غير العربيات : صفية بنت حُيى بن أخطب ، من بنى النضير .

تمريض رسول الله في بيت عائشة

قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم
الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبي ﷺ ،
قالت : فخرج رسول الله ﷺ يمشى بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن
العباس ، ورجل آخر ، عاصبا رأسه ، تخط قدماه ، حتى دخل بيتي .

قال عبيد الله ، فحدثت هذا الحديث عبد الله بن العباس ، فقال : هل
تدرى من الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا ؟ قال : على بن أبي طالب .

شدة المرض وصب الماء عليه :

ثم غمر^(١) رسول الله ﷺ ، واشتد به وجعه ، فقال هريقوا على سبع
قرب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم . قالت : فأقعدناه في
مخضب^(٢) لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبكم
حسبكم .

كلمة للنبي واختصاصه أبا بكر بالذكر :

قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثني أيوب بن بشير : أن

(١) عمر . أصابته عمره المرض ، وهى شدته [لسان العرب ٢٩ / ح ٥]

(٢) المحصب : أناء يعتسل فيه . [لسان العرب ٣٥٩ / ح ١] الالافطة بمعنى البحر [لسان العرب ٤٦١ / ح ٧]

رسول الله ﷺ خرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبدا من عباد الله خير من الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر ، وعرف أن نفسه يريد ، فبكى وقال : بل ونحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رسلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافتة^(١) في المسجد ، فسدوها إلا بيت أبي بكر ، فاني لا أعلم أحدا كان أفضل في الصحبة عندي يدا منه ، قال ابن هشام : ويروى : إلا باب أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبي سعيد بن المعلى : أن رسول الله ﷺ ، قال يومئذ في كلامه هذا : فإني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده .

أمر الرسول بإنفاذ بعث أسامة :

وقال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله ﷺ استبطناً الناس في بعث أسامة ابن زيد وهو في وجعه فخرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة : أمر غلاماً حدثاً على جلة المهاجرين والأنصار .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إماره أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقا لها .

قال : ثم نزل رسول الله ﷺ ، وانكمش^(٢) الناس في جهازهم ، واستعز برسول الله ﷺ وجعه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجُرف ، من المدينة على فرسخ ، فضرب به عسكره ، وتنام إليه الناس ، وثقل رسول الله ﷺ ، فأقام أسامة والناس ، لينظروا ما الله قاض في رسول الله ﷺ .

(١) اللافتة بمعنى النحر [لسان العرب ٤٦١ / ح ٧]

(٢) انكمش الناس . أسرعوا [لسان العرب ٣٤٣ / ج ٦]

وصية الرسول بالأنصار :

وقال ابن إسحاق : قال الزهري : وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك : أن رسول الله ﷺ قال يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد ، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ : يا معشر المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيرا ، فإن الناس يزينون ، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عييتي^(١) التي أويت إليها ، فأحسنوا إلى مُحسنهم ، وتجاوزوا عن مُسيئهم .

قال عبد الله : ثم نزل رسول الله ﷺ ، فدخل بيته ، وتناّم به وجعه ، حتى غُمر .

قال عبد الله : فاجتمع إليه نساء من نسائه : أم سلمة ، وميمونة ، ونساء من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عميس ، وعنده العباس عمه ، فأجمعوا أن يُلْدُوهُ^(٢) ، وقال العباس : لألذنه . قال : فلْدُوهُ ، فلما أفاق رسول الله ﷺ ، قال : مَنْ صَنَعَ هذا بي ؟ قالوا : يا رسول الله ، عمك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ؛ قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عمه العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان الله عزّ وجلّ ليقدفني به ، لا يَنِيقُ في البيت أحد إلّا لُدَّ إلّا عمي ، فلقد لُدت ميمونة وإنها لصائمة ، لقسم رسول الله ﷺ ، عقوبة لهم بما صنعوا به .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبيد بن السباق ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ، وقد أُصِمت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على ، فأعرف أنه يدعو لي .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهري : حدثني عبيد بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان رسول الله ﷺ كثيرا ما أسمعُه يقول إن الله

(١) عييتي : موضع ثقلي : خاصتي وموضع يبري [لسان العرب ٦٣٤ / ج ١]

(٢) أن يلدوه : أي يجعلوا الدواء في شق فمه . لسان العرب ٣٩٠ / ح ٣]

لم يقبض نبيا حتى يخيره قالت : فلما حضر رسول الله ﷺ كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول : بل الرفيق الأعلى^(١) من الجنة ، قالت : فقلت : إذا والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يُخير .

صلاة أبي بكر بالناس :

قال الزُّهرى : وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر ، أن عائشة قالت : لما استُعِزَّ^(٢) برسول الله ﷺ قال : مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس . قالت : قلت : يا نبي الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن . قال : مروه فليصل بالناس . قالت : فعدت بمثل قول ، فقال : إنكن صواحب يوسف ، فمروه فليصل بالناس ، قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يُصرف ذلك عن أبي بكر ، وعرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقامه أبدا ، وأن الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان ، فكنت أحب أن يُصرف ذلك عن أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب : حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زمة بن الأسود ابن المُطَّلَب بن أسد ، قال : لما استُعِزَّ برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مروا مَنْ يصلي بالناس . قال : فخرجت فإذا عمر في الناس . وكان أبو بكر غائبا ، فقلت : قم يا عمر فصل بالناس ، قال : فقام ، فلما كبر ، سمع رسول الله ﷺ صوته ، وكان عمر رجلا مجهرا ، قال : فقال رسول الله ﷺ : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون . قال : فبُعِثَ إلى أبي بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس . قال : قال عبد الله بن زمة : قال لي عمر : ويحك ، ماذا صنعت بي يا ابن زمة ، والله ما ظننت حين أمرتني

(١) يشير إلى قوله تعالى : (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .

(٢) جاء في لسان العرب : استُعِزَّ بالعليل إذا اتند مرضه وَعُلبَ على عقله : وفي الحديث : أنه استُعِزَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه ، أي اتند به المرض وأشرف على الموت .

(٣) محهر : على الصوت . لسان العرب ١٥٠ / ح ٤

إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صليت بالناس . قال : قلت والله ما أمرني رسول الله ﷺ بذلك ، ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس .

اليوم الذي قبض الله فيه نبيه :

قال ابن إسحاق : وقال الزهري : حدثني أنس بن مالك : أنه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسول الله ﷺ ، خرج إلى الناس ، وهم يصلون الصبح ، فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله ﷺ ، فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فرحا به ، وتفرجوا ، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم ؛ قال : فنبسم رسول الله ﷺ سرورا لما رأى من هيئتهم في صلاتهم ، وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منه تلك الساعة ، قال : ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله ﷺ قد أفرق^(١) من وجهه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنح^(٢) .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد : أن رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة : أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون . فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته ، لم يشك المسلمون أن رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر ، ولكنه قال عند وفاته : إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير مني . فعرف الناس أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحدا ، وكان عمر غير متهم على أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مليكة ، قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصبا رأسه إلى الصبح ، وأبو بكر يصلي بالناس ، فلما خرج رسول الله ﷺ تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن

(١) أفرق : برىء . لسان العرب ٣٠٤ / ج ١٠ .

(٢) السُّنح (بوزن فعل) : موضع كان فيه مال لأبي بكر ، وكان ينزله بأهله . لسان العرب ٤٩٢ / ح ٢

الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ ، فنكص عن مُصَلَّاهُ ، فدفع رسول الله ﷺ في ظهره ، وقال : صلّ بالناس ، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه ، فصلّى قاعدا عن يمين أبي بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس ، فكلمهم رافعا صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد ، يقول : أيها الناس ، سُعِرَت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وإنى والله ما تَمْسُكون على شئ ، إنى لم أحلّ إلا ما أحل القرآن ، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن .

قال : فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه ، قال له أبو بكر : يا نبي الله إنى أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نُحِبُّ ، واليوم يوم بنت خارجة ، أفأتيتها ؟ قال : نعم ، ثم دخل رسول الله ﷺ ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح .

شأن العباس وعلى :

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج يومئذ على بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله ﷺ ، فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً ، قال : فأخذ العباس بيده ، ثم قال : يا على ، أنت والله عبدُ العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله ﷺ ، كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ ، فإن كان هذا الأمر فىنا عرفناه ، وإن كان فى غيرنا ، أمرناه فأوصى بنا الناس . قال : فقال له على : إنى والله لا أفعل ، والله لئن منعناه لا يؤتينا أحد بعده .

فُتُوفى رسول الله ﷺ حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم .

سواك الرسول قبيل الوفاة :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن الزهرى ، عن عروة ،

عن عائشة ، قال : قالت : رجع إلى رسول الله ﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد فاضطجع في حجرى ، فدخل على رجل من آل أبى بكر ، وفي يده سواك أخضر . قالت : فنظر رسول الله ﷺ إليه في يده نظراً عرفت أنه يريد ، قالت : فقلت : يا رسول الله ، أتحب أن أعطيك هذا السواك ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فمضغته له حتى لئنته ، ثم أعطيته إياه ؛ قالت : فاستن به كأشد ما رأيته يستن بسواك قط ، ثم وضعه ؛ ووجدت رسول الله ﷺ يتنقل في حجرى ، فذهبت أنظر في وجهه ، فإذا بصره قد شَخَص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ؛ قالت : فقلت : خُيرت فاخترت والذي بعثك بالحق قالت : وقُبِض رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعت عائشة تقول ، مات رسول الله ﷺ بين سحرى^(١) ونحرى^(٢) وفى دَوْلَتى ، لم أظلم فيه أحداً ، فمن سَفَهى وحدائنة سنى أن رسول الله ﷺ قُبِض وهو فى حجرى ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت التدم^(٣) مع النساء ، وأضرب وجهى .

مقالة عمر بعد وفاة الرسول :

قال ابن اسحاق : قال الزهرى ، وحدثنى سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، قال : لما تُوفى رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد تُوفى ؛ وإن رسول الله ﷺ ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ؛ ووالله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات .

(١) السحر الرنة ومايتصل بها إلى الحلقوم لسان العرب ٣٥٢ / ج ٤

(٢) النحر . أعلى الصدر . لسان العرب ١٩٥ / ج ٥

(٣) التدم . أضرب صدرى ترتيب القاموس ١٣٦ / ج ٤

موقف أبى بكر بعد وفاة الرسول :

قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، ورسول الله ﷺ مسجى^(١) في ناحية البيت ، عليه بُرد حبرة^(٢) فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ . قال : ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما المودة التي كتب الله عليك فقد ذفتها ثم لن تصيبك بعدها مودة أبدا قال . ثم رد البرد على وجه رسول الله ﷺ ، ثم خرج وعمر يكلم الناس ، فقال : على رسلك يا عمر ، أنصت ، فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت . قال ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾^(٣) .

قال : فو الله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ؛ قال : وأخذها الناس عن أبى بكر ، فانما هي في أفواههم ؛ قال : فقال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعقرت^(٤) حتى وقعت إلى الأرض ما تحملى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات^(٥) .

(١) مسجى . معطى لسان العرب ٣٧١ / ج ١٤

(٢) الحبرة . صرب من ثياب اليمس لسان العرب ١٥٩ / ج ٤

(٣) سورة آل عمران الآية ١٤٤

(٤) عقرت : دهست لسان العرب ٥٩٨ / ج ٤

(٥) مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أدى الأمانة وبلغ الرسالة الحاتمة وهو راض عن عمله ومرضى عنه من الله والمسلمين .

أمر سقيفة بنى ساعدة

تفرق الكلمة :

قال ابن إسحاق : ولما قُبِضَ رسول الله ﷺ انحاز هذا الحَيّ من الأنصار إلى سعد بن عُبادة في سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل عليّ بن أبي طالب والزُبَيْر بن العَوَّام وطلحة بن عُبَيْد الله في بيت فاطمة ، وانحاز بقيّة المهاجرين إلى أبي بكر ، وانحاز معهم أَسِيدُ بن حُضَيْر ، في بنى عبد الأشهل ، فَأَتَى آت إلى أبي بكر وعمر ، فقال : إن هذا الحَيّ من الأنصار مع سعد بن عُبادة في سقيفة بنى ساعدة ، قد انحازوا إليهِ ، فان كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفارق أمرهم ، رسول الله ﷺ في بيته لم يُفْرغ من أمره قد أغلِقَ دُونَهُ الباب أهلُهُ . قال عمر : فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ما هم عليه .

ابن عوف ومشورته على عمر بشأن بيعة أبي بكر :

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن عبد الله بن أبي بكر ، حدثني عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن عوف ، قال : وكنت في منزله بمنى أنتظره ، وهو عند عمر في آخر حجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدني في منزله بمنى أنتظره ، وكنت أقرئه القرآن ، قال ابن عباس ، فقال لي عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، والله ماكانت بيعة أبي بكر إلا فُلْتَةٌ فَنَمَّتْ قال : فغضب عمر ، فقال : إني إن شاء الله لقائم العشيّة في الناس ، فمحذّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يَغْصِبُوهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لاتفعل ، فإن

الموسم يجمع رِعا ع الناس و غَوَاءَهُم^(١) ، وإنهم هم الذين يغلبون على قُربك ، حين تقوم فى الناس ، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كل مطير ، ولا يعوها ولا يضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار السُنة ، وتخلص بأهل الثقة وأشرف الناس فنقول ما قلت بالمدينة متمكناً ، فيعى أهل الفقه مقالتك ، ويضعوها على مواضعها ، قال : فقال : عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة :

خطبة عمر عند بيعة أبى بكر

قال ابن عباس : فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرّواح حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى رُكن المنبر فجلست حذوه تمسّ رُكبتى ركبته ، فلم أنشأ أن خرج عمر بن الخطاب ، فلما رأيته مُقبلاً ، قلت لسعيد بن زيد : ليقولن العشيّة على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ؛ قال : فأنكر على سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله ، فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذنون ، قام فأثنى على الله بما هو أهل له ، ثم قال : أما بعد ، فانى قائل لكم اليوم مقالة قد قدر لى أن أقولها ، ولا أدري لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيها فلا يحل لأحد أن يكذب على ؛ إن الله بعث محمداً ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعلمناها ووعيناها ، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد الرجم فى كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء ، وإذا قامت البينة ، أو كان الحبل أو الاعتراف ؛ ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : « لا ترغبوا عن آباءكم فأنه كُفّر بكم أن ترغبوا عن آباءكم » ألا إن رسول الله ﷺ قال : « لا تطرونى كما أطرى عيسى ابن مريم ، وقولوا : عبد الله ورسوله » ؛ ثم إنه قد بلغنى

(١) العوغاء : سعة الناس ، وأصل العوغاء الجراد ، فتبه سعة الناس به ، لكثرتهم . لسان العرب ١٤٢ / ح ١٥

أن فلانا قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، فلا يغرنّ امرأ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت قلّنة فتّمت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرّها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر ، فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا بيعة له هو ولا الذي بايعه نَغْرَةً^(١) أن يقتلا ، إنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه رسول الله ﷺ أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بنى ساعدة ، وتخلّف عنا على ابن أبي طالب والزبير بن العوّام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلا صالحا ، فذكرنا لنا ما تمألا عليه القوم ، وقال : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء الأنصار ، قالوا : فلا عليكم أن لا تقرّبوهم يا معشر المهاجرين ، اقضوا أمركم . قال : قلت : والله لنأتينهم ، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بنى ساعدة ، فاذا بين ظهرانيهم رجلٌ مُزْمَلٌ^(٢) فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عبادة ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجع . فلما جلسنا تشهّد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت^(٣) دفة من قومكم ، قال : وإذا هم يريدون أن يجتازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر ، فلما سكت أردت أن أتكلّم ، وقد زوّرت^(٤) في نفسي مقالة قد أعجبتني ، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحدّ^(٥) ، فقال أبو بكر : على رسلك يا عمر ، فكرهت أن أغضبه ،

(١) النغرة من التعرير ، والكلام على حنف مصاف ، تقديره ، خوف نغرة أن يقتلا . والمعنى : أن النبعة حقها أن تقع صادرة عن المشورة والاتفاق ، فإذا استند رجلا دون الجماعة فبايع أحدهما الآخر لذلك تظاهر منهما بتق العصا وإطراح الجماعة . فإن عقد لأحد بيعة ، فلا يكون المعقود له واحدا منهما ، وليكونا معرولين من الطائفة التي تنفق على تمييز الامام منها ، لأنه لو عقد لواحد منهما وقد ارتكبا تلك الفعل الشبيعة ، التي احفظت الجماعة ، من التهاون بهم ، والاستعلاء عن رأيهم ، لم يؤمن أن يقتلا [انظر لسان العرب مادة غرر لسان العرب ١١ ج ٥]

(٢) مزمل : ملثف في كساء أو غيره .

(٣) الدافة . للقوم يسرون جماعة سيرا ليس بالشديد

(٤) زورت مقالة : أصلحتها وحسنتها .

(٥) الحد : أي أنه كان في حلق عمر حدة ، كان يسترها عن أبي بكر .

فتكلم ، وهو كان أعلم منى وأوقر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى بديته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكنت ؛ قال : أما ما ذكرتم فيكم من خير ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسباً^(١) وداراً^(٢) ، وقد رضى لكم أحد هذين الرجلين ؛ فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدى وبيد أبى عبدة بن الجراح ، وهو جالس بيننا ولم أكره شيئاً مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقى ، لأيقرنى ذلك إلى إثم ، أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبوبكر .

قال قائل من الأنصار : أنا جزيلها المحك^(٣) وعذيقها^(٤) المرجب ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش ، قال : فكثرت اللغط^(٥) وارتفعت الأصوات ، حتى تخوفت الاختلاف : فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا^(٦) على سعد بن عبادة ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة . قال فقلت : قتل الله سعد بن عبادة .

تعريف بالرجلين اللذين لقيا أبا بكر وعمر فى طريقهما للسقيفة :

قال ابن إسحاق : قال الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة ، والآخر مع ابن عدى ، أخو بنى العجلان . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قيل

(١) أوسط العرب نسبا : أشرفهم : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) .

(٢) ودارا : بلدا ، وهى مكة ، لأنها أشرف النقا .

(٣) الجدبل : تصغير جدل ، وهو عود يكون فى وسط مترك الإبل ، تحتك به ، وتستريح إليه ، يضرب به المتل للرجل يستشع برأيه ، وتوحد الراحة عنده .

(٤) العذيق : تصغير عذق ، وهى النخلة بنفسها ، والمرحب : الذى تبى إلى حائه دعامة ترفده لكثرة حملة ، لمعه على أهله يضرب به المتل فى الرجل الشريف الذى يعطيه قومه ، واسم الدعامة التى تدعم بها النخلة الرحبة ، ومنه اشتقاق شهر رجب ، لأنه يعطى فى الجاهلية والإسلام .

(٥) اللغط : اختلاف الأصوات ، ودحول بعضها على بعض .

(٦) نزونا على سعد . وثنا عليه ووطناه .

لرسول الله ﷺ من الذين قال الله عز وجل لهم : « فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَآلَهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ » فقال رسول الله ﷺ : نَعَمْ المرءُ منهم عُويم ابن ساعدة ؛ وأما مَعْن بن عَدَى ، فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله ﷺ حين توفاه الله عز وجل ، وقالوا : والله لَوَدِدْنَا أَنَا مَتَنَا قَبْلَهُ ، إِنَّا نَخْشَى أَنْ نَفْتَنَ بَعْدَهُ . قال معن بن عَدَى : لكنى والله ما أَحَبَّ أُنَى مَتَّ قَبْلَهُ حَتَّى أَصْدَقَهُ مِيتَا كَمَا صَدَّقْتَهُ حَيَا ؛ فقتل معن يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر ؛ يوم مُسْلِمِيَّة الكذاب .

خطبة عمر قبل أبى بكر عند البيعة العامة

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى ، قال حدثنى أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبوبكر فى السقيفة وكان الغد ، جلس أبوبكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهد إلى رسول الله ﷺ ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا ، يقول : يكون آخرنا وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذى به هدى الله رسوله ﷺ ، فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله ﷺ ، ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبأ بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

خطبة أبى بكر

فتكلم أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فاني قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ؛ وإن أسأت فقومونى ؛ الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ؛ أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إنني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له ، وفي يده الدرة ، وما معه غيري ، قال : وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحشياً^(١) قدمه بدرته ، قال : إذ التفت إليّ ، فقال : يا ابن عباس ، هل تدري ما كان حملني على مقاتلي التي قلت حين توفي رسول الله ﷺ ؟ قال : قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ؛ قال : فانه والله ، إن كان الذي حملني على ذلك إلا أنني كنت أقرأ هذه الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾^(٢) فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله ﷺ سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فانه للذي حملني على أن قلت ما قلت .

جهاز رسول الله ﷺ ودفنه

من تولى غسل الرسول :

قال ابن إسحاق : فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء فحدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن عليّ بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وقثم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى رسول الله ﷺ ، هم الذين ولّوا غسله ، وأنّ أوس بن حوّل ، أحد بني عوف ابن الخزرج ، قال لعليّ بن أبي طالب : أنشدك الله يا عليّ وحظنا من رسول الله ﷺ ، وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر ، قال : ادخل ، فدخل فجلس ، وحضر غسل رسول الله ﷺ ، فأسنده عليّ بن أبي طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه معه ، وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه ، هما اللذان يصبان الماء عليه ، وعليّ يغسله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يملكه به من ورائه ، لا يفضي بيده إلى رسول الله ﷺ ، وعليّ

(١) الوحشي من أعضاء الإنسان . ما كان إلى خارج ، والإسبي . ما أقل على حسده منها

(٢) سورة النقرة آية ١٤٣

يقول : بأبى أنت وأمى ، ما أطيبك حياً وميتاً ! ولم يُر من رسول الله ﷺ شيء مما يُرى من الميت .

كيف غسل الرسول :

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبّاد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه فقالوا : والله ما ندرى ، أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ، قالت : فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم ، حتى ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره ، ثم كلمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن غسلوا النّبى وعليه ثيابه ؛ قالت : فقاموا إلى رسول الله ﷺ ، فغسلوه وعليه قميصه ، يصبّون الماء فوق القميص ، ويدلّكونه والقميص دون أيديهم .

تكفين الرسول :

قال ابن إسحاق : فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كفّن في ثلاثة أثواب ، ثوبين صُحاريين^(١) وبُرْد حَبْرَة ، أُنْرج فيها إدراجا ، كما حدثني جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدّه عليّ بن الحسين والزهرى ، عن عليّ بن الحسين .

حفر القبر :

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ ، وكان أبو عبيدة بن

(١) صحاريين : نسبة إلى صحار ، وهى منبئة من اليمس كما فى لسان العرب ، أو هى فى بلاد بلى تميم من اليمامة أو مايلها (عن معجم ما استعجم للبكرى) .

الْجَرَّاحِ يَضْرَحُ^(١) كَحَفَرِ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ زَيْدُ بْنُ سَهْلٍ هُوَ الَّذِي يَحْفَرُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ يَلْحَدُ ، فَدَعَا الْعَبَّاسَ رَجُلَيْنِ ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا : اذْهَبْ ، إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، وَلِلْآخَرِ اذْهَبْ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ . اللَّهُمَّ خِزْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَوَجَدَ صَاحِبَ أَبِي طَلْحَةَ أَبَا طَلْحَةَ ، فَجَاءَ بِهِ ، فَلَحَدَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

دفن الرسول والصلاة عليه :

فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ، وَضَعَ فِي سَرِيرِهِ فِي بَيْتِهِ ، وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ . فَقَالَ قَائِلٌ : نَدْفِنُهُ فِي مَسْجِدِهِ وَقَالَ قَائِلٌ : بَلْ نَدْفِنُهُ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يَقْبِضُ ، فَرَفَعَ فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي تُوفِيَ عَلَيْهِ ، فَحَفَرَ لَهُ تَحْتَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ أَرْسَالًا^(٢) ، دَخَلَ الرِّجَالُ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغُوا أَدْخَلَ النِّسَاءَ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ النِّسَاءَ أَدْخَلَ الصِّبْيَانَ . وَلَمْ يَوْمِ النَّاسُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ .

ثُمَّ دُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ وَسْطِ اللَّيْلِ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ .

دفن الرسول :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ امْرَأَتِهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ عِمَارَةَ ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، جُوفَ اللَّيْلِ مِنْ لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ .

من تولى دفن الرسول :

وَكَانَ الَّذِينَ نَزَلُوا فِي قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَالْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَقُتَيْمُ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَشُقْرَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

(١) يَضْرَحُ . يَشُقُّ الْأَرْضَ لِلْقَبْرِ .

(٢) أَرْسَالًا : جَمَاعَةً بَعْدَ جَمَاعَةٍ .

وقد قال أوس بن حَوَلَى لعلّى بن أبى طالب : يا على ، أنشدك الله ، وحظنا من رسول الله ﷺ ، فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه سُقران حين وضع رسول الله ﷺ فى حفرة وبنى عليه قد أخذ قطيفة ، وقد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها ودفنها فى القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا .

قال : دفنت مع رسول الله ﷺ .

أحدث الناس عهدا بالرسول :

وقد كان المغيرة بن شعبة يدعى أنه أحدث الناس عهدا برسول الله ﷺ يقول : أخذت خاتمى ، فألقيته فى القبر ، وقلت : إن خاتمى سقط منى ، وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله ﷺ ، فأكون أحدث الناس عهدا به ﷺ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن مقسم أبى القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع فسكب له غسل ، فاعتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا حسن ، جئنا نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا عنه ؟ قال : أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهدا برسول الله ﷺ . قالوا : أجل ، عن ذلك جئنا نسألك ؛ قال كذبا قال : أحدث الناس عهدا برسول الله ﷺ فَنَمَ بن عباس .

خميسة الرسول :

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت : كان على رسول الله ﷺ خَمِيصَة سوداء^(١) حين اشتد به وجعه ، قالت : فهو يضعها مرة على وجهه ،

(١) خميسة سوداء . هى ثوب حز أو صوف معلم

ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر من ذلك على أمته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال : لا يترك بجزيرة العرب دينان .

افتتان المسلمين بعد موت الرسول :

قال ابن إسحاق : ولما تُوفى رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغني ، تقول : لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب ، واشترأبت ^(١) اليهودية والنصرانية ، ونجم ^(٢) النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم رسول الله ﷺ ، حتى جمعهم الله على أبي بكر .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الاسلام . وأرادوا ذلك . حتى خافهم عتاب بن ^(٣) أسيد ، فتواري ، فقام سهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضربنا عنقه ، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به ، وظهر عتاب بن أسيد .

فهذا المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطاب ، إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه :

(١) اشترأبت : طلعت .

(٢) نجم : ظهر .

(٣) كان عتاب بن أسيد والي مكة حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أمره عليها .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
الفصل الأول	
من غزوة الخندق إلى مسيرة خالد بن الوليد	٥
غزوة الخندق فى شوال سنة خمس وتسمى غزوة الأحزاب	٧
تاريخها ، وتحريض اليهود لقريش ومانزل فيهم	٧
تحريض اليهود لغطفان	٨
خروج الأحزاب من المشركين	٨
حفر الخندق وتخاذل المنافقين وجد المؤمنين	٩
ماظهر من المعجزات	١٠
البركة فى طعام ابن جابر لرسول الله ﷺ	١٠
ماأرى الله رسوله من الفتح	١١
نزول قريش المدينة	١١
كعب بن أسد ينقض عهده مع الرسول ﷺ	١٢
تحرى الرسول عن نقض كعب للعهد	١٣
ماعم المسلمين من الخوف وظهور نفاق المنافقين	١٤
رأى ابن هشام فى نفاق معتب	١٤
هم الرسول بعقد الصلح بينه وبين غطفان ثم عدل	١٤
عبوز نفر من المشركين الخندق	١٥
سلمان الفارسى يشير بحفر الخندق	١٥
شعار المسلمين يوم الخندق	١٧
شأن سعد بن معاذ	١٧
شجاعة صفية بنت عبد المطلب	١٨
شأن نعيم فى تخذيل المشركين عن المسلمين	١٩
مناداة أبى سفيان فى قريش بالرحيل	٢٢
غزوة بنى قريظة فى سنة خمس	
أمر الله لرسوله على لسان جبريل بحرب بنى قريظة	٢٣
دعوة الرسول المسلمين للقتال	٢٣

الموضوع	الصفحة
أبو لبابة وتوبته	٢٥
مانزل في التوبة على أبي لبابة	٢٦
اسلام نفر من بني هذل	٢٧
أمر عمرو بن سعدة	٢٧
نزول بني قريظة على حكم الرسول وتحكيم سعد	٢٧
رضاء الرسول بحكم سعد	٢٨
مقتل بني قريظة	٢٩
قسم فيء بني قريظة	٣٢
شأن ريحانة	٣٢
وفاة سعد بن معاذ وماظهر مع ذلك	٣٥
شهداء يوم الخندق	٣٦
قتلى المشركين	٣٧
عرض المشركين على الرسول شراء جسد نوفل	٣٧
شهداء المسلمين يوم بني قريظة	٣٨
مقتل سلام بن أبي الحقيق	٣٨
النفر الذين خرجوا لقتل ابن أبي الحقيق وقصتهم	٣٩
اسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد	٤١
ذهاب عمرو مع آخرين الى النجاشي	٤١
اجتماع عمرو وخالد على الاسلام	٤٢
اسلام ابن طلحة	٤٣
غزوة بني لحيان ، وخروج الرسول اليهم	٤٣
مقالة الرسول في رجوعه	٤٤
شعر كعب في غزوة بني لحيان	٤٤
غزوة ذي قرد وسببها	٤٥
بلاء ابن الأكوع في هذه الغزوة	٤٥
الرسول ونصيحته لأبي عياش بترك فرسه	٤٦
القتلى من المشركين	٤٨
تقسيم الفيء بين المسلمين	٤٩

الموضوع	الصفحة
غزوة بنى المصطلق . وقتها ، وسبب غزو الرسول لهم	٤٩
اعتذار ابن أبي للرسول	٥١
الرسول وأسيد ومقالة ابن أبي	٥١
سير الرسول بالناس ليشغلهم عن الفتنة	٥١
تنبؤ الرسول بموت رفاعه	٥٢
مقيس بن صبابه وحيلته فى الأخذ بتأر أخيه وشعره فى ذلك	٥٣
شعار المسلمين ..	٥٣
قتلى بنى المصطلق .	٥٤
أمر جويرية بنت الحارث	٥٤
الوليد بن عقبة وبنى المصطلق وما نزل فى ذلك من القرآن ..	٥٥
خبر الافك فى غزوة بنى المصطلق (سنة ست هـ)	٥٦
سقوط عقد عائشة وتخلفها للبحث عنه	٥٧
مرور ابن المعطل بها واحتماله اياها على بغيره	٥٨
اعراض الرسول عنها	٥٨
انتقالها الى بيت أبيها وعلمها بما قيل فيها	٥٨
خطبة الرسول فى الناس يذكر اىذاء قوم له فى عرضه ..	٥٩
أثر ابن أبي وحمته فى اشاعة هذا الحديث	٦٠
ماكان بين المسلمين بعد خطبة الرسول	٦٠
استشارة الرسول لعلى وأسامة	٦٠
نزول القرآن ببراءة عائشة	٦١
أبو أيوب ونكره طهر عائشة لزوجها	٦٢
مانزل من القرآن فى ذلك	٦٢
أمر الحديبية فى آخر سنة ست وذكر بيعة الرضوان	
والصلح بين رسول الله ﷺ وبين سهيل بن عمرو	٦٤
خروج الرسول معتمراً	٦٤
استنفار الرسول الناس	٦٥
تجنب الرسول لقاء قريش	٦٦
النفر القريشيون الذين أرسلتهم قريش للعدوان ثم عفا عنهم الرسول ﷺ	٧٠

الموضوع	الصفحة
عثمان بن عفان رسول محمد ﷺ الى قريش	٧١
اشاعة مقتل عثمان بن عفان	٧١
بيعة الرضوان	٧١
أمر الهدنة وارسال قريش سهيلا الى الرسول ﷺ للصلح	٧٢
عمر ينكر على الرسول ﷺ الصلح	٧٢
شروط الصلح	٧٣
دخول خزاعة في عهد محمد وبنى بكر في عهد قريش	٧٣
ماأهم الناس من الصلح ومجىء أبى جندل	٧٤
من شهدوا على الصلح	٧٤
دعوة الرسول للمحلفين والمقصرين	٧٥
نزول سورة الفتح	٧٥
ذكر من تخلف	٧٦
ذكر كف الرسول عن القتال	٧٧
ماجرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح ومجىء أبى بصير إلى المدينة وطلب قريش له	٧٨
اجتماع المحتسبين الى أبى بصير وايداؤهم قريشا وايواء الرسول ﷺ	٧٩
أمر المهاجرات بعد الهدنة	٨٠
هجرة أم كلثوم الى الرسول ﷺ وإيأوة ردها	٨٠
سؤال ابن هنيذة لعروة عن آية المهاجرات وردة عليه	٨٠
سؤال ابن اسحاق الزهرى عن آية المهاجرات	٨١
بشرى فتح مكة وتعجل بعض المسلمين	٨٢
ذكر المسير الى خيبر فى المحرم سنة سبع هـ	٨٢
دعاء الرسول لما أشرف على خيبر	٨٣
فرار أهل خيبر لما رأوا الرسول	٨٣
منازل الرسول ﷺ فى طريقه الى خيبر	٨٤
غطفان ومحاولتهم معونة خيبر ثم انخرالهم	٨٤
افتتاح الرسول ﷺ الحصون	٨٥
نهى الرسول ﷺ يوم خيبر عن أشياء	٨٥
شأن بنى سهم الأسلميين	٨٦
مقتل مرحب اليهودى	٨٧

الموضوع	الصفحة
شأن عليّ يوم خيبر	٨٨
أمر صفية أم المؤمنين	٩٠
بقية أمر خيبر	٩١
عقوبة كنانة بن الربيع	٩١
مصالحة الرسول أهل خيبر	٩١
رجوع الرسول الى المدينة	٩٢
مقتل غلام رفاعة الذي أهداه للرسول ﷺ	٩٣
ابن مغفل وجراب شحم أصابه	٩٣
بناء الرسول بصفية وحراسة أبي أيوب للقبّة	٩٤
شهود النساء خيبر وحديث المرأة الغفارية	٩٥
شهداء خيبر	٩٦
أمر الأسود الراعى في حديث خيبر - إسلامه واستشهاده	٩٧
أمر الحجاج بن علاط السلمى	٩٨
العباس يستوثق من خبر الحجاج ويفاجئ قريشا	٩٩
ذكر مقاسم خيبر وأموالها	١٠٠
عهد الرسول الى نسائه بنصبيهن في المغانم	١٠٢
أمر فدك في خبر خيبر ومصالحة الرسول ﷺ أهل فدك	١٠٢
تسمية النفر الدارين الذين أوصى لهم الرسول ﷺ من خيبر	١٠٣
خرص بن رواحة ثم جبار على أهل خيبر	١٠٣
مقتل ابن سهل ودية الرسول الى أهله	١٠٤
اجلاء اليهود عن خيبر أيام عمر	١٠٥
قسمة عمر لوادى القرى بين المسلمين	١٠٦
ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة وحديث المهاجرين	
اليها وفرح الرسول ﷺ بقدوم جعفر	١٠٧
مهاجرة الحبشة الذين قدم بهم عمرو بن أمية	١٠٨
عدة من حملهم مع عمرو بن أمية	١٠٩
سائر مهاجرة الحبشة	١١٠
تنصر ابن جحش بالحبشة وخلف الرسول على امرأته	١١٠
عمرة القضاء في ذى القعدة سنة سبع وخروج الرسول معتمرا	١١٥
سبب تسميتها بعمرة القصاص	١١٥

الموضوع	الصفحة
خروج المسلمین الذين صدوا أولا معه	١١٦
سبب الهرولة بين الصفا والمروة	١١٦
ارتجاز ابن رواحة وهو يقود ناقة الرسول ﷺ	١١٦
زواج الرسول بميمونة	١١٧
ارسال قريش خويطبا الى الرسول يطلب منه الخروج من مكة	١١٨
مانزل من القرآن فى عمرة القضاء ..	١١٨
ذكر غزوة مؤتة	١١٩
بعث الرسول الى مؤتة واختياره الأمراء	١١٩
بكاء ابن رواحة مخافة النار وشعره للرسول	١١٩
تشجيع ابن رواحة الناس على القتال	١٢١
لقاء الروم	١٢١
امارة جعفر ومقتله	١٢١
امارة ابن رواحة ومقتله	١٢٢
ابن الوليد وانصرافه بالناس	١٢٣
تنبؤ الرسول بما حدث للمسلمين مع الروم	١٢٣
كاهنة حدس وانذارها قومها	١٢٥
رجوع الجيش وتلقى الرسول له وغضب المسلمين	١٢٥
ذكر الأسباب الموجبة المسير الى مكة وذكر فتح مكة	
فى شهر رمضان سنة ثمان	١٢٧
القتال بين بكر وخزاعة	١٢٧
شعر عمرو الخزاعى للرسول يستنصره ورده عليه	١٢٩
ذهاب ابن ورقاء الى الرسول بالمدينة شاكيا وتعرف أبى سفيان أمره	١٣٠
خروج أبى سفيان الى المدينة للصلح واخفاقه ..	١٣١
تجهيز الرسول لفتح مكة	١٣٢
شعر حسان فى تحريض الناس	١٣٣
كتاب حاطب الى قريش وعلم الرسول بأمره	١٣٣
خروج الرسول فى رمضان لفتح مكة	١٣٤
نزولهم مر الظهران وتجسس قريش أخبار الرسول	١٣٤
هجرة العباس	١٣٥

الموضوع	الصفحة
إسلام أبى سفيان بن الحارث وعبد الله بن أمية	١٣٥
شعر أبى سفيان فى الاعتذار عما كان فيه قبل اسلامه	١٣٦
قصة اسلام أبى سفيان على يد العباس	١٣٦
وصول النبى ﷺ الى ذى طوى	١٣٩
إسلام أبى قحافة	١٣٩
دخول جيوش المسلمين مكة	١٤٠
طريق المسلمين فى دخول مكة	١٤١
تعرض صفوان فى نفر معه للمسلمين	١٤١
شعار المسلمين يوم الفتح وحنين والطائف	١٤٢
عهد الرسول الى أمرائه وأمره بقتل نفر سماهم	١٤٣
أسماء من أمر الرسول بقتلهم وسبب ذلك	١٤٤
حديث الرجلين اللذين أمنتهم أم هانئ	١٤٥
طواف الرسول بالبيت وكلمته فيه	١٤٥
اقرار الرسول ابن طلحه على السدانة	١٤٦
أمر الرسول بطمس ما بالبيت من صور	١٤٧
صلاة الرسول بالبيت وتوخي ابن عمر مكانه	١٤٧
سبب اسلام عتاب والحارث بن هشام	١٤٧
سبب تسمية الرسول لخراش بالقتال	١٤٨
أول قتيل و داه الرسول يوم الفتح	١٥٠
كيف أسلم فضالة	١٥١
أمان الرسول لصفوان بن أمية	١٥١
اسلام عكرمة و صفوان	١٥٢
اسلام ابن الزبير وشعره فى ذلك	١٥٢
بقاء هبيرة على كفره وشعره فى اسلام زوجة أم هانئ	١٥٣
سبب اسلام عباس بن مرداس	١٥٤
عدة من شهد فتح مكة من المسلمين	١٥٤
مسير خالد بن الوليد بعد الفتح الى بنى جزيمة من كنانة	
ومسير على لتلافى خطأ خالد	١٥٤

الموضوع	الصفحة
وصاة الرسول له وماكان منه	١٥٤
غضب الرسول مما فعل خالد وإرساله عليا	١٥٦
ماكان بين قريش وبين جزيمة من استعداد للحرب ثم صلح	١٥٨
حديث ابن أبي حدرد الفتى الجزمى يوم الفتح	١٥٨
مسير خالد بن الوليد لهدم العزى	١٥٩
الفصل الثانى	
من غزوة حنين الى جهاز رسول الله ﷺ ودفنه	١٦١
غزوة حنين فى سنة ثمان بعد الفتح	١٦٣
اجتماع هوازن	١٦٣
بعث ابن أبى حدرد عينا على هوازن	١٦٥
خروج الرسول بجيشه الى هوازن	١٦٦
أمر ذات أنواط	١٦٦
لقاء هوازن وثبات الرسول	١٦٧
أسماء من ثبت مع الرسول	١٦٨
رجوع الناس بنداى العباس والانتصار بعد الهزيمة	١٦٩
بلاء على وأنصارى فى هذه الحرب	١٧٠
شأن أم سليم	١٧١
شعر مالك بن عوف فى هزيمة الناس	١٧٢
شأن أبى قتادة وسلبه	١٧٢
نصرة الملائكة	١٧٣
هزيمة المشركين	١٧٣
مقتل دريد بن الصمة	١٧٤
مقتل أبى عامر الأشعرى	١٧٥
وصية مالك بن عوف لقومه ولقاء الزبير	١٧٦
بقية حديث مقتل أبى عامر	١٧٧
نهى الرسول عن قتل الضعفاء	١٧٨
شأن بجاد والشيماء	١٧٨
تسمية من استشهد يوم حنين	١٧٩

الموضوع	الصفحة
جمع سبايا حنين	١٧٩
من شعر بجير يوم حنين	١٧٩
ذكر غزوة الطائف بعد حنين في سنة ثمان	١٨٠
الرسول أول من رمى بالمنجنيق	١٨١
المفاوضة مع تقيف	١٨٢
رؤيا الرسول وتفسير أبي بكر لها	١٨٢
ارتحال المسلمين وسبب ذلك	١٨٣
إطلاق أبي بن مالك من يد مروان	١٨٤
شهداء المسلمين يوم الطائف	١٨٤
من قریش	١٨٤
من الأنصار	١٨٥
أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا بالمؤلفة قلوبهم منها	١٨٥
وإنعام رسول الله ﷺ فيها	١٨٨
إسلام مالك بن عوف النصرى	١٨٩
تقسيم الفء	١٩٠
عطاء المؤلفة قلوبهم	١٩١
شعر ابن مرداس يستقل مأخذوا إرضاء الرسول له	١٩٢
توزيع غنائم حنين على المبايعين :	
عمرة الرسول من الجعرانة واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة	
وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان	١٩٦
أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف	١٩٧
قدوم كعب على الرسول وقصيدته اللامية	١٩٨
استرضاء كعب الأنصار بمدحه إياهم	٢٠١
غزوة تبوك في رجب سنة تسع	٢٠٢
أمر الرسول الناس بالتهيتو لتبوك	٢٠٢
تخلف الحد ومانزل فيه	٢٠٣
مانزل في القوم المثبطين	٢٠٣
شأن البكائين	٢٠٤
شأن المعذرين	٢٠٥

الموضوع	الصفحة
تخلف نفر عن غير شك	٢٠٥
خروج الرسول واستعماله على المدينة	٢٠٦
تخلف المنافقين	٢٠٦
شأن علي بن أبي طالب	٢٠٦
شأن أبي خيثمة	٢٠٧
النبي والمسلمين بالحجر	٢٠٨
تخذيل المنافقين للمسلمين وما نزل فيهم	٢١٠
الصلح بين الرسول ويحنة	٢١١
كتاب الرسول ليحنة	٢١١
حديث أسر أكيدر ثم مصالحته	٢١٢
حديث وادي المشفق ومائه	٢١٢
وفاة ذي الجارين وقيام الرسول على دفنه	٢١٣
أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك	٢١٥
دعوتهم الرسول للصلاة فيه	٢١٥
أمر الرسول اثنين بهدمه	٢١٥
أسماء بناء مسجد الضرار	٢١٥
مساجد الرسول فيما بين المدينة إلى تبوك	٢١٦
أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعززين في غزوة تبوك	٢١٦
نهى الرسول عن كلام الثلاثة المخلفين	٢١٦
حديث كعب عن تخلفه	٢١٧
توبة الله عليهم	٢٢١
أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر رمضان سنة تسع	٢٢٣
إسلام عروة بن مسعود ورجوعه إلى قومه	٢٢٣
انتمار ثقيف على إرسال نفر للرسول	٢٢٤
قدومهم المدينة وسؤالهم الرسول أشياء أبأها عليهم	٢٢٥
تأخير عثمان بن أبي العاص عليهم	٢٢٦
بلال ووفد ثقيف في رمضان	٢٢٦
عهد الرسول لابن أبي العاص حين أمره على ثقيف	٢٢٦
هدم الطاغية	٢٢٧

الموضوع	الصفحة
إسلام أبى مليح وقارب	٢٢٧
سؤالهما الرسول ﷺ قضاء دين من أموال الطاغية	٢٢٨
كتاب الرسول لتقيف ..	٢٢٨
حج أبى بكر بالناس سنة تسع ...	٢٢٩
تأمير أبى بكر على الحج	٢٢٩
نزول براءة فى نقض ما بين الرسول والمشركون	٢٢٩
اختصاص الرسول عليا بتأدية براءة عنه	٢٢٩
ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح	٢٣٠
انقياد العرب وإسلامهم	٢٣١
قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات	٢٣١
صياحهم بالرسول وكلمة عطارد ..	٢٣٢
كلمة ثابت فى الرد على عطارد	٢٣٣
فقام الزبرقان بن بدر فقال شعرا ..	٢٣٣
فلما فرغ الزبرقان ، قال الرسول ﷺ لحسان بن ثابت :	
قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال ، فقام حسان ، وقال	٢٣٤
قصة عامر بن الطفيل وأريد بن قيس فى الوفاة عن بنى عامر	٢٣٥
تدبير عامر للغدر بالرسول	٢٣٦
موت عامر بدعاء الرسول عليه ..	٢٣٦
موت أريد بصاعقة ومانزل فيه وفى عامر	٢٣٧
شعر ليبيد فى بكاء أريد	٢٣٧
قدوم ضمان بن ثعلبة وافداً عن بنى سعد بن بكر ..	٢٣٨
سؤاله للرسول أسئلة ثم إسلامه ...	٢٣٨
دعوته قومه للإسلام	٢٣٩
قدوم الجارود فى وفد عبد القيس	٢٣٩
إسلام ابن ساوى ..	٢٤٠
قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب	٢٤٠
ماكان من الرسول لمسيلمة ..	٢٤١
ارتداده وتنبؤه	٢٤١
قدوم زيد الخيل فى وفد طييء ..	٢٤٢

الموضوع	الصفحة
إسلامه وموته	٢٤٢
أمر عدى بن حاتم	٢٤٣
هربه إلى الشام فراراً من الرسول وأسر ابنة حاتم	٢٤٣
إشارة ابنة حاتم على عدى بالإسلام	٢٤٤
قدوم عدى على الرسول وإسلامه	٢٤٥
وقوع ما وعد به الرسول عدياً	٢٤٥
قدوم فروة بن مسيك المراءى	٢٤٦
قدوم عمرو بن معديكرب في أناس من بنى زبيد	٢٤٦
ارتداده وشعره في ذلك	٢٤٧
قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة	٢٤٧
قدوم صرد بن عبدالله الأزدي	٢٤٨
قتاله أهل جرش	٢٤٩
إخبار الرسول وافدى جرش بما حدث لقومها	٢٤٩
إسلام أهل جرش	٢٥٠
قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم	٢٥٠
فكتب إليهم رسول الله ﷺ	٢٥٠
وصية الرسول معاذاً حين بعثه إلى اليمن	٢٥٢
إسلام فروة بن عمرو الجزامي	٢٥٢
إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد لما صار إليهم	٢٥٣
كتاب خالد إلى الرسول يسأله رأيه في البقاء أو المجيء	٢٥٣
كتاب الرسول إلى خالد يأمره بالمجيء	٢٥٤
فكتب إليه رسول الله ﷺ	٢٥٤
حديث وفدهم مع الرسول	٢٥٤
بعث الرسول عمرو بن حزم بعده إليهم	٢٥٥
قدوم رفاعة بن ريد الجزامي	٢٥٧
إسلامه وحمله كتاب الرسول إلى قومه	٢٥٧
قدوم وفد همدان :	
أسماءهم وكلمة ابن نمط بين يدى الرسول	٢٥٧
كتاب الرسول بالنهي	٢٥٨

الموضوع	الصفحة
فكتب رسول الله ﷺ كتابا فيه	٢٥٨
ذكر الكذابين مسيلمة الحنفى والأسود العنسى	٢٥٩
خروج الأمراء والعمال على الصدقات	٢٥٩
كتاب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ والجواب عنه	٢٥٩
حجة الوداع	٢٦٠
ما أمر به الرسول عائشة في حيضها	٢٦٠
موافاة على في قوله من اليمن رسول الله ﷺ في الحج	٢٦١
خطبة الرسول في حجة الوداع	٢٦٢
رواية ابن خازجة عما سمعه من الرسول في حجة الوداع	٢٦٤
بعض تعليم الرسول في الحج	٢٦٥
بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين	٢٦٥
خروج رسول الله ﷺ إلى الملوك	٢٦٥
أسماء الرسل ومن أرسلوا إليهم	٢٦٦
رواية ابن حبيب عن بعث الرسول رسله	٢٦٧
بسم الله الرحمن الرحيم	
ذكر حملة الغزوات	٢٦٧
ذكر حملة السرايا والبعوث	٢٦٨
خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوخ	٢٦٨
شأن ابن البرصاء	٢٦٨
شعار المسلمين في هذه الغزوة	٢٧٠
تعريف بعدة غزوات	٢٧٠
غزوة زيد بن حارثة إلى جذام	٢٧٠
سببها	٢٧٠
غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة ومصاب أم قرفة	٢٧٤
غزوة عبد الله بن رواحه لقتل اليسير بن رزام	٢٧٥
مقتل اليسير	٢٧٥
غزوة ابن عتيك خير	٢٧٦
غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهزلى	٢٧٦
إهداء الرسول عصا لابن أنيس	٢٧٧

الموضوع	الصفحة
غزوات آخر	٢٧٧
غزوة عيينة بن حصن بنى العنبر من بنى تميم	٢٧٧
غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة	٢٧٨
مقتل مرداس	٢٧٨
غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل	٢٧٨
وصية أبى بكر رافع بن رافع	٢٧٩
تقسيم عوف الأشجعى الجزور بين قوم	٢٨٠
غزوة ابن أبى حردد بطن إضم وقتل عامر بن الأضببط	
الأشجعى وكانت قبل الفتح	٢٨١
غزوة ابن أبى حردد لقتل رفاعه بن قيس الجشمى	٢٨٣
سببها	٢٨٣
انتصار المسلمين ونصيب ابن أبى حردد من فيء استعان به على الزواج	٢٨٤
غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل	٢٨٥
شئ من وعظ الرسول لقومه	٢٨٥
غزوة أبى عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر	٢٨٦
نفاد الطعام وخبر دابة البحر	٢٨٦
بعث عمرو بن أمية الضمرى لقتال أبى سفيان بن حرب	
وما صنع فى طريقه	٢٨٧
قدومه مكة وتعرف القوم عليه	٢٨٧
قتله أبا سفيان وهربه	٢٨٨
قتله بكريا فى غار	٢٨٩
سرية زيد بن حارثة إلى مدين	٢٨٩
سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفاك	٢٩٠
سبب نفاق أبى عفاك	٢٩٠
غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان	٢٩١
خروج الخطمى لقتلها	٢٩١
أسر ثمامة بن أثال الحنفى وإسلامه والسرية التى	
أسرت ثمامة بن أثال الحنفى	٢٩٢
سرية علقمة بن مجرز وبعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجرز	٢٩٣

الموضوع	الصفحة
سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يساراً	٢٩٤
شأن يسار	٢٩٤
غزوة على بن أبي طالب الى اليمن	٢٩٤
بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين	٢٩٥
وهو آخر البعوث	٢٩٥
ابتداء شكوى رسول الله ﷺ	٢٩٥
بدء الشكوى	٢٩٥
تمريضه في بيت عائشة	٢٩٦
ذكر أزواجه ﷺ	٢٩٦
أمهات المؤمنين	٢٩٦
أسمائهن	٢٩٦
زواجه بخديجة	٢٩٦
زواجه بعائشة	٢٩٧
زواجه بسودة	٢٩٧
زواجه بزینب بنت جحش	٢٩٧
زواجه بأم سلمة	٢٩٨
زواجه بحفصة	٢٩٨
زواجه بأم حبيبة	٢٩٨
زواجه بجويرية	٢٩٨
زواجه بصفية	٢٩٩
زواجه بميمونه	٣٠٠
زواجه بزینب بنت خزيمة	٣٠٠
عدتهن وشأن الرسول معهن	٣٠٠
تسمية القرشيات منهن	٣٠١
تسمية العربيات وغيرهن	٣٠١
غير العربيات	٣٠٢
تمريض رسول الله في بيت عائشة	٣٠٢
شدة المرض وصب الماء عليه	٣٠٢
كلمة للنبي واختصاصه أبابكر بالذكر	٣٠٢

الموضوع	الصفحة
أمر الرسول بانفاذ بعث أسامة	٣٠٣
وصية الرسول بالأنصار	٣٠٤
صلاة أبي بكر بالناس	٣٠٥
اليوم الذى قبض الله فيه نبيه	٣٠٦
شأن العداس وعلى	٣٠٧
سواك الرسول قبيل الوفاة	٣٠٧
مقالة عمر بعد وفاة الرسول	٣٠٨
موقف أبي بكر بعد وفاة الرسول	٣٠٩
أمر سقيفة بنى ساعدة	٣١٠
تفرق الكلمة	٣١٠
ابن عوف مشورته على عمر بشأن بيعة أبي بكر	٣١٠
خطبة عمر عند بيعة أبي بكر	٣١١
تعريف بالرجلين اللذين لقيا أبا بكر وعمر فى طريقهما للسقيفة	٣١٣
خطبة عمر قبل ابى بكر عند البيعة العامة	٣١٤
خطبة أبي بكر	٣١٤
جهاز رسول الله ﷺ ودفنه	٣١٥
من تولى غسل الرسول	٣١٥
كيف غسل الرسول	٣١٦
تكفين الرسول	٣١٦
حفر القبر	٣١٦
دفن الرسول والصلاة عليه	٣١٧
دفن الرسول	٣١٧
من تولى دفن الرسول	٣١٧
أحدث الناس عهداً بالرسول	٣١٨
خميسة الرسول	٣١٨
افتتان المسلمين بعد موت الرسول	٣١٩

مطابع الامرام التجارية - قليب

رقم الإيداع / ٢٨٣٧ / ١٩٩٤

Biblioteca Alexandrina



0289661

